موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَـــإِنَّ الْبَعُـــوضَ وُقِيـــتَ أَذَاهُ سَقَانِـي مِـنَ اللَّيْـلِ كَـأْسَ الْعَطَـبْ
فَأَيَّـــانَ زَمَّـــرَ[١] عَـــسْكَرُهُ أَغَـارَ عَـلَى الْجِـسْمِ ثُـمَّ انْتَهَـبْ
وَكُنْـــتُ[٢] أَرَدْتُ شِرَاءَ سَرِيـــرٍ وَلَكِنَّنِـــي خِفْـــتُ سُـــوءَ الْأَدَبْ
فَـلَا زِلْـتَ تَرْقَـى بِـأَوْجِ الْعُـلَا تَنَـالُ الْـمُنَى وَتُنِيـلُ[٣] الْأَرَبْ

وهذا الرجل الممدوح كان معتدلاً قبل أَنْ يعم التفرنجُ المدنَ العراقية، وخصوصًا [الشباب من][٤] أهل المدن[٥]، وكان هو يسكن القرى؛ لأنه كان وكيلاً لبيت الشيخ يوسف آل إبراهيم، وهم يملكون[٦] أراضي وقرًى، فلما جاء التفرنج وجده كهلاً؛ فانغمس في الشهوات، وخلع العذار، وبقي مدة طويلة على ذلك حتى انقَضَّ عهدُ الكهولة، وأدركه عهد الشيخوخة؛ فتاب وأناب وحجَّ ولازمَ المساجد، وأطال لحيته، لكنه أصابه ردُّ فعلٍ شديدٍ حتى وقع في الغلو.

وبلغ به الأمر إلى أَنْ صار يوالي ويعادي على إعفاء اللحية وحلقها، وكان يتكلم فيَّ بسوء في مجالسه، ويجافيني لحلق اللحية فقط، ومع ذلك يلازم الصلاة في المسجد الذي كنتُ خطيبَه في بغداد.

«يناسب إكرامك المنسكب»».

(١) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «فأبان ومر»!

(٢) وضع في (الدفتر الخاص) رقمًا، وأثبت في الهامش: «أبدلته بقولي» وذكر البيت الذي بعده، ولم ينتبه لهذا جامع «الديوان».

(٣) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «وتنبل»!

(٤) بدل ما بين معقوفين في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «الشبابين»!

(٥) قبلها في «منحة الكبير المتعالي»، و«السلفية الوهابية بالمغرب»: «من»! والصواب حذفها.

(٦) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «يسلكون»!

فقيل له: كيف تعاديه وتلتزم الصلاة خلفه؟! فقال: إنه أحسن الموجود؛ فأنا أرتضي عقيدته وعمله ما عَدَا حَلْقَ اللحية، ولا أجد أحسن منه.

فلما حججتُ سنة ١٩٥٦م -وهي الحجة الرابعة- كنتُ قد تركتُ لحيةً قصيرةً على قدر أيَّامِ [الحجِّ؛ فرارًا من الشذوذ كعادتي في الأمور العادية، وصادف قدومي بغداد يوم الجمعة؛ فصليتُ الجمعة بتلك اللحية، فلما رآني كذلك كاد يطير فَرَحًا لظنه أنني بدأتُ في إعفاء اللحية، وجاء لزيارتي بعد العصر فَرِحًا مَسْرُورًا متهلل الوجه؛ فهنأني بالقدوم وبالرجوع إلى الحق في إعفاء اللحية، فقلتُ: إنما صنعتُ ذلك في الحجِّ فقط.

فقال لي: وستعود إلى حلقها؟][1]

قلتُ: نعم؛ غدًا إن شاء الله، فقام مغضبًا وهو يقول: السلام عليكم.

فقلتُ له: عهدي بك عالم بغرس النخيل والفلاحة؛ فمتى صرتَ عالمًا بأمور الدين؟! ومن أين جاءك هذا العلم؟! فذهب ولم يلتفت، ولكن هذه الكلمة آلمته؛ فكان ذلك صلحًا لم يلبث دقائق معدودة.

وكيفما كان الأمر؛ فقد أحسن في الرجوع إلى طاعة الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والله يغفر لنا وله هفواتنا. انتهى[2].

---

(١) ما بين المعقوفتين من نسخة الأصل، وسقط من نسخة (بو خبزة)، وفي الهامش بخطه: «سقط من هنا سطر أو سط . . .»، ولم يظهر بقيتها!

(٢) «الدكتور الهلالي بعد انتقاله [إلى] السعودية للعمل [با]لجامعة وَفَّرَ لحيته، وعاد إلى المغرب وظل بها إلى [وفا]ته؛ فكأنه اقتنع بوجوب [توفير]ها». (بو خبزة)، وما بين المعقوفات من كيسي لتتميم السقط الذي وقع بسبب سوء التصوير، وقد وقفتُ على وثيقة من إملاء الهلالي، فيها تراجعه عن عدم وجوب توفير اللحية؛ انظر التعليق على (ص ٢٦٠)، وكان يفتي في آخر حياته بوجوبها تبعًا لجماهير أهل العلم، وهذا ما دوَّنه في كتابه: «الدعوة إلى الله من أقطار مختلفة» (ص ٤٥-٤٦)، ووجدت فيه (ص ٢٢٧) تحت (محنة) أنه مثل انتقاله للتدريس للسعودية إبَّان إقامته في الهند؛ قال -عن لحيته-: =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[في صفة استعمال دواء][(١)]

[١١] وقلتُ -شبه ارتجال- بالدورة يوم ١٢ صفر ١٣٤٥، وقد جاءني دواء كُتِبَتْ صفةُ استعماله بالإنكليزية[(٢)]؛ فلم أعرف كيف أستعمله، من بحر المجتث:

مَنْ لَـمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْإِفْـ ـرَنْجِيَّ فَهْـوَ مُـصَابُ

يَعِـيشُ بَـيْنَ الْـوَرَى مِثْـ ـلَ[(٣)] مَا تَعِيشُ الدَّوَابُ

ومرادي بـ(الإفرنجي): اللغات الأوروبية؛ كالإنكليزية[(٤)]، والألمانية، والفرنسية، وبيان ذلك أن الشعوب الغالبة التي بيدها مقاليد الأمور تكون لغتها -أيضًا- غالبة، وجميع الناس يحتاجون إليها، كما كانت العربية في عصور الإسلام المجيدة -شرقًا وغربًا-[(٥)].

«كنتُ أترك منها قبضة اليد»، وسيأتي تصريح المصنف بذلك في (مقطع ٣٧).

ومن قوله: «وبلغ به الأمر إلى أنْ صار...» إلى هنا ليس في «السلفية الوهابية بالمغرب».

(١) أوردهما صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٤)، ثم وجدتُهما في (الدفتر الخاص) بالهلالي (ق ١٥٢)، وقبلهما: «وقلت شبه ارتجال يوم ١٢ صفر ١٣٤٥هـ»، وبعدهما: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «بالإنجليزية».

(٣) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «مُثيل».

(٤) في «السلفية الوهابية»: «كالإنجليزية».

(٥) جاء في «السلفية الوهابية» -دون «منحة الكبير المتعالي»- بعد هذه الفقرة:

«ولمَّا كنتُ في غرناطة كان الطلبة المغاربة الذين يَدْرسون في جامعتها كثيرًا ما يشتكون إليَّ من أساتذتهم الإسبانيين أنهم يذمُّون العرب، ويلصقون بهم عيوبًا كثيرة يختلقونها، ويبالغون في ذلك؛ حتى زعموا أنَّ فتح العرب لإسبانيا كان كله مثراء، وكُلَّ عادةٍ سيئةٍ وخُلُقٍ قبيحٍ يوجد عند الإسبانيين -حتى مصارعة الثيران- وكل ذلك مما جاء به العرب ولم يعملوا في إسبانيا حسنة واحدة. =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[هجو فقيهَين كانا يُعاديان التوحيد والسنة][1]

[١٢] وقلتُ في فقيهَين كانا يُعاديان التوحيد والسنة، لا حاجة إلى تسميتهما، سنة ١٣٥٣هـ تقريبًا [البحر السريع][2]:

يَـا بَـائِعَ الْوَقْـفِ وَمُنْفِـقَ مَـا ... لَ الْوَقْفِ فِي جَلْبِ الْبَغَايَا الْقِحَابْ

بَيْتُـكَ بِالْمَـشْرَاقِ يَـشْكُو لِـمَنْ ... مَـرَّ بِـهِ مَـا نَابَـهُ مِـنْ خَـرَابْ

وكنتُ قد ترجمتُ كتاب «مدنيَّة العرب في الأندلس» للمؤلف الشهير الإنجليزي جوزيف ماكي، وكان عندي النص الإنجليزي، فكنتُ أُلَقِّنُهُم الحُجَجَ التي يدحضون بها أكاذيب الفاشستيين من أدعياء التعليم، وأعطيتهم الكتاب الإنجليزي المبسوط، وهو الذي تَوَّجْتُهُ من تأليف المؤلف المذكور، وأقول لهم: قولوا لهؤلاء الأساتذة المتعسِّفين: إن كنتم صادقين؛ فاقرؤوا هذا الكتاب وردوا عليه! فكان ذلك يقرع أنوف الإسبانيين فيردَّهم خائبين، ويُثبِّتُ اعتقاد الطلبة المغاربة»، وسيأتي هذا في (مقطع ١٦) الآتي.

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٥)، دون أي كلام قبلها ولا بعدها.

(٢) للبحر السريع أربع أعاريض وستة أضرب؛ فالعروض الأولى مطوية مكشوفة (فَاعِلُنْ)، ولها ثلاثة أضرب: الضرب الأول مطوي موقوف (فَاعِلَانْ)، والضرب الثاني مطوي مكشوف (فَاعِلُنْ)، والضرب الثالث أصلم (فَعْلُنْ).

والعروض الثانية مخبولة مكشوفة (فَعِلُنْ)، وضربها واحدٌ مثلها (فَعِلُنْ).

وأكتفي بهذين العروضين وأضربهما فعليهم مدار الكلام؛ فأقول: وقع إشكالٌ في البيت الأول، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والبيت قبل الأخير من هذه القصيدة، وهو أن أعاريض وأضرب هذه الأبيات اختلطت بعضها ببعض، ولم تستقم على القاعدة المذكورة؛ فمنها ما جاءت عروضه (فَاعِلُنْ) وضربه (فَعِلُنْ)! ومنها ما جاءت عروضه (فَعِلُنْ) وضربه (فَاعِلَانْ)! ومنها ما أُدْخِلَ (الخبن) -وهو حذف الثاني الساكن- على (فَاعِلَانْ) لتصبح (فَعِلَانْ)، وهو مما يمتنع في العروض الأولى وأضربها الثلاثة.

وعليه كانت تصحيحات (بو خبزة) للبيتين الرابع والسادس كي يستقيم أضربها مع عروضها، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَـا بَـائِعَ الْوَقْـفِ أَمَـا تَـسْتَحِي ... مِـنْ حَكَـمٍ عَـدْلٍ شَـدِيدِ الْعِقَـابْ

يَـا عَابِـدَ الْقَـبْرِ أَمَـا تَرْعَـوِي ... عَنْ شِرْكِكَ الْمُرْدِيكَ يَوْمَ[1] الحِسَابْ

وَأَنْـتَ يَـا فَعَّـالُ[2] بِالطِّفْـلِ فِـي ... دَارٍ لَـهُ مُـسْتَخْفِيًا خَلْـفَ بَـابْ

لَـيْسَ عَـلَى الْعَـلَّامِ يَـخْفَى وَإِنْ ... فَعَلْتَـهُ مُـسْتَتِرًا بِالْـحِجَابْ[3]

لَا سِـيَّمَا وَهْـوَ أَمَانَتُـهُ ... يُقْرِئُـهُ فِـي الْفِقْـهِ بَابًـا فَبَـابْ

وَهْـوَ[4] إِمَـامُ الْقَـوْمِ وَاعِظُهُـمْ ... فِـي كُـلِّ جُـمْعَةٍ يَـجِي بِخِطَـابْ

لَا سِـيَّمَا وَقَـدْ غَـدَا بُومَـةً ... وَهْـوَ الَّـذِي مِـنْ قَبْـلُ كَـانَ غُـرَابْ

أَفِـي زَمَـانِ الـشَّيْبِ تَفْعَـلُ ذَا ... فَكَيْـفَ كُنْـتَ فِـي زَمَـانِ الـشَّبَابْ

أَبَعْـدَ ذَا الْـخِزْيِ تَعِيـبُ امْـرَأً ... وَيْلَـكَ هَـلْ وَرَاءَ ذَا مِـنْ مَعَـابْ

أَبَعْـدَ ذَا تَعِيـبُ وَيْـكَ امْـرَأً ... يَقُـولُ بِالـسُّفُورِ أَوْ بِالْـحِجَابْ

كَيْـفَ كَـشَفْتَ سَـوْأَةً لِفَتَـى ... غِـرٍّ صَـغِيرٍ دُونَ أَيِّ اضْـطِرَابْ

وَمَـعَ ذَا تَغْـضَبُ مِـمَّا أَتَـى ... فِـي الشَّرْعِ مِـنْ جَـوَازِ كَـشْفِ النِّقَابْ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «المردي بيوم ...»، والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

(٢) في «رحلة من الزبير»: «الوَّاط» بدل «فعَّال».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» و«رحلة من الزبير»: «بحجاب»، والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

(٤) في «رحلة من الزبير»: «هذا»، ورسم فوقها المثبت.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وأول هذين الفقيهَينِ زوَّج ابنَه بعد أنْ باع أرضًا من أراضي الوقف كانت موقوفة على الجامع الذي كان يُصلي فيه، وأنفق ثمنها على الاحتفال بالعرس، وجلب البغايا الراقصات من مدينةٍ قريبةٍ من قريته!

وأما الثاني؛ فجريمته مفهومة من الأبيات!!

***

[البراءة من المتمذهبين][1]

[١٣] وقلتُ في الردِّ على عُبَّاد القبور والمبتدعين[2] [البحر الطويل]:

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبِ ... سِوَى مَذْهَبِ الْمُخْتَارِ سُؤْلِي وَمَطْلَبِي

مَدَى الدَّهْرِ لَا أَبْغِي بَدِيلاً بِهِ، وَلَوْ ... يُزَخْرِفُهُ قَوْمٌ بِقَوْلٍ مُكَذَّبِ

لَقَدْ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ مَعْنًى وَمَا دَرَوْا ... فَبَاؤُوا بِإِشْرَاكٍ وَجَهْلٍ مُرَكَّبِ

***

(١) من كتاب الهلالي «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/ ٩١ ط. المغربية) أو (٤/ ١٢٣ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية - الأردن، ثم وجدتُ الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ١٠٣) للهلالي، دون كلام قبلها.

(٢) في «سبيل الرشاد»: «قلتُ في التبرئ من المتمذهبين: . . .».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[وصف أهل الزبير][1]

[١٤] وقلتُ ليلة غرة ربيع الأول ١٣٥٥هـ [البحر المجتث]:

إِنَّ الـــزُّبَيْرَ لَـــسِجْنٌ ... فِيـــهِ يُعَنَّـــى الْغَرِيـــبُ

إِنَّ الـــزُّبَيْرَ لَـــمَنْفَى ... سُـــكْنَاهُ لَيْـــسَتْ تَطِيـــبُ

وَأَهْلُـــهُ شُرُّ أَهْـــلٍ ... وَلَـــيْسَ فِـــيهِمْ مُنِيـــبُ

فَأَنْـــتَ مَـــا دُمْـــتَ فِـــيهِمْ ... فَالْقَلْـــبُ مِنْـــكَ كَئِيـــبُ

---

(١) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٤)، وقبلها: «ليلة غرة ربيع الأول ١٣٥٥هـ»، وفوقها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(فائدة): افتتح الهلالي كتابه «رحلة من الزبير» (الجزء الأول) (ق ٣-٤) التعريف بالزبير، ومما قال تحت عنوان (أخلاق أهل الزبير) ما نصه: «أخلاق أهل الزبير شديدة شرسة، وفيهم جفاء وغلظة، وهم كثيرو الأذى لمن يستضعفونه، ولو بلا سبب أو بسبب يوجب الإكرام، وفي نفس الوقت يُحسنون التملق والبشاشة إحسانًا تامًّا لمن يخافونه أو يرجونه.

والغريب بينهم مهضوم الجانب محتقر ما لم يكن له حام من كبرائهم، ولن يجد هذا الحامي إلَّا في النادر، وقد عاشرت أممًا كثيرةً فما رأيت مَن يُضارعهم في ذلك!

وهذا عام في أهل نجد كلهم؛ لكن لا بُدَّ لهذا العموم من استثناء؛ فإنك تجد فيهم على سبيل الندور رجالاً كرام الأخلاق، أبرارًا لطفاء. . .» إلخ كلامه.

ثم قال تحت عنوان (موقع قرية الزبير) ما نصه: «هي في الجنوب الغربي من البصرة على بُعْد عشرة أميال، تقطعها السيارة في الصيف -حين يكون الطريق يابسًا؛ ليس فيه عوائق- في ٢٠ دقيقة، والقرية في صحراء قاحلة، لا ماء فيها ولا شجر ولا عشب إلَّا شيئًا ضئيلاً في بعض السنين الكثيرة الأمطار، وكان ماء الشرب عندهم كَدِرًا مملوءًا بالديدان، سيئ المذاق، منتن الرائحة، مخلوط بأرواث الحمير وأبوالها وبجميع الأقذاء والأقذار، وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة ١٣٥٥ أُجري الماء من البصرة إلى الزبير في أنابيب. . .».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمَـا أَقَمْـتَ لَدَيْـهِمْ يَرِبْـكَ مِـنْهُمْ مُرِيـبُ[١]

الْـخَيْرُ مِـنْهُمْ بَعِيـدٌ وَالـشَّرُّ مِـنْهُمْ قَرِيـبُ

فَهُـمْ عَقَـارِبُ دَوْمًـا لَـهَا إِلَيْـكَ دَبِيـبُ

إِلَّا إِذَا كُنْـتَ فِـيهِمْ ذِئْبًـا فَأَنْـتَ مَهِيـبُ

وهذا الوصف لا ينطبقُ على أهل الزبير جميعهم، ولكنه ينطبق على كثير منهم.

***

[تضمين واقتباس][٢]

[١٥] وقلتُ في (بُمْبَاي)[٣] ٢٥ صفر ١٣٤٣هـ بيتين متضمنين اقتباسًا، من بحر المجتث:

ارْجِـعْ إِلَى اللهِ دَوْمًـا (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكْ)[٤]

فَالـصَّبْرُ عُقْبَـاهُ خَـيْرٌ وَمِنْـهُ تَلْقَـى ثَوَابَـكْ

---

(١) في «الرحلة» بعده:

وإن ما تقربت منهم ما أنتَ فيهم قريبُ

ثم ضرب عليه.

(٢) وجدتُهما في (دفتر خاص) للهلالي (ق ١٨)، وفوقهما (نقل)؛ فكأن هذا (الدفتر) أصل «الديوان»، ونقلت منه مقاطع كثيرة؛ انظر -على سبيل المثال- المقاطع (٣ و٥٩).

(٣) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٤) ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[في مدح مُتبرِّع طبع كتاب][1]

---

(١) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٤ - ١٥٥)، وهي أول كتاب «الهلال والصليب؛ مدلول العصور المظلمة أو القرون الوسطى» لجوزيف ماك كيب، ترجمه الهلالي من الإنجليزية إلى العربية، طبع في العراق في (٨٢) صفحة، وضع أوله (الإهداء)، وتحته: «إلى سعادة الشيخ مظهر الشاوي...»، ثم ذكر الأبيات، ثم أعاد الهلالي نشر الكتاب نفسه في المغرب عن مكتبة المعارف، الدار البيضاء، ولكن بعنوان: «مدنية العرب في الأندلس»، وحذف منه هذه الأبيات! وله فيه كلمة عن مناسبتها وهي جيدة.

ونشرها في مجلة «التمدن الإسلامي» الدمشقية، السنة (١٦)، الجزءان (٢٥، ٢٦)، بتأريخ شوال ١٣٦٩هـ - تموز ١٩٥٠م، (ص ٥٨٩-٥٩٣) بعنوان: «الغربيون ومدنية الإسلام»، وذكر فيها أن الأستاذ (محمد أحمد) -رئيس لجنة انضباط المحامين بالبصرة- قال عنه بعد مدح وثناء:

«فأخرج لي كتيبًا صغير الحجم اسمه: «مدنية العرب في الأندلس»، وأباح لي خزانة كتبه العظيمة، وأرشدني إلى المصادر الإنجليزية، وكان معينًا لي في بعض المشاكل اللفظية؛ فترجمتُ الكتاب، ووضعتُ له مقدمة، وعلقتُ عليه حَواشٍ مفيدة، وراعَيْتُ في الترجمة المحافظة على المعنى؛ **أولاً**.

وثانيًا: على جمال الأسلوب العربي، وعدم خدش محياه بالمفردات الأجنبية غير المنسجمة، والتراكيب الفاسدة التي يتبرأ منها الأدب العربي الخالص؛ فجاء وافيًا بالمراد، قاهرًا لأهل العناد.

وما أُبرئ نفسي، ولا أدَّعِي الكمال؛ فقد تفرد به الكبير المتعال، بَيْدَ أني بعدما أتممت الكتاب، وزينت عرائس أبكاره الفكرية، ولوامع أنواره البهية، حسبتُ أني لا ألبث أن أجد لها خاطبًا من ذوي الغيرة على الدين والحق، وعشاق الأدب والصدق؛ فكنتُ كمن يضرب في حديد بارد، أو ينفخ في رماد، وبقي الكتاب في يدي باثرًا لا يجد له طابعًا ولا ناشرًا، وكل مَن رآه يكتفي بالاستحسان اللفظي، ولا يمر في السعي في نشره ولا يحلي، بل يتركني في عمياء لا أدري أأصبح أم أسري؟!!

حتى اطلع على القضية سعادةُ النبيل الأوحد، المجاهد الأمجد، الشيخ مظهر الشاوي؛ فهزَّته الأريحية العربية، والنخوة الإسلامية، وتبرَّع لطبع الكتاب بمئة دينار، وكأن الله ادَّخر له هذه المنقبة، وهيَّأ له هذه المفخرة، وشاء لحكمته البالغة وقدرته النافذة ألا يكون أبا عُذرها غيره، وألا يسطر في فاتحة هذا الكتاب غير اسمه، وألا يتصدره إلا صورته. =

[١٦] [ولمَّا كنتُ في غرناطة، كان الطلبة المغاربة -الذين يدرسون في جامعتها- كثيرًا ما يشتكون إليَّ من أساتذتهم الإسبانيين أنهم يذمون العرب، ويلصقون بهم عيوبًا كثيرة يختلقونها، ويبالغون في ذلك، حتَّى زعموا أنَّ فتح العرب لإسبانيا كان كله شرًّا، وكل عادة سيئة وخُلُق قبيح يوجد عند الإسبانيين -حتَّى مصارعة الثيران-؛ كل ذلك مما جاء به العرب، ولم يعملوا في إسبانيا حسنةً واحدةً.

وكنتُ قد ترجمت كتاب «مدنية العرب في الأندلس» للمؤلف الشهير الإنكليزي (جوزيف ماكي)، وكان عندي النص الإنكليزي؛ فكنتُ ألقنهم الحجج التي يدحضون بها أكاذيب الفاشستيين الفلاتخيين من أدعياء التعليم، وأعطيهم الكتاب الإنكليزي المبسوط -وهو غير الذي ترجمته من تآليف المؤلف المذكور- وأقول لهم: قولوا لهؤلاء الأساتذة المتعسفين: إنْ كنتم صادقين؛ فاقرؤوا هذا الكتاب وردوا عليه، فكان ذلك يقرع أُنوف الإسبانيين، فيردهم خائبين، ويثبت اعتقاد الطلبة المغاربة][(١)].

ولمَّا رجعتُ إلى العراق سنة ١٩٤٧م عرضتُ الكتاب على المجمع العلمي العراقي؛ فقال لي نائب الرئيس: قَدِّمْ لنا نسخةً منه لنعرضه على الأعضاء؛ فقدمتُ له نسخة مكتوبة بالآلة، ومعها سبعون صورة أتيتُ بها من إسبانيا من أهم الآثار العربية الإسلامية، وبقي الكتاب عنده ستة أشهر، ولم أزل في هذه المدة أطالب النائب المذكور بأَنْ يخبرني بالنتيجة؛ فمَطَلَني، وفي نهاية الأمر قال لي: إنَّ المجمع العلمي وافق على طبع الكتاب

وكم لهذا الشيخ النبيل من مناقبَ ومآثرَ، سيسجلها له تاريخ العرب والإسلام في هذا الزمان؛ الذي صار فيه العلم والأدب متسربلين بذل اليتم، ومتدثرين برداء الظلم، قد قلَّ ناصرُهُما! وكثُرَ خاذلُهُما! وعوَتْ عليهما ذئاب الأعداء! واستنسر عليهما البُغاثُ! وَاسْتَأْسَدَتْ عليهما الضِّباعُ!

وعلى ذلك؛ فإنَّ بإزاء كل ريح إعصارًا، ولن يَعدم الحقُّ أنصارًا، وقد كان الفضل في عرض هذه القضية عليه للأستاذ المجاهد، الذي يقوم في ميدان الذبِّ عن الإسلام مقام أُمَّة؛ أعني الحاج طه الفياض -بارك الله في جهاده، ووفقنا وإياه للصالحات-» انتهى.

(١) ما بين المعقوفين ليس في «السلفية الوهابية»، وسبق ذكره في التعليق على آخر (مقطع ١١).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

على أَنْ يُقَدِّمَ لك نصف دينار لكل صفحة، بشرط أَنْ يحذف كل ما في الكتاب من الطعن في الدين المسيحي، إذ[١] لا يجوز لنا قانونًا أَنْ ننشر شيئًا يمس بكرامة الأديان!

فقلت له: يا هذا! إنَّ مؤلف الكتاب نصراني إنجليزي! وناشره نصراني أمريكي! وقد نشر منه مئات الألوف من النسخ في أمريكا وأوروبا! فهل أنتم أحرص على حماية الدين المسيحي من المسيحيين أنفسهم ؟ ! !

فقال: هكذا قرر المجمع[٢].

قلت: أرجو من فضلك أَنْ تردَّ لي النسخة والصور؛ فإني لا أستطيع أَنْ أحذف شيئًا من الأصل؛ فإنما أنا مترجم، والأمانة العلمية توجب عليَّ ذلك!

فقال: ابْعَثْ مَن يأخذ النسخة والصور؛ فجاء بالنسخة دون الصور، وزعم أنها ضاعت! فأخبرت بذلك صديقي الحاج طه الفياض -رحمه الله-، فتأسَّف، وانتقد تلك المعاملة، وبعد أيام كلَّمني بالتلفون وأخبرني أنَّ الشيخ مظهر الشاوي -وهو شيخ إحدى العشائر العراقية- تبرَّع بطبع الكتاب على نفقته؛ فمدحته بالأبيات التالية من بحر البسيط:

يَا مُظْهِرَ الْخَيْرِ يَا شَاوِي الْحَسُودِ عَلَى ... جَمْرِ الْغَضَى[٣] إِذْ رَأَى مِنْ أَمْرِكَ الْعَجَبَا

أُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْآدَابِ جَوْهَرَةً ... تَأْبَى وَتَأْنَفُ أَنْ تَرْضَى سِوَاكَ أَبَا

فَدُمْ لِأَمْثَالِهَا[٤] بِالْمَجْدِ مُرْتَدِيًا ... لِلْحَمْدِ مُكْتَسِبًا لِلْخَيْرِ مُنْتَدِبَا[٥]

---

(١) سقطت من «السلفية الوهابية بالمغرب».

(٢) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «المجتمع»!

(٣) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «الغض»!

(٤) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «لأمثالنا»!

(٥) في مطبوع «السلفية الوهابية»: «مندبا»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وبعدما طبع الكتاب لقيني أحد المتشاعرين في بغداد؛ فأخذ يلومني على مدح مظهر الشاوي الذي -بزعمه!- وصل إلى حد الإطراء، والرجل في نظره لا يستحق شيئًا من ذلك المدح، فقلت له: إنْ لم يكن يستحق ذلك في نظرك أنت؛ فإنه في نظري يستحقه، ولكلٍّ رأيه، فهل تلتزم أنتَ أَنْ تعرض عليَّ كُلَّ ما تقوله من الشعر قبل أَنْ تنشره، أم تعتقد أنك حُرٌّ فيما تقوله؟! فما لك لا تعطي غيرك من الحق مثل ما تريده لنفسك؟! فانصرفتُ وتركته.

وأَظنُّ أنه مدحه فلم[١] يعطه[٢] شيئًا؛ فغضب عليه كعادة المداحين، فلما اطلع على تلك الأبيات غاظته[٣]؛ فيُنْشَدُ فيه وفي أمثاله [البحر السريع]:

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى بِمَا قَدْ تَرَى ... فَدُونَكَ الْحَبْلَ بِهِ فَاخْتَنِقْ[٤]

* * *

[هجو قاضٍ في طنجة][٥]

[١٧] وقلتُ في قاضٍ كان في طنجة من بحر الوافر:

وَقَاضٍ أَرْعَنٍ[٦] لَا خَيْرَ فِيهِ ... جَهُولٍ[٧] مُفْلِسٍ فِي كُلِّ بَابِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلن»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «يعطيه»!

(٣) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «غلظته»!

(٤) ذكره القشيري في «تفسيره» (٤/ ٢٠٥)، غير منسوب!

(٥) أوردها صاحب «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥٦).

(٦) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «أعن»!

(٧) في مطبوع «السلفية الوهابية بالمغرب»: «جهدك»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

جَبَـانٍ إِنْ يَـجِئْ خَـصْمٌ قَـوِيٌّ ... يُدَارِيـهِ وَيَـحْكُمُ بِالتَّحَابِـي

وَمَهْـمَا يَـأْتِ مِـسْكِينٌ ضَـعِيفٌ ... يَكُـنْ أَسَـدًا يَـصُولُ بِحَـدِّ نَـابِ

[تَـخَرَّجَ فِـي مَـدَارِسِ وَاقِ وَاقٍ ... لَـهُ عِلْـمٌ بِتَـزْوِيجِ الْقِحَـابِ

قَـضَاؤُكَ لَا يَـجُوزُ وَلَـوْ بِـسِرْكُو ... وَحَتَّى فِي خُصُومَاتِ الْكِلَابِ

عَلَى شَرْعِ الرَّسُولِ قَضَيْتَ أَبْشِرْ ... غَـدًا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ بِالْعَـذَابِ

جَـمَعْتَ الْقَاضِيَـيْنِ مَعًـا بِجَهْـلٍ ... وَجَـوْرٍ فَـانْتَظِرْ يَـوْمَ الْحِـسَابِ

ذُبِحْـتَ بِغَـيْرِ سِـكِّينٍ وَيَرْجُـو ... لَـكَ الْـمَظْلُومُ طَعْنًـا بِالْـحِرَابِ

فَـأَنْفِقْ مَـا جَـمَعْتَ عَـلَى فُجُـورٍ ... فَمَالُ السُّحْتِ يَذْهَبُ فِي تَبَابِ

فَـدَعْ عَنْـكَ الْعُلُـومَ فَأَنْـتَ فِيهَـا ... دَعِـيٌّ قَـدْ تَعَلَّـقَ بِالـسَّرَابِ

وَمَهْـمَا خِلْـتَ دَرْكَ الْعِلْـمِ سَـهْلاً ... بِـلَا تَعَـبٍ يُنَـالُ وَلَا طِـلَابِ

وَلَا كَـدٍّ وَلَا سَـهَرِ اللَّيَالِـي ... وَلَا شَـدِّ الرِّحَـالِ وَلَا اغْـتِرَابِ

فَأَنْـتَ مُغَفَّـلٌ فَـدْمٌ غَبِـيٌّ ... بَلِيدُ الـذِّهْنِ أَحْـمَقُ مِـنْ ذُبَـابِ

بِوَصْفِ الْمُصْطَفَى سَمَّوْهُ جَلَّتْ ... سِمَاهُ الْمُصْطَفَى عَنْ ذَا الْغُرَابِ

وَلَـوْ أَبْـدَلْتَ عَيْنًـا مِنْـهُ بَـاءً ... لَأَسْفَرَ وَاضِحًا وَجْهُ الصَّوَابِ][1]

* * *

(١) الأبيات التي بين المعقوفين ليست في «السلفية الوهابية».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[المسيرة الخضراء][(١)]

[١٨] [وقلتُ في صباح فاتح ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ - ٨/ ٧/ ١٩٦٧، من بحر الطويل:][(٢)]

أَلَا أَبْشِرُوا أَهْلَ [الْمَعَارِفِ وَالْأَدَبْ][(٣)]
بِخَيْرٍ وَإِقْبَالٍ فَسَعْدُكُمُ اقْتَرَبْ[(٤)]
* حَبَاكُمْ [مَلِيكُ الشَّعْبِ للهِ دَرُّهُ،
وَزِيرًا عَلَى الْإِصْلَاحِ] وَالرُّشْدِ قَدْ دَأَبْ[(٥)]

---

(١) ما تحته من «قرة العين في مدح الملكين» (ص ١٣-١٤)، والأبيات في مقالة أدرجناها في «مقالات الهلالي» تحت (تراجم ومناقب ٢٥)، وهي منشورة في مجلة «الجامعة السلفية»، المجلد الثالث عشر، العدد السادس، يونيو ١٩٨١م، (ص ٥-٧)، وهي بعنوان: (منقبة المجاهد الأكبر محمد الخامس طيب الله ثراه)، وقبل الأبيات فيها: «هذه المنقبة العجيبة نظمتُها في قصيدة أثبتها كلها هنا، ونصها: . . .»، وساق الأبيات، وبعضها في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١١٠)، وعلامة ذلك وضع (*) قبلها، وقبل الأبيات فيه: «قال مادحًا الحسن الثاني بمناسبة المسيرة الخضراء».

(٢) بدل ما بين المعقوفين في «قرة العين»: «قال محمد تقي الدين: قلت ليلة السبت التاسع عشر من ذي القَعْدة سنة ١٣٩٥هـ، بمناسبة المسيرة الخضراء:».

(٣) بدل ما بين المعقوفين في «قرة العين» و«الجامعة السلفية»: «المغارب كلها».

(٤) «من مدح عبد الهادي بوطالب الفاسي، من حزب الشورى والاستقلال، وكان وزيرًا للعدل، ومن عجيب أمر الدكتور أَنْ يمدح مثل هذا! وهو وزير لعدلية كافرة تحكم بقوانين فرنسا». (بو خبزة).

(٥) البيت في «قرة العين»، و«السلفية الوهابية»، ومجلة «الجامعة السلفية» هكذا:

حَبَاكُمْ إِلَـهُ النَّاسِ جَـلَّ جَلَالُـهُ مَلِيكًا عَظِيمًا فِي السِّيَاسَةِ وَالأَدَبْ

وما بين المعقوفين في «منحة الكبير المتعالي» نسخة (بو خبزة) غير واضح، وقد تتبع (بو خبزة) =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[أَبَـــا طَالِـــبٍ لِلْمُعْـــضِلَاتِ يَزِيـــحُهَا

وَمَـــنْ غَـــيْرُهُ فِـــي مِثْلِهَـــا كَـــانَ يُرْتَقَـــبْ

أَقَـــامَ بِـــدَارِ الْعَـــدْلِ صَرْحًـــا مُـــشَيَّدًا

وَأَبْدَلَـــهَا مِـــنْ عُجْمَـــةٍ لُغَـــةَ الْعَـــرَبْ

وَوَحَّـــدَ فِيهَـــا الْـــحُكْمَ طِبْـــقَ وَتِـــيرَةٍ

تُقَـــرِّبُ أَقْـــصَاهُ وَتُـــخْلِيهِ مِـــنْ شَـــغَبْ

وَهَـــذَا زَمَـــانٌ فِيـــهِ قَـــدْ جَـــاءَ دَوْرُكُـــمْ

لِتَحْظَـــوْا بِـــمَا قَـــدَّمْتُمُوهُ مِـــنَ الطَّلَـــبْ][1]

[يُقَـــدِّمُ ذِكْـــرَ اللهِ فِـــي كُـــلِّ مَطْلَـــبٍ

فَيُتْحِفُـــهُ الـــرَّبُّ الْكَـــرِيمُ بِـــمَا طَلَـــبْ

* تَقَـــدَّمَ لِلـــصَّحْرَا بِحَـــزْمٍ وَحِكْمَـــةٍ

غَـدَتْ عِنْـدَ كُـلِّ النَّـاسِ مِـنْ أَعْجَـبِ الْعَجَـبْ

* مَـــسِيرَتُهُ الْخَـــضْرَا الَّتِـــي ذَاعَ صِـــيتُهَا

وَسَارَتْ[2] مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبْ

بقايا أثر الحروف بخط يده، وفيها بدل (لله دره): (ألف درة)، والتصحيح من نسخة الأصل.

(١) سقطت هذه الأبيات التي بين المعقوفين من «قرة العين» ومجلة «الجامعة السلفية».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «وحارت».

* فَمَا خَطَرَتْ[١] يَوْمًا بِبَالِ مُفَكِّرٍ
بِعَصْرِكُمُ[٢] أَوْ فِي الزَّمَانِ الَّذِي ذَهَبْ
وَسَارَتْ[٣] وُفُودُ الْعُرْبِ تَحْتَ لِوَائِهَا
مُنَظَّمَةً مِنْ دُونِ لَغْوٍ وَلَا صَخَبْ
تَلَتْهَا وُفُودٌ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ
تُمَجِّدُ إِنْصَافًا وَتُنْذِرُ مَنْ غَصَبْ
بِأَيْدِيهِمُ الْقُرْآنُ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
يُفَرِّجُ عَنْهُمْ مَا عَرَاهُمْ مِنَ الْكُرَبْ
فَأَكْرَمَ رَبُّ النَّاسِ بِالنَّصْرِ عَبْدَهُ
وَآتَاهُ مَا يَبْغِيهِ مِنْ كُلِّ مَا ارْتَقَبْ
فَأَضْحَى عَدُوُّ السِّلْمِ حَيْرَانَ ذَاهِلاً
وَقَدْ مَسَّهُ دَاءُ الْجُنُونِ مِنَ الْغَضَبْ
وَمَا ضَرَّ إِلَّا نَفْسَهُ بِعَدَاوَةٍ
لِتَحْرِيرِ قُطْرٍ مَسَّهُ الذُّلُّ وَالْعَطَبْ

---

(١) في مجلة «الجامعة السلفية»: «خاطرت».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «بعصرهم».

(٣) في مجلة «الجامعة السلفية»: «وصارت وفودٌ من شعوب كثيرة» مع عجز البيت الآتي.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

* فَحُـــرِّرَتِ الـــصَّحْرَاءُ وَابْـــيَضَّ وَجْهُهَـــا

وَعَـــادَتْ إِلَـــى الْأُمِّ الْـــحَنُونِ بِـــلَا تَعَـــبْ[(١)]

عَلَـــيْكُمْ بِحَمْـــدِ اللهِ جَـــلَّ جَلَالُـــهُ

وَشُـــكْرِ أَمِـــيرِ الْـــمُؤْمِنِينَ فَقَـــدْ وَجَـــبْ

فَمُـــدُّوا(٢) لِـــهَذَا الـــشَّهْمِ أَيْـــدِي تَعَـــاوُنٍ

بِـــصِدْقٍ وَإِخْـــلَاصٍ لِكَـــيْ تَبْلُغُـــوا الْأَرَبْ

فَـــلَا نُجْـــحَ(٣) فِـــي الـــدُّنْيَا بِـــدُونِ تَعَـــاوُنٍ

وَلَا نَيْـــلَ لِلْعَلْيَـــا إِذَا لَـــمْ يَكُـــنْ سَـــبَبْ

وَلَا عِـــزَّةً لِلْمُـــسْلِمِينَ بِغَـــيْرِ مَـــا

أُعِـــزَّ بِـــهِ أَسْـــلَافُهُمْ(٤) فِـــي مَـــدَى(٥) الْـــحِقَبْ

وَمَـــنْ رَامَ مِـــنْهُمْ دَرْكَهَـــا(٦) بِانْحِرَافِـــهِ

عَـــنِ الْقَفْـــوِ لِلْقُـــرْآنِ أَدْرَكَـــهُ الْعَطَـــبْ(٧)

---

(١) الأبيات التي بين المعقوفين ليست في «منحة الكبير المتعالي»، وإنما هي في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية».

(٢) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «ومدوا».

(٣) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «خير».

(٤) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «الأسلاف».

(٥) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «غابر».

(٦) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «نيله».

(٧) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «الحرب».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

سَـــوَاءٌ أَوَلَّى وَجْهَـــهُ نَحْـــوَ مَـــشْرِقٍ

مِـنَ الْأَرْضِ أَمْ وَلَّى إِلَى الْغَـرْبِ[١] فَـاغْتَرَبْ

أَمَـا لَكُـمُ فِـي حَـرْبِ صَـهْيُونَ عِـبْرَةٌ

تُعِيـدُكُمُ[٢] لِلرُّشْـدِ وَالْـحَقِّ عَـنْ كَثَـبْ

فَـــوَاللهِ لَـوْ كُنْـتُمْ جَـمِيعًا عَـلَى الْـهُدَى[٣]

عَـلَى سُـنَّةِ الْـمُخْتَارِ وَالـسَّادَةِ النُّجُـبْ

عَنَيْـتُ صِـحَابَ الْمُـصْطَفَى خَـيْرَ أُمَّـةٍ

لَـهُمْ دَانَـتِ الْأَقْطَـارُ[٤] بِالْعَـدْلِ وَالْقُـضُبْ

لَـجَاءَكُمُ النَّـصْرُ الْـمُبِينُ كَـمَا أَتَـى

لِأَسْـلَافِكِمْ قِـدْمًا عَـلَى عَابِـدِي الـصُّلُبْ

مُلُـوكُ النَّـصَارَى كُلُّهُـمْ بِجُيُوشِـهِمْ[٥]

غَـزَوْا أَرْضَ قُـدْسٍ فِـي هِيَـاجٍ وَفِـي غَـضَبْ[٦]

---

(١) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «من الأرض أم ولّاه للغرب».

(٢) في مجلة «الجامعة السلفية»: «تعيد لكم»!

(٣) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «هدًى».

(٤) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «الأمصار».

(٥) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «بجنودهم».

(٦) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «شغب»، وأثبت (بو خبزة) في الهامش حِذاءها: «إشارة للحروب الصليبية».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَدَامَ سَـــعِيرُ الْـــحَرْبِ قَـــرْنَيْنِ فَانْثَـــنَتْ

جُيُـوشُ النَّـصَارَى فِـي لُغُـوبٍ وَفِـي نَـصَبْ

(أُولَئِـــكَ آبَـــائِي فَجِئْنِـــي بِمِـــثْلِهِمْ)[١]

وَدَعْنِـي مِـنَ الْبُهْتَـانِ وَالـزُّورِ وَالْكَـذِبْ

لَقَـــدْ بَرَعَـــتْ أَعْـــدَاؤُنَا فِـــي سِـــلَاحِهَا

وَفُقْنَـا جَـمِيعَ النَّـاسِ فِـي الْقَـوْلِ وَالْـخُطَبْ

وَلَـــوْ كَـــانَ نَـــصْرُ اللهِ بِالْأَيْـــدِ وَحْـــدَهُ

مَـضَى (هِتْلَـرٌ)[٢] فِـي حَرْبِـهِ دُونَ مَـا حَـرَبْ[٣]

وَلَكِنَّـــهُ بِالْعَـــدْلِ وَالْأَيْـــدِ وَالْـــحِجَى[٤]

وَخُلْـــقٍ كَـــرِيمٍ لَا تُكَـــدِّرُهُ الرِّيَـــبْ

وَقَـــوْلٍ قَلِيـــلٍ مَـــعْ فِعَـــالٍ كَثِـــيرَةٍ

وَخَفْـــضِ جَنَـــاحٍ لِلْقَـــصِيِّ وَذِي الْقُـــرَبْ

فَلِلَّـــــهِ رَبِّي الْـــحَمْدُ فِـــي كُـــلِّ حَالَـــةٍ

عَـلَى الْيُـسْرِ وَالْمَعْـسُورِ فَهْـوَ الَّـذِي يَـهَبْ

---

(١) الهلالان من «منحة الكبير».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «غُلِب».

(٤) في «قرة العين»، ومجلة «الجامعة السلفية»: «ولكنه بالأيد والعقل والحجى».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَلِلْحَسَنِ الثَّانِي ثَنَائِي وَمِدْحَتِي
مَلِيكٌ حَبَاهُ رَبُّهُ أَرْفَعَ الرُّتَبْ
وَبَلَّغَهُ اللهُ الْمُنَى فِي مُحَمَّدٍ
أَمِيرٌ وَلِيُّ الْعَهْدِ شِبْلٌ لَهُ انْتَسَبْ

* * *

[هجاء دكتور . . .]

[١٩] وقلتُ بعد الاستخارة يوم الاثنين خامس رجب الحرام، سنة ١٣٨٢ - ٣/ ١١/ ١٩٦٢[1] [البحر الخفيف]:

خَلِّ ذِكْرَى الصِّبَا وَعَهْدَ الشَّبَابِ ... وَالْهُ عَنْهُ فَمَا لَهُ مِنْ إِيَابِ
فَادَّكَارُ الشَّبَابِ بَعْدَ مَشِيبٍ ... كَاقْتِفَاءِ السَّرَابِ بَعْدَ شَرَابِ
أُذْكُرَنْ قِصَّةَ اللَّئِيمِ أَبِي الدَّفْـ ... ـرِ الْمُسَمَّى مُحَمَّدُ بْنُ حُبَابِ
أَلِفَ الْجُرْمَ وَالتَّشَرُّدَ طِفْلاً ... وَأَتَى فِي الْخَنَا بِكُلِّ عُجَابِ
وَأَبُوهُ كَمْ قَيَّدَتْهُ يَدَاهُ ... بِقُيُودٍ كَانَتْ إِلَى الْأَخْشَابِ
وَإِذَا أَنْجَبَ[2] الْأَبُ ابْنًا شَقِيًّا ... فَهْوَ يَنْبُوعُ مِحْنَةٍ وَعَذَابِ
عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ كَابْنِ نُوحٍ ... إِذْ غَدَا مُغْرَقًا بِقَعْرِ الْعُبَابِ

---

(١) «في هجاء الدكتور محمد عزيز الحبابي». (بو خبزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «رزق»، والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

قِيلَ لِي ذَاكَ فَيْلَسُوفٌ عَظِيمٌ ... قُلْتُ فِي شَطْرِهِ الْأَخِيرِ ارْتِيَابِي

هَلْ سَمِعْتُمْ بِفَيْلَسُوفٍ بِلَا عَقْـ ... ـلٍ يَمِيزُ الْخَطَا وَوَجْهَ الصَّوَابِ

كَمْ بَكَى الْعِلْمُ وَالْمَعَارِفُ لَمَّا ... عَمَّدُوهُ بِمَعْهَدِ الْآدَابِ

كَانَ تَعْمِيدُهُ بِمَاءٍ مُضَافٍ ... لَيْتَهُ كَانَ بِالْحَدِيدِ الْمُذَابِ

وَلِسَانُ الْعُرْبِ الْكَرِيمُ يُنَادِي ... يَا شَقَائِي يَا ذِلَّتِي يَا تَبَابِي

مَنْ مُجِيرِي مِنْ مِحْنَتِي وَبَلَائِي ... مَنْ نَصِيرِي فَقَدْ أَتَانِي مُصَابِي

كَانَ لِي مَعْقِلٌ عَزِيزٌ بِفَاسٍ ... عَفَّرَتْهُ أَعْدَاؤُهُ بِالتُّرَابِ

وَبَدَا فِي الرِّبَاطِ لِي وَجْهُ طِفْلٍ ... كُنْتَ أَرْجُو بُلُوغَهُ لِلشَّبَابِ

كُنْتُ أَرْجُو مِنْهُ ثِمَارًا بِلَا قِشْـ ... ـرٍ وَلَكِنَّ جَمْعَهَا مِنْ لُبَابِ

هَا هُمُ الْيَوْمَ غِيلَةً وَأَدُوهُ ... حِينَ وَلَّوْا عَلَيْهِ هَذَا الْحُبَابِ

يَا بَنِي عَدْنَانَ الْأَشَاوِسَ هُبُّوا ... أَدْرِكُونِي وَشَاهِدُوا الْيَوْمَ مَا بِي

كُلُّكُمْ تَعْرِفُونَ مَا قَدْ رَمَانِي ... بِهِ ذُو الْإِفْكِ مِنْ مَسَاوٍ وَعَابِ

وَهْوَ بِي جَاهِلٌ فَمَا عِنْدَهُ مِنْ ... لُغَةٍ أَوْ صَرْفٍ وَلَا إِعْرَابِ

عَابَنِي قَبْلَ أَنْ يَرَى حُسْنَ وَجْهِي ... يَا لَهُ مِنْ مُكَابِرٍ كَذَّابِ

لَا أَلُومُ الْأَعْدَاءَ كُلُّ عَدُوٍّ ... غَادِرٌ بَلْ أَلُومُكُمْ أَحْبَابِي

وَإِذَا لَمْ أُعَاتِبِ الْيَوْمَ قَوْمِي ... فَلِمَنْ يَا تُرَى يَكُونُ عِتَابِي

لِلِسَانِ الْقُرْآنِ أَعْلَنَ بُغْضًا ... أَيَضِيرُ السَّحَابَ نَبْحُ الْكِلَابِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لُغَةُ الْعُرْبِ رُغْمَ كُلِّ عَدُوٍّ ... شَمْسُ حُسْنٍ لَمْ تَنْتَقِبْ بِنِقَابِ

لَمْ يُحَاوِلْ تَنْقِيصَهَا غَيْرُ فَدْمٍ ... مَا لَهُ فِي الْآدَابِ أَيُّ نِصَابِ

وَفُحُولُ الْأَفْرَنْجِ مُنْذُ رَأَوْهَا ... دَرَسُوهَا بِغَايَةِ الْإِعْجَابِ

وَإِذَا سَلَّمَ الرُّؤُوسُ فَلَا ضَيْـ ... ـرَ عَلَيْهَا مِنْ سِفْلَةٍ أَذْنَابِ

يَا بَنِي يَعْرُبٍ سِمَامَ الْأَعَادِي ... وَغُيُوثَ النَّدَى وَغَوْثَ الْمُصَابِ

إِنْ سَكَتُّمْ عَلَى هَوَانِي فَلَسْتُمْ ... لِي وَلَا أَنَا مِنْكُمُ فِي انْتِسَابِ

أَيُّ شَيْءٍ تَرَكْتُمُ لِعُدَاتِي ... إِنْ فَعَلْتُمْ بِي ذَا وَأَنْتُمْ صِحَابِي

زَعَمَ الْغَمْرُ أَمْسِ أَنِّي عَجُوزٌ ... شَاهَ وَجْهِي وَوُفِّرَتْ أَوْصَابِي

أَشْمَتَ الْغَمْرُ بِي جَمِيعَ الْأَعَادِي ... فِي جُمُوعٍ كَانَتْ مِنَ الْأَجْنَابِ

لَمْ أَجِدْ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرَ جَمَالٍ ... نَصَرَ الْحَقَّ لَمْ يَكُنْ بِالْمُحَابِي

أَلْقَمَ الْغَمْرَ صَخْرَةً جَرَّعَتْهُ ... غُصَّةً قَدْ حَسَا بِهَا كَأْسَ صَابِ

فَالْتَجَا الْغَمْرُ لِلشَّتَائِمِ لَمَّا ... لَمْ يَجِدْ فِي جِرَابِهِ مِنْ جَوَابِ

رُبَّ مُسْتَخْبِرٍ يَقُولُ أَحَقًّا ... إِنَّ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْكُتَّابِ

زَاعِمًا أَنَّهُ الرَّئِيسُ عَلَيْهِمْ ... قُلْتُ ذِي فِرْيَةٌ بِغَيْرِ ارْتِيَابِ

كَيْفَ يَغْدُو مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ حَظْـ ... ـظٌ مِنَ الصَّرْفِ أَوْ مِنَ الْإِعْرَابِ

لَيْسَ يَرْضَوْنَهُ مُضَافًا إِلَيْهِمْ ... لَا وَلَا وَاقِفًا لَهُمْ عِنْدَ بَابِ

إِنْ تَشَأْ أَنْ تَرَى الْحَقِيقَةَ أَبْدِلْ ... عَيْنَ مَا رَامَهُ بِفَاءِ ذُبَابِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

قِيـلَ ذَا شَـاعِرٌ مَـجِيدٌ فَقُلْنَـا ... أَبْـدِلُوا فَـاءَهُ بِـلَامٍ كِـلَابِ

يَا بَنِي الْعُرْبِ دَافِعُوا عَنْ حِمَاكُمْ ... وَاثْـأَرُوا لِلْقُـرْآنِ وَالْأَحْـسَابِ

لُغَـةُ الْـوَحْيِ دَافِعُـوا عَـنْ حِـمَاهَا ... وَاتَّقُـوا اللهَ يَـا أُولِـي الْأَلْبَـابِ

لَا يُـدَبِّرْ شُؤُونَـهَا غَـيْرُ كُـفْءٍ ... مُـؤْمِنٌ بِالرَّسُـولِ بَعْـدَ الْكِتَـابِ

مُخْلِصٌ لَا يَحِيدُ عَنْ سَنَنِ الصِّدْ ... قِ أَمِينٌ فِـي الْـحَقِّ لَـيْسَ يُحَابِـي

ذِي صِـفَاتٌ جَـمِيعُهَا وَسِـوَاهَا ... مِـنْ خِـصَالِ الْأَجِلَّـةِ الْأَقْطَـابِ

قَـدْ حَوَاهَـا مُـحَمَّدُ بْـنُ بَـشِيرٍ ... عَبْقَـرِيٌّ مِـنْ سَـادَةٍ أَنْجَـابِ

عَهْـدُهُ فِـي الْآدَابِ كَـانَ حَقًّـا ... حَـافِلاً بِـالْعُلُومِ وَالْآدَابِ

بِمَـنِ اسْـتَبْدَلُوهُ يَـا لَيْـتَ شِـعْرِي ... كَـامْرِئٍ بَـاعَ صَـقْرَهُ بِغُـرَابِ

فَعَفَـا اللهُ عَـنْ أُنَـاسٍ أَقَـامُوا ... شَـيْخَ نَـجْدٍ بِـذَلِكَ الْمِـحْرَابِ

رَاكِـبُ الثَّـوْرِ بَعْـدَ طِـرْفٍ كَـرِيمٍ ... مُنْكِـرٌ لِلْأَظْـلَافِ وَالْأَعْنَـابِ

ذَاكَ بَيْـتٌ قَـدْ قَالَـهُ الْمُتَنَبِّـي ... قُـدْوَةُ الـشُّعَرَاءِ وَالْكُتَّـابِ

وَيْـحَ قَـوْمٍ لَا يَـحْفَظُونَ تُرَاثًـا ... قَـدْ أَتَـاهُمْ مِـنْ غَـابِرِ الْأَحْقَـابِ

مِـنْ جُـدُودٍ غُـرٍّ مَيَـامِينَ أَبْطَـا ... لٍ أَذَاقُـوا الْعِـدَا أَمَـرَّ شَرَابِ

وَبَنَـوا لِلْأَشْـبَالِ صَرْحَ[1] فَخَـارٍ ... مُـشْمَخِرٌّ كَنَاطِحَـاتِ الـسَّحَابِ

❊ ❊ ❊

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «سرح»! والتصحيح من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[هجو مَن أخَّـــر العيد]

[٢٠] وقلتُ في مَن أخَّر العيد بعد ثبوت رؤية الهلال في بلد آخر، من بحر البسيط:

يَا مُرْجِئَ الْعِيدِ جُرْتَ الْيَوْمَ عَنْ رَشَدٍ ... وَاسْتَبْدَلَتْ كَفُّكَ الْأَحْشَافَ بِالرُّطَبِ

خَرَقْتَ إِجْمَاعَ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ... ظَنٍّ دَعَاكَ إِلَى التَّهْوِيسِ وَالشَّغَبِ

مَنْ شَذَّ عَنْهُمْ بِلَا عِلْمٍ وَلَا أَثَرٍ ... يَشُذُّ فِي النَّارِ ذَاتَ الْهَوْلِ وَاللَّهَبِ

صَوَّمْتَهُمْ يَوْمَ عِيدٍ لَا يَسُوغُ لَهُمْ ... فِيهِ الصِّيَامُ ابْتِغَاءَ الْخُلْفِ وَالرِّيَبِ

مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا كَأَنَّكَ لَمْ ... تَسْمَعْ بِقَوْلِ حَكِيمٍ جَاءَ فِي الْخُطَبِ

لَأَنْ تُرَى ذَنَبًا فِي الْحَقِّ أَفْضَلُ مِنْ ... أَنْ تَغْتَدِي فِي ضَلَالٍ عَالِيَ الرُّتَبِ

حَرَمْتَهُمْ سُنَّةَ الْأَضْحَى الصَّلَاةَ وَمَا ... مَعْهَا مِنَ الذَّبْحِ وَالْأَذْكَارِ وَالْقُرَبِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف التّاء)

[شكر أهل شَفْشَاون]

[٢١] وقلتُ في شفشاون[(١)] في حادثة يوم الجمعة ٢٣ صفر ١٣٦٦ موافق ١٧ يناير ١٩٤٧؛ وبيان ذلك:

أنِّي لمَّا زرتُ تطوان في مارس سنة ١٩٤٢ باتِّفاق مع السيد محمد أمين الحسيني للاتفاق مع الوطنيين[(٢)]، وزعيمهم الأستاذ عبد الخالق الطُّرَّيْس على التعاون، وتوحيد

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (٩٧ - ٩٨)، وهي في مكتبة الأستاذ أبي خبزة الخاصة به بخطه، وبعضها في «السلفية الوهابية بالمغرب» (١٠٩) وفي بعض كلماتها تحريف، وليس فيها المقدمة الطويلة التي هنا.

(٢) لم يكن يعرف في وقت محاربة الاستعمار ما سمِّي بعد (التحرير) بالعلمانية، بل كان أعضاء أحزاب الاستقلال فيما بعد يظهرون (السلفية)، تبيَّن لي هذا من مراسلاتهم مع الهلالي، ثم وجدتُ مخلص السبتي يقول في كتابه «السلفية الوهابية في المغرب» (ص ١٣٢) عن بعضهم، قال:

«سألته قائلاً: حدثني غير واحد أن تقي الدين كان مساندًا لحزب الإصلاح الوطني الذي كان زعيمه علمانيًّا، وهو عبد الخالق الطريس؛ فلماذا هذه المساندة مع أن تقي الدين يعتبر من علماء المسلمين؟

أجاب بعنف: مَن قال لك: إن الطريس كان علمانيًّا؟! الطريس مسلم إسلامي، لم نكن نعرف في وقته علمانية، إنما نعرف الإسلام! ولا شيء غير الإسلام . . . مَن كان يقول: مغربي؟! كان يقول: مسلم! الطريس له ثقافة إسلامية؛ فلقد درَّس في تطوان وفاس ومصر وأطر حزبه إنما هم من العلماء؛ أمثال: =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الخطة في محاربة الاستعمار، والسعي في تحسين أحوال المسلمين والعرب.

ولم يكن عندي جواز سفر حقيقي؛ لأن الإنكليز أمروا السفارة العراقية في روما أَنْ تلغيَ جواز سفري؛ فألغَتْه، وكان ذلك في سنة ١٩٤١، وكان الذي ينوب عن العراق بعد قطع العلاقات مع ألمانيا السفارة الأفغانية، إلَّا أنها لا تستطيع أَنْ تجدد جواز السفر، بل كانت تَجْمَع أَجْوِزَة السفر وتبعثها إلى السفارة العراقية في روما؛ فتجدد ما شاءت وترفض ما شاءت.

ولمَّا بعثتُ جواز سفري بواسطة السفارة الأفغانية رُدَّ إليَّ غير مجدد، ومعه ورقة مكتوب فيها: هذا الجواز لا يعترف به!

وسلَّم لي ذلك السفير الأفغاني مكتوبًا باللغة الألمانية، وكنتُ في ذلك الوقت ملزمًا بالحضور إلى مكتب الشرطة القريب من مسكني كلَّ أسبوع، وذلك حكمُ جميع العراقيين، ومَن يخالف يعاقب بالسجن أربعة أيام.

فأخذتُ تلك الورقة التي أعطاني السفير الأفغاني مع الجواز، وذهبتُ بها إلى مكتب الشرطة؛ فلمَّا قرأها رئيس المكتب قال لي: هذه شهادة تدلُّ على أنَّ الجنسية العراقية قد انتزعت منك؛ فقد أعفيناك من الحضور إلى هذا المكتب، ولكن ينبغي لك أَنْ تقدم طلبًا للحصول على جواز الغرباء.

الفقيه النطانجي والتهامي والوزاني وأحمد غيلان والحسن بن عبد الوهاب وغيرهم، أنا مثلاً درَّستُ في المعاهد الإسبانية ولستُ بعلماني!

ولنعد إلى تقي الدين؛ إنَّ تشبته بدعوة الناس إلى العقيدة الصافية، وتشدده في ذلك قد كاد يدخله السجن، حتى بعد الاستقلال؛ ذلك أنه كان له أشياع كثيرون، وكان في مكناس حيث تكثر الطرق؛ فَدَأَبَ هو على الطعن في أربابها مما أثار الطرقيين؛ فبدأوا يثيرون الفتنة، وكان من نتائج ذلك أن كاد بنهيمة يلقي عليه القبض لولا أن تريث في الأمر وكتب إلى وزارة الخارجية، فأخبر أنه من كبار العلماء الوطنيين؛ فأكبر شأنه ولم يؤذه».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وأظن أن القارئ لا يعرف معنى (جواز الغرباء)، ولذلك أوضح معناه؛ فأقول:

إن الحكومة الألمانية على عهد (هِتْلِر)[١] كانت لا تقبل أَنْ يتجنس بالجنسية الألمانية إلَّا الشعوب الآرية الأصلية.

أما العرب والهنود والأفارقة وأمثالهم؛ فلا يستحقون التجنس بالجنسية الألمانية بناء على رأي (روزنبرك) الذي آمن به (هِتْلِر)[١]، وهو تفضيل الشعوب الآرية على جميع أجناس بني آدم، فلذلك أحدثت الحكومة الألمانية جوازًا سمته: (جواز الغرباء)، يحمله كلُّ مَن يقيم في ألمانيا ممن ليسوا بآريين، ولا يستثنى من ذلك أحدٌ.

وإِنْ كان من أعز أصدقاء حكومة (هِتْلِر)[١] المتعاونين معها؛ كالسيد أمين الحسيني، والسيد رشيد عالي الكيلاني؛ فإنهما كانا يسافران بجواز الغرباء، وهذه إحدى ضلالات فيلسوف الناتيين (روزنبرك)[١] التي أضل بها قومه وما هَدَى!

ولمَّا رأيتُ نفسي بلا جواز؛ كرهتُ أن أحمل جواز الغرباء؛ فكتبتُ إلى الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس، وأنا لا أعرفه إلَّا بالسماع؛ فكان من شهامته أَنْ بعث إليَّ جوازًا على أنِّي مِن سُكَّان تطوان؛ فأخذتُه إلى القنصلية الإسبانية في برلين لتعترف به حتى يمكن استعماله؛ فلقيتُ الكاتب، وصار بيني وبينه حديثٌ ينبغي أَنْ أُثبته لطرافته:

أول ما تكلمتُ معه قال لي: لماذا تتكلم بالألمانية، ولا تتكلم باللغة الإسبانية؟!

فقلتُ له: لا أعرف اللغة الإسبانية.

فقال لي: أمر عجيب! أنت من سكان منطقتنا الإسبانية -يعني: شمال المغرب-، وتعلمت الألمانية ولم تتعلم الإسبانية!

فقلتُ له: إنِّي أقمتُ في ألمانيا سنين ودرستُ في جامعة برلين حتى حصلت على

---

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

شهادة الدكتوراة؛ فلا غرابة في معرفتي باللغة الألمانية.

فقال لي: هل أنت حقًّا من سكان منطقتنا؟

فقلتُ له: أنا وطني، لا أعترف بتقسيم المغرب إلى مناطق فرنسية وإسبانية ودولية.

أما كوني من سكان الشمال؛ فعندي جوابان: أحدهما حقٌّ، والآخر باطل، فإن كنتَ تُحبُّ الحقَّ وتؤيده وتنصر أهله؛ أجبتُك به، وإنْ كنتَ مُوظَّفًا تحكم بما ترى أمامَك من الشواهد الظاهر؛ فأجبتُك بالباطل؛ فاختَرْ أيهما تريد.

فقال لي: أختار الحقَّ.

فقلتُ له: إذن أتكلم معك على أنك رجلٌ تحبُّ الحقَّ والإنسانية! لا على أنك كاتب القنصلية!

فقال: نعم.

فقلتُ له: أنا من سكان جنوب المغرب الشرقي، ولم أَرَ شمال المغرب قطّ؛ لا تطوان ولا غيرها، ولكنني رجل أُدافع عن وطني، وقد نفتني فرنسا منه غيابيًّا، واشتدت العداوة بيني وبينها، وكانت لي جنسية عراقية؛ فنُزعت مني أيضًا بسبب وطنيتي وإخلاصي لقومي!

وفي المنطقة التي تحت حمايتكم عدد غير قليل من أمثالي، وقد كتبتُ إلى أحد أصدقائي في تطوان، وبعثَ إليَّ بهذا الجواز؛ فأرجو من فضلك تصديقه لأتمكن من السفر به، ويكون مُعرِّفًا لشخصي.

فقال لي: أنت الآن قد اعترفتَ بأنك من المنطقة الفرنسية؛ فكيف نُصدِّق جوازًا يشهد أنك من المنطقة الإسبانية؟!

فقلتُ: أنا لم أعترف حتى خيّرتُك بين الحقِّ والباطل، وأخبرتُك على أنك رجل تُحبُّ الحقَّ! أفتعاقبني على ذلك بعد ما وعدتني؟!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فأمسك رأسه بيده، وأخذ يفكر هنيهة، ثم قال لي: سأعرض هذا الأمر على القنصل وأنظر رأيه.

وغاب قليلاً ثم رجع إليَّ، وقال لي: نحن لا نستطيع أن نعينك بشيء إلَّا بأمر واحد، وهو أن نكتب في هذا الجواز: (شُوهد حامله في القنصلية الإسبانية ببرلين بتاريخ كذا وكذا).

فقلتُ: شكرًا! أنا لا أطلب أكثر من هذا، وخَتَم لي على الجواز، وبقي عندي إلى أنْ سافرتُ به إلى تطوان في قصَّةٍ أضرب عنها صفحًا تكاسلاً عن إملائها.

فلمَّا وصلتُ تطوان؛ اتصلتُ بالزعيم الوطني عبد الخالق الطُّرَيْس، وكتب في صحيفة «الحرية» التي كان يصدرها حزبه مقالاً طويلاً في التنويه بشأني والثناء على وطنيتي؛ فأيقظ ذلك الحكام الإسبانيين، وحسبما أخبروني بعد ذلك زاد في شكهم وريبتهم أني لم أزرهم ولم أعرّفهم بنفسي، وبالغرض من مجيئي، واعتقدوا أني جاسوس ألماني أسعى في تمهيد السبيل لاستيلاء الألمانيين على تلك المنطقة.

وزاد في الطين بِلَّة أني أخذت أنشر مقالات في صحيفة «الحرية» بدون توقيع؛ فعرفوا أني صاحبها! فدعاني مدير الشرطة العام إلى مكتبه، ورافقني الحاج أحمد الطُّرَيْس أخو الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس؛ فأخذ مني مدير الشرطة جواز السفر، وأخذ يسألني، ويكتب الأجوبة مدة ثلاث ساعات، ثم قال لي: سأمسك عندي جواز السفر حتى أستنسخه وأرده إليك؛ فلم يرده إلى يومنا هذا، وبقيت بلا جواز!

فلما مضى على إقامتي بتطوان نحو أربعين يومًا تحيل الحكام الإسبانيون في الاجتماع بي، ونسيتُ أَنْ أذكر أن الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس بعد حادثة مدير الشرطة العام نقلني الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس من الفندق إلى بيته، وأعطاني غرفةً مجاورةً لغرفة نومه؛ فقلتُ له: لماذا؟ أنا لا أدفع إلَّا عشر بسيطات في اليوم في الفندق، وهذا لا يكلفني شيئًا ذا بال.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فقال لي: أنا لم أنقلك لأجل مساعدة مالية، وإنما نقلتك خوفًا عليك من الإسبانيين؛ لأنهم أهل غَدر؛ فبعد ما قلبوا لك ظهرَ المِجَنِّ! وكشروا عن أنيابهم؛ يمكن أن يأخذوك ذات ليلة فتمسي ولا تصبح هنا، ولا نعرف أين أخذوك!

وبقيتُ في بيته عشرة أشهر، وهذا شأنه مع جميع إخوانه الوطنيين؛ فقد فعل مثل ذلك مع الشيخ المكي الناصري[1]؛ فأقام في بيته سنتين، وفعل ذلك مع الحاج أحمد

---

(١) هو الأستاذ محمد المكي الناصري، من نبغاء العلماء، ومن رجال الثقافة الذين عرفهم الرباط؛ إذ كان من مواليده ومسقط رأسه سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م، خالف الدراسة في مراحلها متدرجًا من الابتدائي إلى الثانوي حتى العالي، حيث أنهى دراسته الجامعية سنة ١٩٣٢، ومن أشهر أساتذته بالمغرب وببلده رباط الفتح الحافظ السلفي أبو شعيب الدكالي، والمحدث الواعية محمد المدني ابن الحسني، وأخوه المرحوم الحاج محمد الناصري، والعلامة المطلع محمد السائح، وبالشرق: منصور فهمي، بوطه حسين، وأحمد أمين، وعبد الحميد العبادي، كما تلمذ على بعض المستشرقين الإيطاليين والألمانيين والفرنسيين.

ومن وراء تلك الدراسات المهمة كان له إنتاج قيم وبحوث علمية لها أهميتها المرموقة في الثقافة العربية؛ منها: كتابه «إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة» طبع بتونس سنة ١٩٢٥م، تقييد حرره ضد الخرافات والبدع المنسوبة للدين، ومنها: كتابه «حياة سقراط» طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٠م، ومن إنتاجه المفيد «حرب صليبية في مراكش» طبع بالقدس سنة ١٩٣١م، ومنها: «فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى» طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢م، ومن آثاره التاريخية تحريره: «وصايا دينية من ملوك الدولة العلوية» طبع بالرباط سنة ١٩٣٤م، كتبه بمناسبة تأسيس عيد العرش.

ومن مؤلفاته المفيدة كتابه «الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية» طبع بتطوان سنة ١٩٣٥م، تحرير ضم دراسات دقيقة وافية للأوقاف في المغرب مع مقارنتها بالأوقاف في بقية العالم الإسلامي.

ومن آثاره السياسية تقييد أَسْمَاهُ: «موقف الأُمة المغربية من الحماية الفرنسية» طبع بتطوان سنة ١٩٤٤م، هو عبارة عن عرض وتحليل لتاريخ الاحتلال الأجنبي بالمغرب، وكفاح الشعب المغربي للتخلص من هذا الاحتلال، وألحق به بحوثًا ومقالات أخرى مترجمة.

كما أن المترجم الناصري قام بتعريب عدة أبحاث ومستندات سياسية من اللغة الفرنسية، =

بلافريج[(١)]؛ فأقام عنده مدَّةً؛ فجزاه الله خيرًا.

ونشر منها:

١- سياسة الحماية الفرنسية في المغرب، تقرير سرِّي للمارشال ليوطى، سنة ١٩٢٠، طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٨م.

٢- «كيف تمت مؤامرة الظهير البربري»؛ احتوى محاضر جلسات اللجنة السرية المكلفة بوضع مشروع الظهير سنة ١٩٣٠م، طبع بتطوان سنة ١٩٤١م.

هذا وأكثر ما كتبه من المقالات والبحوث يوجد منشورًا في الصحف والمجلات التي أصدرها بالعربية والفرنسية والإسبانية، كما يوجد قسم كبير منها منشورًا في الصحف والمجلات الشرقية والأجنبية؛ ترجمته في «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» (ص ٢٥٦-٢٥٧).

(١) هو الأستاذ أحمد بلافريج الرباطي، من الرعيل الأول الذين عنوا بدراسة اللغتين العربية والفرنسية؛ فبعد دراسته الإعدادية توجَّه إلى فرنسا بقصد إتمام تعليمه هناك، ثم رحل إلى الشرق العربي؛ فدرس بجامعة مصر، وكان في هذه الأثناء يعمل لصالح بلاده كمواطن صالح هيأته الظروف ليخدم وطنه ضد فرنسا المتعسفة بلسانه وقلمه، لحد حكمت عليه حكومة الحماية الفرنسية بالإعدام أيام مقيمها العام (نوجيس)، الشيء الذي اضطر معه للالتجاء إلى إسبانيا.

والحديث عن الأستاذ بلافريج سواء من الناحية الثقافية أو الوطنية خاصة طويل، وقد كان عمدة في حزب الاستقلال وكاتبه العام، ترجم كتابًا باشتراك مع الأستاذ محمد الفاسي المسمى: «أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين» طبع سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م، والكتاب في مضمونه يحتوي محاضرتين ألقاهما الكاتبان الفرنسيان الأخوان (جيروم وجان طارو)، ورغم صغره؛ فهو في الحقيقة كبير، إذ كشف في اختصار عن أسرار عظمة الدولتين، ولا عجب فقد انتصرت؛ الأولى: في موقعة الزلاقة، الحاسمة التي أبقت على الإسلام بتلك الديار المسلوبة قرونًا بعد أن أوشك على الانقراض، والثانية: في موقعة الأرك الظافرة.

والذي لا يكاد يُنسى تاريخًا هو ما أنجبته الدولتان معًا من رجال وأبطال؛ كيوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن ويعقوب المنصور، وقد حلَّى هذه البساتين كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان بمقدمة أطرى فيها الكاتبان الأَخَوَان -جيروم وجان طارو- اللذان لهما غير هذا من المصنفات عن المغرب وعن الأطلس الجبار منصفين المسلمين إنصافًا لم يعهد مثله من الكُتَّاب الأجانب؛ إذ أعطيا =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وبعد إقامتي في تطوان نحو أربعين يومًا تحيل الحكام الإسبانيون في الاجتماع بي؛ فقالوا للباشا محمد أشعاش[١]: أُدْعُه إلى بيتك الذي في خارج تطوان لشرب الشاي، ونحن نأتيك كأننا زائرون ولا علم لنا بوجوده، حتى نتكلم معه ونعرف حقيقته!

فجاءني الباشا، وقال لي: عندي عزيب[٢] على مسافة قليلة من تطوان، أُريد أَنْ أُريكَ إيَّاه؛ فأنا أدعوك لشرب الشاي فيه غدًا على الساعة الخامسة، وسأبعث إليك خليفتي بالسيارة.

فأجبتُه إلى ذلك، وأخبرتُ أبا مثواي الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس؛ فقال لي: لا بد أَنْ أذهب معك؛ فإني لا آمن عليك من مكايد المستعمرين وأذنابهم؛ فذهبنا في الوقت المذكور، ولم يكد يستقر بنا الجلوس حتى جاء الحكام الإسبانيون؛ فاعتذر إليَّ الباشا اعتذارًا كاذبًا، وقال لي: كنتُ أحب أن أجلس معك ساعة نتحدث، وإذا بهؤلاء القوم

نظرة تحقيق وتمحيص عن حضارة الإسلام في المغرب والأندلس وشمال إفريقيا؛ نظرةٌ أتت على عكس نغمة التحامل الذي يقذفه ما في بعض الصدور من البغض كتَرَّهات لويس بوتران، وأضرابه من أعداء الإسلام والمكذبين بفضائله، والمكابرين في الحضارة العربية ومصاعدها، والساعين في هدم منارها، والإتيان عليها من قواعدها لأسباب سياسية؛ إلى آخر ما يحيكه للإسلام وحضارته.

لذا كان تأليف الأَخَوَيْن ذا قيمة صادقة عن الحضارة العربية في البلاد المشار إليها، أضف إلى هذا ما زين به من صور أثرية تُوحي بعظمة الفن العربي ودقته.

والأستاذ بلافريج تقلَّد منذ الاستقلال عدَّة مناصب سامية وسياسية في الدولة، وكان يشغل منصب (الممثل الشخصي) لجلالة الحسن الثاني.

ويبدو من خلال ذلك أن سياسة الوظيفة صرفته عن المسيرة الثقافية، وقديمًا قيل: «العلم غيور»؛ لا يتحمل الاشتراك؛ ترجمته في «التأليف ونهضته بالمغرب» (ص ٢٩-٣٠).

(١) رسمها في الأصل: «عشعاش»، والمثبت من تصحيحات نسخة (بو خبزة).

(٢) لعلها مزرعة؛ كالعِزْبة عند المصريين.

جاؤوا؛ فلم أستطع ردَّهم، فجلسوا وعرَّفهم بي وعرَّفني بهم، وفي الحين أخذوا يسألونني من أين جئت؟ وما هو الغرض من مجيئك؟ وماذا كنت تفعل في ألمانيا؟ إلى آخر أسئلتهم؛ فأجبتهم عنها كلها!

فلما سمعوا أني درستُ في ألمانيا وحصلتُ على شهادة الدكتوراة قالوا لي: هل تسمح لنا بالاطلاع على شهادتك وأطروحتك التي نلتَ بها هذه الشهادة، فقلتُ: سأقدم لكم نسخة من الأطروحة هديةً.

وأما الشهادة؛ فأريكم إياها لتطلعوا عليها وتردوها إليَّ؛ فقالوا: نحتاج إلى ثلاثة أيام لترجمتها بالإسبانية، فقلتُ: لا بأس.

فقال الأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس: أنا أدعوكم لشرب الشاي في بستاني خارج تطوان، ويكون الدكتور الهلالي حاضرًا؛ فيطلعكم على ما تريدون الاطلاع عليه.

وفي اليوم التالي لم أستطع الحضور؛ لأني كنتُ أخذت تلقيحًا مضادًّا للحمَّى (التفويدية)؛ إذ سمعتُ بوجودها في تطوان، ولا وجودَ لها في ألمانيا؛ فأصابتني الحمَّى بعد التلقيح، ومنعتني من الحضور.

فسلمتُ إلى الأستاذ الطُّرَيْس الشهادة والنسخة من الأطروحة، وكلتاهما باللغة الألمانية طبعًا؛ فسكتوا عني! وسكتُّ عنهم!

وبعد مدَّةٍ طلبوني إلى المراقبة؛ فقالوا لي: نحن لا نكتم عنك أننا لا نزال في شكٍّ من أمرك؛ فإنك جئت إلى هذه المنطقة، واتصلت بالوطنيين، ولم تزرنا! ولم تخبرنا بغرضك من هذه الزيارة!

فقلتُ لهم: حسبما أعلم من أحوال البلاد التي أقطنها -وهي العراق-، والبلاد التي أقمت فيها ست سنين -وهي ألمانيا-؛ لا ينبغي للمسافر أن يزور حكام البلاد إلَّا إذا كان يعرفهم، أو كانت له حاجة عندهم، وإنْ لم يكن كذلك تكون زيارته لهم من العبث، ولا يستقبلونه.

فقالوا لي: أما عندنا فالأمر بالعكس، وينبغي لكل زائر من الأجانب أن يزور

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الحكام، ويطلعهم على غرض زيارته، وإلَّا عُدَّ مُريبًا!

والآن نقترح عليك -إذا شئتَ- أنْ تقيم في هذه المنطقة بأمان أنْ تنشر مقالاً في صحيفة «الحرية» لسان حزب الإصلاح الوطني التي نشرتَ فيها مقالات كثيرة بلا توقيع، وظننتَ أنها تخفى علينا، وتذكر في هذه المقالة بالتصريح أن ألمانيا لا حقَّ لها في شمال المغرب! وأنْ لا تنشر أيَّ كلمة، أو تخطب، أو تلقي درسًا إلَّا بإذنٍ منا؛ فإنْ أَبَيْتَ؛ ففي إمكاننا أنْ نسلمك إلى الفرنسيين؛ لأنك لستَ من أهل هذه المنطقة؛ فقبلتُ الشروط!

ثم أخبرت الأستاذ الطُّرَيْس، وبعد الاتفاق معه؛ كتبتُ مقالاً بعنوان: «كيف وجدتُ المغرب»، وجعلته ثلاثة أقسام: قسم يختص بالتعليم، وقسم يختص بالمعيشة، وقسم يختص بالسياسة؛ فقررت في القسم الأول أنَّ الإسبانيين قد بذلوا أموالاً وجهودًا في تعليم المغاربة وتثقيفهم؛ فبقي على المغاربة أن يحسنوا استغلال ذلك في رفع مستوى التعليم والثقافة في بلادهم.

وكتبتُ في القسم الثاني أنَّ الإسبانيين قد أحسنوا في توليد المواد الغذائية في المنطقة، حتى إنَّ الخبز يكاد يكون معدومًا في إسبانيا نفسها، وهو موفور في تطوان ليلاً ونهارًا؛ يشتري منه الإنسان ما شاء بثمن رخيص بدون قيد ولا حصر.

وكتبتُ في القسم الثالث أنَّ المغرب لم يتقدم خطوة واحدة في الناحية السياسية، وقلت فيه: «إنَّ المغرب للمغاربة وحدهم، لا حقَّ فيه لفرنسة ولا لألمانيا ولا لأسبانيا ولا غيرهم من الدول»، ووافق على هذا المقال الزعيم عبد الخالق الطُّرَيْس، ونُشِرَ في صحيفة «الحرية»[1]؛ ففرح به الإسبانيون، ورضوا وعَلِمُوا أنهم كانوا على ضلال فيما اتهموني به.

ومن جملة ما شرطوا عليَّ حين أعطوني تعريفًا شخصيًّا: أن لا أزور البادية، ولا المدن الصغيرة، وبعد ذلك بمُدَّةٍ أصبتُ بمرض الربو، وصرت بحاجة إلى تبديل الهواء

---

(١) العدد (٧٧١)، السنة السادسة، يوم السبت، ٢١ جمادى الأولى ١٣٦١هـ - ٦ يونيه ١٩٤٢م، (ص ١)، وهي ضمن كتابنا «مقالات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الرطب بالهواء الجاف، وهذه المنطقة كلها مستطيلة على شاطيء البحر المتوسط، لا يزيد عرضها على ٥٠ كلومترًا في أوسع النواحي، وكان دوائي أَنْ أُقيم في الصحراء حيث الهواء الجاف، لكن لسان الحال ينشد:

فَيَـا دَارَهَـا بِالْـخِيفِ إِنَّ مَزَارَهَـا قَرِيـبٌ وَلَكِـنْ دُونَ ذَلِـكَ أَهْـوَالُ[1]

فالفرنسيون بالمرصاد، وقد حبسوا رجلاً اتُّهم بأنه يراسلني سنتين، ونفوه من بلده، وهو السيد محمد بن عبد الله المقيم بخنيفرة؛ كما حدثني هو بنفسه.

فالتمست من المراقبة أَنْ تسمح لي بالسفر إلى (شفشاون)[2]؛ لأن أرضها مُرتفعة، وتبعد عن البحر ثلاثين كلومترًا؛ فسمحوا لي بذلك، وأقمت خمسة أشهر فيها؛ فاجتمع عليَّ الوطنيون هناك لطلب العلم، وكنا نجتمع كثيرًا ليلاً ونهارًا؛ فكتبَ مراقب شفشاون إلى تطوان وأخبرهم بذلك، وبدأت أُلْقي درسًا في الجامع الأعظم بدون استئذان.

وهناك أمر آخر هو أدهى وأمر؛ كتب إليَّ الشيخ حسن البنا -رحمة الله عليه- أَنْ أكتب إليه بأخبار المنطقة مقالات، ينشرها في «صحيفة الإخوان المسلمين» اليومية؛ فتبرعت بذلك، ورفضت ما عرضه عليَّ من المكافأة المالية، وصرت كلما كتبت مقالاً أذهب إلى مكتب البريد البريطاني، وأرسله مُسجّلاً بالبريد الجوي، وكان المستعمرون يبذلون الأموال للمواطنين المغاربة في البريد البريطاني ليطلعوهم على كلِّ رسالة يشكُّون فيها؛ فتمكنوا من الاطلاع على بعض تلك المقالات التي تكشف جرائمهم الاستعمارية؛ فأعطوا مراقب شفشاون الأمر أَنْ يُدبِّر مكيدةً للقبض عليَّ، ونفيي من شفشاون.

واشترك في هذه المؤامرة الذي تولى كِبْرها (كَسَاسْ) الذي كان مسيطرًا على مراقبة

---

(١) من شعر أبي العلاء المعري، ولم أجده في «ديوانه»، أو «سقط الزند» وشروحه، والبيت له قصة انظرها في «الأنساب» للسمعاني (٣/ ٧١-٧٢)، و«الأذكياء» (ص ٢٥٣)، وفي بعض المصادر: «بِالحَزْنِ» بدل من: «بِالخِيفِ».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

تطوان ومراقبُ شفشاون؛ هذان من الإسبانيين، ومن المغاربة المنافق الكبير المدعو أفيلال، الذي كان وازرًا للعدلية! ولا أقول: وزيرًا! وستأتي -إنْ شاء الله- قصيدة في هجوه في حرف الراء[١]، وقاضي شفشاون الحسن العمرتي[٢]، وباشا شفشاون اليزيد بن صالح، وستأتي -إنْ شاء الله- قصيدة في هجوه في حرف الدال[٣].

وسلكوا طريقًا غريبًا في نصب الحبائل، وذلك أني كنتُ نهيتُ قرَّاء القرآن جماعة يوم الجمعة في الجامع الأعظم، والناس ينتظرون الخطيب، ووعظتهم بالتي هي أحسن؛ فتركوا القراءة لأنها بدعة محرمة، وفيها مفاسد، ليس هذا موضع ذكرها، ومضى على ذلك أربعة أشهر، واقتدى بهم القراء في المساجد الأخرى من شفشاون.

فلما أراد المستعمرون الانتقام مني شاوروا الباشا المذكور في تدبير مكيدة يسترون بها جريمتهم؛ فقال لهم اليزيد: قد وجدتها لكم؛ بشرط أن يتعاون معي وزير العدلية أفيلال؛ فيصدر فتوى بجواز قراءة القرآن في المسجد وقت انتظار الخطيب جماعة بصوت واحد، كما يفعل النصارى في كنائسهم في الترنيمات، وبعد صدور الفتوى أمر القراء أن يعودوا إلى القراءة فيجيء محمد تقي الدين ويعود إلى وعظهم ونهيهم؛ وحينئذٍ أقبض عليه بدعوى التشويش في المسجد.

وكذلك فعلوا؛ فصدرت الفتوى، ورأيتها بعيني في يد الوازر أفيلال، وقد جعلوها طويلة عريضة تقارب المتر طولاً، وعرضها كأوسع ما يكون من الصفحات.

ولما أحضروا ذلك يوم الجمعة ٢٣ صفر ٦٦هـ ذهب الباشا يزيد بن صالح، وأخذ معه خمسة من الشرطة المسمين بالمخازنية، وأمر القاضي الحسن العمرتي بالحضور في

---

(١) انظر (مقطع ٧٥).

(٢) ستأتي قصيدة في هجوه؛ انظر مقطع (١٤٠).

(٣) انظر (مقطع ٤٣).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الجامع الأعظم، ولم[١] تكن لهما عادة أَنْ يُصلِّيا فيه الجمعة؛ فجاءني النذير من إخواننا، وأخبرني بالمؤامرة، ونَصَح لي أن لا أُصلي الجمعة في الجامع الأعظم، وإِنْ أبيتَ إلَّا الصلاة فيه أَنْ لا تتكلم؛ فبقيت في حيرة، وأنا مريض مختنق بالربو، وترددت قليلاً، ثم عزمتُ، وعلى الله توكلت؛ فذهبتُ إلى المسجد، وصليت ركعتين تحية المسجد، ثم وقفتُ على القرَّاء، وذكرتُ حديثًا عن النبي ﷺ في النهي عمَّا يفعلون[٢]؛ فما كِدْتُ أكمله حتى سمعتُ صوتًا يقول: (أشت!) بمعنى: اسكت!

فقلتُ: اسكت أنت يا ظالم! أبمثل هذا يقابل حديث رسول الله ﷺ؛ فوثب عليَّ خمسة من الشرطة، وقبضوا عليَّ، وأخذوا يجرُّوني في المسجد، فقلتُ لهم: دعوني آخذ حِذائي، فأبوا، ومروا به على القاضي الملعون؛ فوقف ونادى بأعلى صوته: اضربوا الكافر! هذا أمر من الخليفة! يعني خليفة السلطان الأمير حسن بن المهدي، وسيأتي الكلام على ما يتعلق بالخليفة.

فلما رأوني لا أريد الخروج إلَّا بحذائي أخذوا يبحثون عنه؛ فجاؤوني بخمسة أحذية؛ فرفضتها؛ لأن حذائي لم يكن واحدًا منها، ثم جاؤوني بحذائي فاحتذيته، وقبضوا بيدي، وسرتُ معهم، وهم يقولون: (زِيد! زِيد!) ومعناها بالمغربية: تقدَّم! امش!

فقلتُ لهم: أتظنون أنكم تخوفونني؟! أو تحزنونني إنني مسرور جدًّا! وأخذوني إلى مكتب الباشا، وأدخلوني غرفة معدَّةً لتوقيف المجرمين -أي: حبسهم- حتى يتبين أمرهم؛ فوجدتها منتنة بروائح البول؛ فبسطت لبدتي على لوح فيها، وصليت الظهر أربعًا، وقعدت أحمد الله على كل حال، فبعد نصف ساعة سمعت الباب يفتح، وإذا بشرطي يقول: قُمْ! فقمتُ؛ فأخذني إلى غرفة واسعة رائحتها طيبة، وفيها مقعد خشبي، فجلستُ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «ولك»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) صرَّح به في كتابه «الدعوة إلى الله»، وهو قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ؛ فَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُؤْذِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»، وسيأتي تخريجه (ص ٣٦٠)، والحديث صحيح.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

عليه، وبعد ساعة جاءني الطعام من بيتي، وطلبتُ حصيرًا وزربية والمصحف، وجلستُ.

ولمَّا كان نصف الليل فُتِحَ الباب، ودخل عليَّ الشرطي الذي كان يدفعني أمس، وأخذ يقبِّل يدي ويقول: سامحني يا سيدي! فإني فقير! ولي خمسة أولاد! وما عندي وسيلة للعيش إلَّا هذه الحرفة، وقد أمرني هذا الظالم بما صنعتُ، والآن إنْ شئتَ أنْ تخرج إلى صحن الدار لتستنشق هواءً نقيًّا، أو احتجتَ إلى زيادة فراش، أو أي خدمة؛ فمرني بها! فقلتُ له: جزاك الله خيرًا، لا تثريب عليك، لا أحتاج إلى شيء.

وفي غدِ ذلك اليوم عصرًا -وهو يوم السبت- جاءني السيد عبد السلام بن محمد المؤذن، والسيد محمد العبودي[١]، وهما من خاصة أصحابي من الشبان؛ فدخلا عليَّ في معتقلي، وقال لي السيد عبد السلام: إننا جئنا ظهرًا وتغدَّينا[٢] عند الباشا اليزيد بن صالح، وبلّغته أنَّ والدي السيد محمد المؤذن ساخط كل السخط على معاملته لك! قال: وقلتُ له أنا: أين الصداقة والأُخوّة التي بيننا؟! كيف تقبض على أستاذنا وتخرجه من المسجد، وتحبسه بصورة مخزية لك، وتبقى بيننا وبينك مودة؟!

فقال لي: يا سيدي عبد السلام؛ هذا سِرٌّ لا أستطيع أن أخفيه عنك، ولا أستطيع أن أبوح به لغيرك، إنَّ المراقب الإسباني هو الذي أمرني بالقبض عليه، وقد جاءه الأمر من تطوان بذلك، وأرجو أن تكتم عليَّ هذا الأمر، ولا تخبره به؛ فإنَّ في ذلك خطرًا على منصبي، وغدًا يوم الأحد ما فيه شغل، وفي يوم الاثنين يكون عندكم في تطوان!

فإنْ قلتَ: لماذا يخاف اليزيد بن صالح من السيد عبد السلام ووالده كل هذا الخوف؟

فالجواب: إنَّ اليزيد بن صالح كان متزوجًا بأربع نسوة، ثم تزوج بخامسة؛ فتوجه

---

(١) «توفي!» . (بو خبزة).

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وبدلها في «الدعوة إلى الله»: «كنا».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إليه ابن عمه[١] الشيخ بدر الدين من تطوان، وقال له: لقد أخزيتَنا وأخزيتَ سائر العشيرة! فكيف تتزوج بامرأة خامسة ولم يفعل هذا مسلم قبلك؟! فطلِّقَ الرابعة التي هي حلال، وأبْقى الخامسة التي هي حرام؛ فكان كمن غسل الدم بالدم!

وكلُّ تلك النسوة كُنَّ يَلِدْنَ؛ فكان له أربعون ولدًا ذكورًا، وكان يكسوهم كسوة متشابهة؛ فكانوا يظهرون كأنهم فرقة من الجيش، وكان مُفلسًا على الدوام، فإذا أراد المستعمرون توزيع سِلفة من الحبوب على الأهالي يطلبون منه ثمنها نقدًا؛ فلا ينقذه إلَّا السيد محمد المؤذن؛ فهو يقرضه المال الذي يدفعه للمستعمرين، ثم يأكل هو أكثرَ تلك الحبوب، ويوزع شيئًا قليلاً على أصدقائه، وهذا أمر مألوف بين حكَّام الشعوب المستعمرة[٢].

وفي ضحى يوم السبت نفسه جاءني شرطي، وقال لي: إن المراقب يدعوك للحضور عنده، ولما خرجنا من الباشوية، قال لي: سأذهب بك عبر البساتين حتى لا أمرَّ بك على السوق، فقلتُ له: أنا لا أستحي أنْ أمرَّ على السوق معتقلاً، بل المرور على السوق أفضل عندي، وقد علمتُ أن كثيرًا من الناس يوم الجمعة أرادوا أنْ يزوروني في المعتقل؛ فمُنعوا من ذلك، وقد أوصاه المراقب أنْ لا يمر بي على السوق خوفًا من تجمع الناس واحتجاجهم؛ فأراد أنْ يخفي أمره ويغالطني؛ فلم تخفَ عليَّ مغالطته!

فوصلتُ إلى المراقبة،وبقيتُ أنتظر إدخالي على المراقب؛ فجاءني شيخ من أهل شفشاون، هو فقيه المراقبة، فسلَّم عليَّ، وشكرني على ثباتي، وقال لي: إننا نفتخر بك؛ فقد قلتُ للعوام: أنتم تقولون: إن الفقهاء جبناء! ولا يثبتون في مواطن الفزع! فماذا تقولون في موقف الدكتور الهلالي؟!

---

(١) «بتر -كذا! واسمه: بدر- الدين الميموني؛ لم يكن ابن عم اليزيد». (بو خبزة).

(٢) «وبعد انتقال اليزيد بن صالح إلى باشوية تطوان بعد عزل محمد إشعاش لمواقفه الوطنية، كان يغول أولاده من إتاوة يفرضها على البغايا». (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وأشاع الناس في (شفشاون)[١] أن الباشا طلب منِّي الخروج من المعتقل، وإطلاق سراحي؛ فأبيتُ! وهذا غير صحيح، ولكن الناس إذا عظموا إنسانًا، ومدحوه يبالغون!

ثم أدخلتُ على المراقب؛ فأشار إليَّ بالجلوس، فجلستُ، ودعا بالترجمان، فقال: قل له: إننا نحترم رجال الدين، ونحترم المساجد، ولكن هذا الأمر هو من شأن الباشا؛ لأنه سبَّه على ملإٍ من الناس في وسط المسجد؛ فلم يسعه إلَّا أَنْ يعتقله، وأنا في ذلك الوقت أفهم أكثر ما يقول.

فقلتُ له: لو تكلم قسيس في الكنيسة بأمر من أمور الدين المحضة التي تتعلق بالإنجيل، ولا دَخَل لها في السياسة؛ فهل يبيح قانون الدولة الإسبانية أَنْ يأتي حاكم البلد ويمنعه من الكلام، ثم يقبض عليه ويخرجه من الكنيسة ويحبسه؟!!

فقال لي: إنَّ قانون الدولة الإسبانية يحترم الكنيسة ورجالها، ولا يستطيع حاكم أن يتدخل في شؤونهم.

فقلتُ له: فكيف تدافع عن الباشا، وقد ارتكب أنواعًا من الظلم الذي لا يبيحه القانون؟!

الأول: إنه جاهل بالدين، وتدخل في شؤونه!

الثاني: إنه قبض عليَّ ونحن في انتظار الصلاة في أقدس مكان في البلد، وهو بيت الله، ولم يمهلني حتَّى أُتمَّ الصلاة وأخرج!

الثالث: إنني لم أتكلم برأيي، وإنما ذكرتُ حديث نبينا محمد ﷺ؛ فقابله بقوله: (أشت!)، وهذه إهانة لحديث النبي ﷺ، ولبيت الله!

الرابع: إنه قبض عليَّ بوجهٍ عدواني خارج عن القانون مقصود متعمد!

---

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فقال لي: ما معنى هذا الكلام؟

فقلتُ له: إنه أحضر خمسة من الشرطة وليس من العادة أن يحضرهم، وصاح عليَّ من مكان بعيد، وهو يعلم ضعف بصري وأنني لم أرَه، ولم أعلم مَن هو المتكلم؛ فلو جرى على القانون لبعث إليَّ واحدًا من أولئك الشرط، وقال لي: يقول لك الباشا: اسكت عن الوعظ، وحينئذٍ؛ أمتثلُ أمره أو أخالفه.

فقولي: اسكت يا ظالم! موجهٌ لصاحب الصوت الذي لا أعرف مَن هو، ولم يُعرِّفْني بنفسه، على أنه لو عرَّفني بنفسه ما كنتُ أمتثلُ أمره.

فقال لي: إنه مضطر لحبسك؛ لأنك شتمته أمام رعيته، ولو لم يحبسك لتجرأ عليه الناس، ولم يبقَ له صلاحية الحكم.

فقلتُ له: هل القانون الإسباني يُبيح الحاكم أن يحبس شخصًا بدون ثبوت جريمة، بل لمجرد الإرهاب وإلقاء الرعب في قلوب الرعية؟!

فحاد عن الجواب؛ وقال لي: إن رجال الدين يجب أن يكونوا حلماء!

فقلتُ له: إنما يكون الحلم بعد ثبوت الحقِّ؛ فأثبِتْ لي الحقَّ عليه، وحينئذٍ أسامحه!

فقال لي: أنا لا أتدخل في شؤون المسلمين، ولكن أُشير عليكما بالتصالح، وأنت الآن عاديتَ القاضي، وعاديتَ الباشا؛ فصار من الصعب عليك مساكنتهم هنا.

فقلتُ: لو كان هذا الأمر من القاضي أو من الباشا لفعلاه منذ زمن طويل؛ فإني أنا أعلن هذا الوعظ، وأدعوا إلى الإصلاح في الجامع الكبير منذ خمسة أشهر؛ فلماذا سكت الباشا هذه المدة كلها، ولم ينكر عليَّ، والآن فقط انتبه من نومه، ولكن الحقيقة أنك أنتَ أَمَرْتَهُ بحبسي!

فقال: هذا غير صحيح! وأنتَ أدرى بما تفعل؛ إنْ شئتَ أنْ تصالحه، وإنْ شئتَ أنْ تعاديه؛ فأنتَ حرٌّ.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فقلتُ له: أنا أطالبك أنْ تحكم بالعدل بيني[١] وبينه كما يقتضيه قانون الدولة الإسبانية!

فسكت؛ فعلمتُ أنه لم يبقَ عنده ما يقول؛ فانصرفتُ!

فلما خرجتُ من عنده قال لي الترجمان: يا دكتور! إني محبٌّ لك، ومُشفق عليك، وهذا الذي أنت فيه الآن ليس هو السجن، وإنما هو توقيف، وأحوال السجن قبيحة جدًّا، وأنت مريض لا تتحملها، وإذا ظننتَ أن الحكام -أو غيرهم- في تطوان ينقذونك؛ فإن ذلك أمر مشكوك فيه، وإنْ وَقَع؛ فإنه لا يقع إلَّا بعد أَنْ تمكثَ في السجن زمنًا طويلاً؛ فأرجوك أَنْ تقبل التصالح؛ فامتنعتُ.

فقال لي: أنا أطلب منك -فقط- أَنْ ترافقني إلى لقاء الباشا.

فقلتُ: نعم؛ أرافقك!

فقال لي: انتظرني هنا؛ فرجع إلى الحاكم الإسباني، وقال له: إنه رَضِيَ أَنْ يجتمع بالباشا، وأنا أريد أَنْ أُرافقه إليه، فقال له: لا! الشرطي الذي جاء به يرافقه إلى الباشا؛ فعاد، وطلب مني بإلحاحٍ أَنْ أذهب إلى اليزيد، أتكلم معه، وكان أحد قرابته، وهو السيد ابن اليماني، قال لي: منذ يوم الجمعة، إن الباشا نادم على ما فعل؛ فذهبتُ مع ذلك الشرطي إلى يزيد، وقلتُ: السلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام، وجلستُ على كرسي هناك، وبقينا ساكتين هنيهة، ثم قال: أيها الأستاذ، لقد أحرجت موقفي حين قلتَ لي: يا جاهل، أمام الناس في المسجد، وأنا جاهل حقيقةً، ولكن أيُّ قدرٍ يبقى لي عند الناس مع ذلك، ثم أظهر التأسف على ما فرط منه.

فقلتُ له: إنْ كنتَ تتكلم بالجد؛ فأنا مستعد أَنْ أُسامحك في الدنيا والآخرة بشرط

أَنْ تقول في المسجد الأعظم أمام الملإ يوم الجمعة: (أيها الناس! اشهدوا عليَّ أني كنتُ مسيئًا ومخطئًا فيما صنعتُ مع سُنَّة رسول الله ﷺ ومع المتكلم بها الدكتور الهلالي، وأُشهدكم أَنِّي تبتُ إلى الله من خلاف سُنَّة رسوله، وسألتزمها طول عمري)؛ وبدون هذا الشرط لا أُسامحك أبدًا!

فقال لي: أمهلني حتَّى أُفكر.

فقمتُ وذهبتُ إلى المعتقل مع الشرطي الذي جاء معي، ولم أكن أعلم في ذلك الوقت أنني سأُنقل إلى تطوان غدًا، وسيطلق سراحي، ولكن بعد ذلك ببضع ساعات جاءني السيد عبد السلام، وأخبرني بأني سأنقل إلى تطوان.

النقل إلى تطوان

في سحر ليلة الاثنين؛ فُتِحَ باب الغرفة، فدخل عليَّ شرطيٌّ، وقال لي: احمِلْ ما خفَّ من متاعك، اخرُجْ؛ فأخذتُ لبدة الصلاة، وخرجتُ معه، فتسلمني شرطي آخر عند الباب، وذهب بي إلى مكتب سيارات بلنسيانا، وقال لي: انتظر هنا؛ فبقيتُ منتظرًا حتَّى طلع الفجر، فتيممتُ وصليتُ الصبح، فجاءني الشرطي، وصحبني إلى السيارة، وركب معي؛ فتوجهنا إلى تطوان، ثم أخذني إلى المراقبة، وبعد الاستئذان دخلتُ على (كَسَاس)[1]، ومع قلَّة معرفتي بالإسبانية قلتُ في (كَسَاس) سجعًا وهو:

(Casas qui va a disruir sus Casas)

(كَسَاس هو الذي سيخرب بيوتهم)؛ أعني: المستعمرين الإسبانيين!

فأشار عليَّ بالجلوس؛ فجلستُ، فقال لي: نحن متأسفون على ما وقع، ولم يكن بِوُدِّنا أَنْ تقيم في المدن الصغيرة التي يحكمها حكام صغار، لا يعرفون قدرك! ولكن القضية دينية، وقعت بينك وبين القاضي والباشا، ونحن لا نتدخل في أمور الدين، والآن

---

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أنت حرٌّ؛ إنْ شئتَ أَنْ تسكن في شفشاون فلا مانع عندنا من ذلك، ولكننا نخاف أنْ تتصادم مرَّةً أُخرى مع الباشا والقاضي؛ فيضطر الحاكم إلى التدخل.

فقلتُ له: إنَّ كلَّ ما وقع لي هو بأمر منكم، وقد أقمتُ خمسة أشهر والباشا والقاضي يسمعان دروسي، ولم يتحركا حتَّى صدر الأمر منكم!

فقال: أنا آسف على اعتقادك هذا، وهو خطأ محض!

فقلتُ له: بل هو الواقع!

فقال لي: على كلِّ حال أنت الآن حرٌّ؛ إنْ شئتَ أنْ تسكن في تطوان أو في شفشاون؛ فافعل ما بدَا لك؛ فانصرفتُ.

أما سكَّان شفشاون؛ فقد قاموا وقعدوا لهذه الحادثة، وأقاموا القيامة، وبلغ بهم الأمر إلى أنهم هجروا الجامع الأعظم في الجمعة التالية؛ فلم يُصلِّ فيه أحدٌ منهم إلَّا الغرباء الذين يأتون إلى السوق، وذهب جماعة من الوطنيين إلى طنجة، واحتجوا على هذه الحادثة عند سفير إسبانيا، وأذاعَتْ ذلك إذاعة لندن، وقاطعوا الباشا بقدر جهدهم؛ فقد كانت لهم عادة في أوائل ربيع الأول: أَنْ يُنادي المنادي في الناس بأمرٍ من الباشا أَنْ يجمعوا النقود لشراء ثورٍ يذبحونه في اليوم (١٢) من هذا الشهر على القبة المدعوة سيدي علي بن راشد، ويبيتون ليلةَ الثاني عشر مع باشا المدينة، ينشدون القصائد في المدح النبوي في تلك القبة إلى آواخر الليل.

وبعد هذه الحادثة دخل ربيع الأول، ونادى المنادي، وكان شابًّا؛ فذهب الناس إلى أبيه، وقالوا له: كيف تترك ابنك يُعين هذا الظالم الذي قبض على الدكتور يوم الجمعة بالمسجد الأعظم؟ فدعا الرجل ابنه، فقال: إني فعلتُ ذلك خوفًا منه فقط، وأنا أقول للناس بصوت منخفض: لا تفعلوا لا تفعلوا، ولم يتبرع أحدٌ بِفَلْسٍ واحدٍ لشراء الثور؛ فاضطر يزيد أَنْ يشتريه من ماله الحرام، وما ذُبِحَ لغير الله فهو جديرٌ أَنْ يُشترى بمال حرام، ولم يشاركه أحدٌ من أعيان البلد فيما يُسمون عندهم بإحياء الليلة، وهو في الحقيقة إماتة لها.

وهذا في زمن الاستعمار عمل عظيم، ولا يستغرب مثله من سُكَّان الشمال؛ فإن لهم مواقف مشرّفة في محاربة الاستعمار، لا يتجرأ عليها سُكَّان الجنوب، ولولا خوف الإطالة لذكرتُ أمثلة على ذلك.

وقبل أن أنهيَ الكلام على هذه الحادثة أقول:

إن سلاح الداعي الحق -الذي لا يُفَلُّ-؛ هو: الثبات على الحق، ومطابقة العمل للقول، والاستعانة بالله، والصبر على الأذى.

فقد دعوتُ إلى توحيد الله واتباع سنة رسوله، وترك عبادة القبور، ومخالفة حديث الرسول، والبدع المحدثة؛ أُعلنُ ذلك في الجامع الأعظم خمسة أشهر؛ فقبلَ دعوتي قليلٌ من أهل شفشاون، وعاداها آخرون، **ولكن عامة الناس تأثروا بحادثة اعتقالي ثلاثة أيام أكثر من تأثرهم بالموعظة خمسة أشهر.**

شكر أهل شفشاون، قصيدة من بحر الطويل:

جَزَى اللهُ (شَفْشَاوَنْ)[1] بِخَيْرٍ وَنِعْمَةٍ ... وَنَجَّاهُمُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَنِقْمَةِ

وَصَانَهُمُ مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ ... لَئِيمٍ خَؤُونٍ هَاتِكٍ كُلَّ حُرْمَةِ

مَطَاعِينُ فِي الْهَيْجَا مَيَامِينُ فِي النَّدَى ... أَكَارِمُ شُجْعَانٌ مَصَابِيحُ ظُلْمَةِ

هُمُ نَصَرُوا الدِّينَ الْحَنِيفَ وَعَظَّمُوا ... حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

وَقَالُوا لِدَاعِي الْحَقِّ لَبَّيْكَ إِذْ دَعَا ... وَقَالُوا لِدَاعِي الشَّرِّ أَبْشِرْ بِخَيْبَةِ

وَلَمْ يَرْهَبُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ... وَلَا بَطْشَ خَصْمٍ مُوعِدٍ بِالْأَذِيَّةِ

إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ الرَّسُولِ تَفَتَّحَتْ ... قُلُوبُهُمُ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ لَحْظَةِ

---

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أُنَاسٌ تَوَلَّى اللهُ شَرْحَ صُدُورِهِمْ ... وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وَبِدْعَةِ

وَمَنْ شَرَحَ الرَّحْمَنُ لِلْحَقِّ صَدْرَهُ ... فَلَنْ يَظْفَرَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ بِنَزْغَةِ

وَمَنْ يَنْصُرُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ يَحْظَى بِنُصْرَةِ

وَلَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى شَدَائِدَ جَمَّةً ... كَمَا لَقِيَ الْمُخْتَارُ فِي بَطْنِ مَكَّةِ

وَأَصْحَابُهُ الْغُرُّ الْكِرَامُ وَمَنْ قَفَا ... سَبِيلَهُمُ الْمُثْلَى بِعَزْمٍ وَقُوَّةِ

وَعُقْبَاهُمُ فَتْحٌ وَنَصْرٌ مُؤَزَّرٌ ... وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا اقْتَفَى أَهْلَ رِدَّةِ

وَقَدْ مَسَّتِ الْبَأْسَاءُ خَيْرَ صِحَابِهِ ... وَقَالُوا مَتَى يَا رَبُّ نَحْظَى بِنَجْدَةِ

أَجَابَهُمُ اللهُ الْكَرِيمُ أَلَا اصْبِرُوا ... تَنَالُوا قَرِيبًا كُلَّ[1] نَصْرٍ وَعِزَّةِ

وَذِي سُنَّتِي فِي الْأَصْفِيَاءِ جَمِيعِهِمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْطِيعُ تَبْدِيلَ سُنَّةِ[2]

وَيَا أَهْلَ (شَفْشَاوَنْ)[3] سَلَامٌ عَلَيْكُمُ[4] ... سَتَبْلُغُكُمْ طُولَ الْحَيَاةِ تَحِيَّتِي

وَأَذْكُرُكُمْ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ... وَإِنْ كُنْتُ فِي بَغْدَادَ أَوْ أَرْضِ بَصْرَةِ

وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُخَالِفُ نَهْجَهُمْ ... فَكُلُّ أُنَاسٍ مُبْتَلُونَ بِسِفْلَةِ

وَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أُنَاسٌ جَمِيعُهُمْ ... خِيَارٌ لَمَا كَانُوا سِوَى أَهْلِ طَيْبَةِ

---

(١) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «جل».

(٢) في «الدعوة إلى الله»، و«السلفية الوهابية»: «سنتي».

(٣) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «عليم»! والتصحيح من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَلَا سِيَّمَا وَالْمُصْطَفَى فِي دِيَارِهِمْ ... سِرَاجٌ مَحَتْ أَنْوَارُهُ كُلَّ دُجْنَةِ

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْقَوْمُ جَرَّ عَلَيْهِمُ ... بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ تُيُوسُ مَضِلَّةِ

أَرَاذِلُ عَبَّادُونَ لِلْمَالِ وَالْهَوَى ... وَمَا وَرَدُوا إِلَّا مَوَارِدَ حَمْأَةِ

وَقَدْ عَجَّلَ اللهُ الْعَزِيزُ عِقَابَهُمْ ... فَصَبَّ عَلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ كُلَّ لَعْنَةِ

بِهِمْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ... فَصَارُوا كَبُعْرَانٍ أُصِبْنَ بِحِكَّةِ

وَهُمْ يَدَّعُونَ الْعِلْمَ وَالْعِلْمُ مِنْهُمُ ... مَنَاطَ الثُّرَيَّا مِنْ كَسِيرٍ بِحُفْرَةِ

وَهُمْ يَسْتُرُونَ الْجَهْلَ وَالْجَهْلُ فِيهِمُ ... مُبِينٌ وَهَلْ تُخْفَى ذُكَاءُ[1] بِخِرْقَةِ

[فَيَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ طُرًّا تَمَسَّكُوا ... بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ أَفْضَلِ عُدَّةِ

فَذَاكُمْ سِلَاحٌ لَا يَفُلُّ غِرَارُهُ[2] ... بِهِ تُهْزَمُ الْأَعْدَاءُ فِي كُلِّ وَقْعَةِ

وَلَنْ تَسْعَدُوا وَاللهِ إِلَّا بِقَفْوِهِ ... بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَعَزْمٍ وَقُوَّةِ

فَلَوْ قَامَ كُلُّ النَّاسِ مِثْلَ قِيَامِهِمْ ... لَصِرْنَا كَأَسْلَافٍ لَنَا خَيْرَ أُمَّةِ

وَنِلْنَا الَّذِي نَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَا ... وَأَلْبَسَنَا الرَّحْمَنُ أَثْوَابَ عِزَّةِ

وَرَدَّ لَنَا ذُو الْفَضْلِ غَابِرَ فَخْرِنَا ... وَطَهَّرَنَا مِنْ كُلِّ رِجْسٍ وَوَصْمَةِ

أَلَا فَابْذُلُوا الْأَرْوَاحَ وَالْمَالَ دُونَهُ ... وَأَحْيُوهُ تَحْيَوْا فِي هَنَاءٍ وَغِبْطَةِ

وَوَالُوا عَلَيْهِ مَنْ يُعَظِّمُ أَمْرَهُ ... وَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا بِعَادٍ وَشُقَّةِ

---

(١) ذُكاءُ: الشمسُ، وابنُ ذُكاءَ: الصبح؛ «المعجم الوسيط». (أبو الفضل).

(٢) الغِرار: حدُّ السيف.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَعَـادُوا مُعَادِيـهِ، جَـمِيعًا وَإِنْ أَتَـوْا ... وَأَدْلَـوْا بِقُرْبَـى أَوْ بِعُظْـمِ مَـوَدَّةِ
فَإِنْ شِئْتُمُ، ذَا قَالَ(مُجَادِلَةَ)[1] اقْرَؤُوا ... وَفِي (تَوْبَةٍ)[1] تَحْظَوْا بِأَعْظَمِ حُجَّةِ
وَمَـا نَحْـنُ إِلَّا خَـادِمُونَ لِـسَيِّدٍ ... حَبَـاهُ إِلَـهُ النَّـاسِ أَفْـضَلَ رُتْبَـةِ
وَمَـا قِيمَـةُ الْأَرْوَاحِ إِنْ لَـمْ تَكُـنْ لَـهُ، ... فِـدَاءً وَتَفْـدِي بَعْـدَهُ، خَـيْرَ سُـنَّةِ
وَمَـا قِيمَـةُ الْأَمْـوَالِ إِنْ لَـمْ نَنَـلْ بِهَـا ... رِضَى رَاحِـمٍ لِلْخَلْـقِ فِـي يَـوْمِ كُرْبَـةِ
فَكُـنْ عَابِـدًا اللهِ لَا تَـدْعُ غَـيْرَهُ، ... بِوَقْـتِ رَخَـاءٍ أَوْ بِأَوْقَـاتِ شِـدَّةِ
وَسِرْ فِـي رِكَـابِ الْمُصْطَفَى بِتَوَاضُـعٍ ... وَصِـدْقٍ تَفُـزْ مِنْـهُ، بِقُـرْبٍ وَخِدْمَـةِ
فَخَادِمُـهُ، بِالـصِّدْقِ لَا شَـكَّ مُفْلِـحٌ ... وَتَارِكُـهُ، لَا شَـكَّ هَـاوٍ بِهُـوَّةِ
عَلَيْـهِ صَـلَاةُ اللهِ ثُـمَّ سَـلَامُهُ، ... وَأَصْـحَابِهِ، مِـنْ بَعْـدِ آلٍ وَعِـتْرَةِ
صَـلَاةً تَـدُومُ الـدَّهْرَ مَـا قَـالَ قَائِـلٌ ... حَـدِيثُ رَسُـولِ اللهِ ذُخْـرِي وَحُجَّتِـي

تمت][2].

وبعد مدَّةٍ من إطلاق سراحي[3] جاء حاكمُ شفشاون اليزيد بن صالح إلى أخي وصديقي السيد محمد المؤذن -رحمه الله-، وهو من المجاهدين الذين قضوا في سجن الاستعمار زمانًا طويلاً، وعاجلته المنيةُ قبل أنْ يجني ثمرات الحرية -رحمه الله رحمةً واسعةً، وَعَوَّضه النعيمَ المقيمَ-، جاءه اليزيد بن صالح، والتمس منه أنْ يتوسط في الجمع

(١) الهلالان زيادة (من بو خبزة).

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية».

(٣) «الصواب هو: تسريحي؛ لأن الإطلاق هو التسريح». (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

بيني وبينه لطلب العفو والصفح؛ فكلمني السيد محمد في ذلك.

فقلتُ له: أنا مستعد أَنْ أغفر له ذنبه الذي ارتكبه في حقِّي، لكن بالشرط الذي اشترطتُه عليه وأنا في السجن.

فلم يستطع اليزيد بن صالح أَنْ يلتزم ذلك الشرط؛ لأنه -في اعتقاده- يفقده منصبه، وفَقْدُ الحياة أهون عليه من فَقْدِ منصبه.

ولكنه أخذ يتحين الفرص ليجتمع بي ويطلب العفو؛ ففي ذات يوم كنتُ في قاعة الانتظار في القصر الخليفي، وقد استأذنتُ على خليفة السلطان الأمير الحسن بن المهدي، فإذا برجل يُقبِّل رأسي ويقول: سامحني أيها الفقيه؛ فإذا به اليزيد بن صالح.

ونسيتُ شيئًا لم أذكره قد قلتُه له عند الاجتماع به وأنا مسجون؛ فإنه لمَّا اعتذر لي وأظهر الندم قلتُ له: فما بالك حين كنتَ في تطوان قبل أن أسكن في مدينة شفشاون التي أنت حاكمها كنتَ تراني من بعيد لتهرول إلى السلام عليَّ؛ فلما أتيتُ إلى بلدك لم تُسلِّمْ عليَّ! ولم تضيفني! وأخيرًا أخذتَ تُحاربني وتُحارب دعوتي!

فقال لي: (مَقْدِرْتِشْ)؛ أي: لم أقدر على ذلك؛ يعني: أنه خاف من المستعمرين أَنْ يتصل بي في بلده؛ لأني من المشهورين بالوطنية.

ومن الحكايات الطريفة التي تتعلق بهذه الحادثة أن اليزيد بن صالح زار الباشا القائد الملالي حاكم القصر الكبير، وهو يبغضني بُغضًا شديدًا، والسبب في ذلك أنه كان يُحبني قبل أَنْ يراني، وقال للأستاذ عبد الخالق الطُّرَيْس: أريد أَنْ أدعو الدكتور الهلالي لزيارتي، وأستفيد من علمه، وقبل أن أجيب دعوته نشرتُ في صحيفة «الحرية» مقالاً مطوَّلاً، عنوانه: «كيف خرجتُ من الطريقة»[1]، ذكرتُ فيه بتفصيلٍ المناظرة التي وقعت بيني وبين أستاذي

---

(١) نشر على ثلاث مقالات، ذكر فيها قصة خروجه وتوبته من الطريقة التيجانية، وأقام البراهين على بطلانها، أفاده في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٧٣-٧٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

العلامة الشيخ محمد بن العربي العلوي[١] -رحمة الله عليه-، ولولا الإطالة وتشعب

---

(١) هو محمد بن العربي العلوي، المدغري الحسني، وزير العدلية سابقًا، الشيخ الإمام، الحجة الهمام، العلامة السلفي، المطلع المشارك، النقاد المدرس، النفاعة الوطني، المخلص المكافح بكل ماله وقوته بأفكاره، وآرائه الصائبة عن الإسلام وعن وطنه بإخلاص وحسن نيته.

كان في أول أمره يؤمن بالطرق وأهلها، ويدافع عنها، بل كان تجانيَّ الطريقة، ولما رجع الشيخ أبو شعيب الدكالي من المشرق بعد ما طلب العلم هناك حاملاً الأفكار السلفية الداعية إلى الرجوع إلى الإسلام على حقيقته؛ اتصلَّ به اتصالاً مكينًا، وأخذ عنه؛ فأنار فكره وقوَّى عزيمته، وأخرجه من ربقة التقليد الأعمى؛ فكان صاحب الترجمة أول ممن أظهره الله للوجود من العلماء السلفيين، وأول مَن صدع بالحق بعد الشيخ أبي شعيب، فدخل إلى القرويين، وصار ينير مشكلها ويضيء جوانبها بقبس من النور، فما لبث أن التفَّ حوله نخبة من الشباب -لا يُستهان بهم-، وانتشر مذهبه في الأوساط العلمية الراقية، وصار الناس ما بين مؤيد ومخالف، وسرعان ما انتصر الحق على الباطل؛ إن الباطل كان زهوقًا؛ فكانت جل دروسه حاملة سيف الانتصار ضد أهل الطرق الموجودة بالمغرب، وأهل الزاويا، والمشعوذين الملبِّسين الحق بالباطل، وحمل ضد زيارة القبور والتملق إليها، وطلب النفع منها، والالتجاء إليها.

كلُّ هذا كان لا يخلو من نقد وشتم ولعن من أصحاب الطرق؛ فكم نصبوا له من أفخاخ، وكم بارزوه بمكايد، حتى إن بعض العلماء أفتوا بكفره وخروجه من ربقة الإسلام، كل هذا لم يؤثر في عزمه؛ لأنه يعرف نفسه أنه على الحق.

ومن المآثر التي تحفظ له ولا تنكر: قطع شجرة السدرة الكبرى التي كانت قبالة باب ضريح الشيخ أبي غالب الكائن بحومة صريرة داخل باب الفتوح؛ فإن هذه الشجرة كادت أَنْ تُعبد من دون الله؛ فقد كبرَتْ واتسعَتْ، وطال عليها الأمد، وكانت النساء والصبيان -وحتى بعض الرجال- يقصدونها ويلتمسون بركاتها، وتُعلَّقُ فيها بعض الخرق المعقودة، ولا يمكن حلها إلَّا بعد قضاء الحاجة المتطلبة، وكان ربما أعماهم الشيطان؛ فيصادفون بعض الإجابة، فإذا رأيت منظرها اندهشت من كثرة ما يعلق بها من الخرق والتمائم وأوراق الكتابة والحروز وغير ذلك من الأمور التي يستغرب منها كشعر النساء.

وكان من العادة الجارية أن كل مَن زارها وعلق بها مطلبه لا بُدَّ له من أن يدخل الضريح ويجعل فيه شيئًا من المال؛ لأجل أن تقضي حاجته، ومَن لا يفعل ذلك لا تقضى له حاجة؛ فكان ولاة الضريح -وهم الشرفاء الطالبيون- يعظمونها مع الناس لأجل المادة التي تحصل لهم. =

. . . . . .

وكان يوم قطعها يومًا مشهودًا بين مستحسن ومخالف، وقال رئيس الفئة المتطرفة وزعيمهم الأكبر: إن ابن العربي -صاحب الترجمة- سيُصاب بشلل من أجل قطع الشجرة التي يتبرك بها الناس، وبعد مدَّة سلَّط الله عليه ذلك، وبقي ابن العربي سالمًا، والحمد لله لأنه يُدافع عن الحق.

ومن أفعاله المذكورة صرخته الكبرى في وجه الطوائف الضالة؛ مثل الطائفة المنسوبة للشيخ مَحمد -فتحًا- ابن عيسى، والطائفة المنسوبة للشيخ علي ابن حمدوش، وغيرهما من الطوائف الذين كانوا يفعلون أفعالاً لا يقبلها الشرع؛ مثل الشطح في الأسواق والأزقة على نغمات المزامير والطبول، وأكل اللحم النيئ، وضرب الرؤوس بشواقر، وجعل النار في أفواههم إلى غير ذلك من الموبقات؛ فقد سعى بكل جهوده لقطع دابر ذلك من المغرب، ولم يهمل السعي وراءه حتى صدر الأمر بمنعه من جلالة الملك محمد الخامس عام أربعة وخمسين وثلاث مئة وألف، وأراح الله من ذلك البلاد والعباد، ومناقبه في هذا الباب لا تُعدُّ، وإن شئت قلت -بلا مداهنة ولا محاباة-: إنه هو الرجل الأول الذي غرس البذرة الأولى للسلفية في الشعب.

أخذ العلم عن الشيخ مَحمد -فتحًا- بن الشيخ قاسم القادري، وعن الشيخ أحمد بن الخياط الزكاوي الحسني، وعن الشيخ مَحمد -فتحًا- بن محمد كنون، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ خليل الخالدي، وعن الشيخ أبي شعيب الدكالي، وهو الذي وجهه التوجيه السلفي كما سبق، وغيرهم من الأشياخ.

تولى قضاء فاس الجديد حوالي عام ثلاثة وثلاثين وثلاث مئة وألف، وبقي به مدَّةً، ثم رياسة مجلس الاستئناف بالرباط، ثم وزارة العدلية، ولما وقعت حوادث أربع وأربعين وتسع مئة وألف الموافقة لصفر عام ثلاثة وستين وثلاث مئة وألف عُزل من منصبه، ونُفي إلى تافيلالت، وبقي في منفاه إلى شعبان عام أربعة وستين وثلاث مئة وألف؛ فرجع ينشر أفكاره بين الأوساط المغربية.

وأخيرًا؛ انتقل إلى الرباط، واستوطن مدينة فاس؛ فكان في رمضان يُلقي دروسًا بالقرويين، تُشدُّ إليها الرحال، وفي أواخر ربيع الثاني عام ثلاثة وسبعين وثلاث مئة وألف -بعد خلع السلطان محمد الخامس- نُفي محمد بن العربي العلوي إلى تيزنيت، أيضًا أتوا إليه في الساعة الثانية صباحًا وعذَّبوه على كبر سنه وعلمه! =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

وفي عشري ربيع الثاني عام أربعة وسبعين وصل إلى فاس بعد أن بقي في المنفى سنتين، وكان قد امتنع من التوقيع على عزل محمد الخامس، توفي مساء يوم الثالث والعشرين من محرم عام أربعة وثمانين وثلاث مئة وألف، ونقل إلى تافيلالت حيث دفن ببلاد مدغرة مع أبيه وأجداده.

وكتب الأستاذ عبد الهادي بوطالب في ترجمته مقالة بعنوان: (محمد بن العربي العلوي الوطني السلفي الثائر)؛ نشرت في بعض الصحف المغربية، جاء فيه في ترجمة هذا (العَلَم) ما نصه:

«هو علم من أعلام السلفية المغربية المتميز بخصوصياته الفكرية، المتمثلة في اقتحام حصون البحث العلمي التي لم يكن غيره يقتحمها مما يمكن تسميته بتجديد الاجتهاد وإغنائه بفتاوى جديدة.

حمل هذا الفقيه المجدد راية السلفية في وجه الطرقية، وكان الخطيب المصقع المتمكن من دقائق اللغة العربية وآدابها، وهو أحد تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي، لكنه تميز بالدعوة إلى السلفية المناهضة لكل زيف، وبدلاً من أن يترك المتزمتين يهاجمونه -وحتى يكفرونه!- هاجمهم وأدانهم وقارعهم بالنص الشرعي -قُرآنًا وسُنَّةً-، بدأ دعوته على عهد السلطان محمد بن يوسف الذي كان وزيره في التعليم والعدل، وكان يواجه في مجالسه العلمية العلماء برئاسة السلطان بآرائه الجريئة التي كانت تبلغ حد الصدمة للعلماء المتزمتين.

كان مع الحركة الوهابية في الحضِّ على إفراد الذات الإلهية بالتوحيد وتجريد غير الله من التقديس سواء إن كان رسولاً أو نبيًّا أو وليًّا، لقد كان ينطق في الصلاة على رسول الله يذكره باسم محمد بدون إضافة (سيدنا) أو (مولانا) كما يفعل المغاربة؛ فالله وحده سيدنا ومولانا، وكان يعتبر مَن لا يجاريه في ذلك زائغًا عن النهج المستقيم.

جاء إلى كلية القرويين في شهر يونيو سنة ١٩٤٣م؛ ليشرف على امتحانات السنة النهائية التي يتخرج منها الطلبة للحصول على العالمية -أي: لقب عالم-، وهي الشهادة التي تعرف -أيضًا- بشهادة الإجازة العلمية، وكان إذاك وزيرًا للعدلية الشريفة -هكذا كانت تُنعت في ذلك الحين-، وكان بجانبه رئيس المجلس التحسيني بكلية القرويين العلامة عبد الله الفضيلي العلوي -هذا كان اسمه-، ونُعت المجلس بالتحسيني؛ لأن الكلية أدخل عليها بظهير سلطاني إصلاح سنة ١٩٣٠، ومرت عليه اثنتا عشرة سنة، وشاركتُ في امتحان هذه السنة، ولعل نعت المجلس بـ(التحسيني) كان مرده إلى أن الإصلاح كان =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

له هدف تحسين أوضاع التعليم، ولم يكن مجرد تغيير سطحي أو غير شامل.

ولقد اجتزتُ الامتحان الكتابي بتفوق، وكنتُ الأول في ترتيب الطلاب الناجحين، وكنا بعد هذا الامتحان تسعة طلاب تقدموا إلى الامتحان الكتابي؛ فنجح منهم ثلاثة فقط.

وكان من المقرر أن يتقدم لامتحان العلامة -وهو ما يعادل دكتور- الذي كان يُلْقِي فيها الطالبُ الممتحَن -بفتح الحاء- درسًا جامعيًّا، قيل في آخر ساعة: إن السلطان جاء من الرباط ليرأس هذه المباراة بنفسه، وكانت النتيجة الاقتصار على فوز المتفوق بالشهادة، وكنتُ هذا المتفوق.

وتكريمًا للناجح في هذه المباراة الصعبة، وبعد أن حضر السلطان كامل درسي الذي دام ساعة وتخللته أسئلة كان على العالم المشارك في هذا الامتحان أن يجيب عنها قرر السلطان ووزير العدل ورئيس المجلس ألا يوقع على شهادتي إلا السلطان وحده، وبقي مكان توقيع وزير العدل الفقيه ابن العربي العلوي فارغًا.

وجاء في شهادة رئيس مجلس الكلية (الشهادة النهائية من كلية القرويين) قوله: «يشهد رئيس المجلس العلمي التحسيني أن الشريف السيد عبد الهادي بن محمد بو طالب المنخرط في سلك أهل السنة النهائية من الكلية أنه أدى الامتحان أحسن تأدية، ووفَّى عما سئل عنه في العلوم أفضل توفية».

ثم تقرر في نهاية الامتحان أن لا يُمضي على شهادتي إلا السلطان محمد بن يوسف الذي قدم لإمضائه بهذه الكلمات: «الحمد لله، سلمنا هذه الشهادة بيدنا الشريفة لصاحبها مجازاةً له على تفوقه واجتهاده واعتناء بالعلم الشريف» (الإمضاء/ محمد بن يوسف أمير المؤمنين أعزه الله وأيده).

وكان من بين الحاضرين في درسي زيادة على السلطان مدير الجامعة المرحوم محمد الفاسي، الذي أصبح إثر الاستقلال وزيرًا للتربية والتعليم والثقافة في الحكومة الوطنية الأولى، كما حضر لامتحاني الفقيه الشاعر محمد المعمري الجزائري الذي كان يلقب بالفقيه؛ لأنه كان فقيه الأمراء الثلاثة أبناء السلطان مولاي يوسف؛ الأكبر: إدريس، الأوسط: الحسن المشهور بسيدي باضي، والأصغر سنًّا: محمد بن يوسف، والذي كان يدخل في وظيفته أن يترجم للسلطان إلى العربية حديث مَن لا يتكلمون إلا الفرنسية، وخاصة المقيمين العامين لفرنسا بالمغرب، والمستشار المخزني الفرنسي لدى السلطان، والفقيه المعمري هو الذي علَّم السلطان سيدي محمد مبادئ اللغة الفرنسية. =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

أثبتت هذه الصورة في هذه الحلقة ليطلع المؤرخون وشبابنا على أسلوب المخزن في تحرير نص الشهادات، وعلى الطابع المخزني التقليدي الذي كان يسود لغة المخزن في العهد الذي نتحدث عنه، وما يزال بعضه مستعملاً إلى اليوم.

ثم تداول المجلس في اللقب الجامعي الذي يعطى للناجح في هذا الامتحان، وقال السيد محمد الفاسي: إنه يفضل أن يطلق على الناجح في الإجازة اسم العالم، وعلى الناجح في امتحان الدرس الجامعي -أو الأطروحة- نعت العلامة بدلاً من الدكتور؛ فوافق المجلس على اقتراحه.

وكان محمد الفاسي -رحمه الله- متعصبًا للغة الضاد، لا يرضى لها بديلاً، ولا يقبل فيها الدخيل، وكان يجتهد في أن يجد لكل كلمة فرنسية ما يقابلها في العربية، لا يُشبهه في ذلك إلا الأكاديمي الزميل الرفيق الصديق أحمد غزال عضو الأكاديمية المغربية الذي لا يجحد فضله على العربية بما أغناها من مؤلفات وذخائر.

ونعود إلى الحديث عن السلفية كما كان يدعو إليها فضيلة الشيخ ابن العربي؛ فقد تضايقت من جُرأة هذا الفقيه المدرسة الفقهية التقليدية وكادت له، وتآمرت عليه مع سلطات الحماية، خاصة بعد إعلانه التضامن مع حركة الاستقلال في يناير ١٩٤٤؛ فنفي من الرباط إلى صحراء تافيلالت، وعزل من منصبه في حكومة السلطان.

وإذا كان الفقيه العلوي الثائر قد خاض غمرات السياسة؛ فإنه لم يتورط في العراك السياسي الحزبي، ولم ينحز إلى فريق عندما انقسمت الحركة الوطنية إلى حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال، إثر رجوع الزعيمين الوطنيين -علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني- من منفاهما، وقد غابا فيه تسع سنوات؛ ولأنه حاد بنفسه عن الانحياز إلى هذا الحزب أو ذاك؛ فقد ارتضاه الحزبان للتوسط بينهما ولرئاسة عملية الوساطة التي تولاها هذا العالم الثائر، وكان يرأس وفد حزب الاستقلال في هذه المحادثات المرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل، ومن حزب الشورى والاستقلال أمينه العام محمد بن الحسن الوزاني، وكان الاجتماع الأول قد انعقد في البيت الذي أسكنني فيه جلالة الملك محمد بن يوسف بحي تواركة القريب من القصر الملكي والمعهد المولوي، وحضرتُ كملاحظ، ثم انتقلَتِ الاجتماعات إلى بيت الفقيه ابن العربي بحي مارسة (الرباط)، ولم تسفر هذه المحادثات التي كانت =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مضنية وشائكة عن وفاق بين الحزبين.

كلنا محكوم بالإعدام

لا أنسى لهذا العلامة الكبير يوم التقينا بالدار البيضاء -بعد أن انتهَتْ مهمتي بالمعهد المولوي بالرباط-، وأثناء اندلاع حركة المقاومة بالمدينة المجاهدة بعد نفي السلطان محمد بن يوسف، وزارني -رحمه الله- في بيتي الذي أمر جلالة الملك وزير الأوقاف أن يخصصه لسكناي في حي درب السلطان المجاور للمسجد، ووجدني أتأهب لزيارة بيت أسرة المقاوم البطل أحمد بن البشير، عضو حزب الشورى والاستقلال، الذي بلغني أن المحكمة الفرنسية بالدار البيضاء قد حكمت عليه بالإعدام؛ فأبى -رحمه الله- إلا أن يرافقني.

وكان يخيم على البيت وعلى أسرة المحكوم عليه والنساء والأطفال جو قاتم، حيث حجَّ إلى البيت عددٌ من أقرباء المحكوم عليه وأصدقائه، وكلهم كانوا يبكون فقده كما لو كان قد مات؛ فأخذ -رحمه الله- مكانه وسط العائلة المنكوبة، وأخذ يقول لكل منهم -وهم يرددون: (حكموا عليه بالإعدام)-: أنصتوا إليَّ؛ فأنت أيها السيد محكوم عليك بالإعدام، وأنت يا سيدتي محكوم عليك بالإعدام، وأنتم ونحن جميعًا محكوم علينا بالإعدام؛ مُذكرًا أن كل حي يخطو نحو الموت منذ ولادته إلى وفاته، ولا أحد يدري في أي لحظة متى يموت، وأين يموت؟ ثم زاد قائلاً: وما أدراكم أن هذا السجين لن يموت؟! وإنْ حكم عليه بالإعدام!

وهدَّأت هذه الموعظة البليغة روع العائلة؛ فأخذت تردد جاهرة: الله أكبر! الله أكبر! وخرجنا من البيت مودعين بالزغاريد وكأن لم نستقبل من قبل بالبكاء والعويل!

ثم صدقت نبوءة الفقيه ابن العربي الذي نظر في النازلة بنور أولياء الله -والمؤمن ينظر بنور الله كما في الحديث[أ]-؛ فلم ينفذ حكم الموت في المحكوم عليه أحمد بن البشير، وأطلق سراحه عند إعلان الاستقلال، وظل حيًّا عقدًا من السنين إلى أن وافته المنية بين أهله وذويه -رحمه الله وأثابه-، والأعمار بيد الله.

له ترجمة في «سل النضال» (١٩٥-١٩٧) و«إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع» (٢/ ٥٨٣)، و«موسوعة مواقف السلف الصالح» (١٠/ ٤٣٧)، وفي مجلة «البصائر»، العدد (٣٠)، السنة =

(أ) لم يثبت؛ بيّنتُ ذلك في تعليقي على «الطرق الحكمية» لابن القيم؛ يسر الله نشره.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الحديث لذكرتُ تلك المناظرة هنا[١].

وهذا المقال أغضب القائد الملالي وجميع أذنابه التجانيين، مع أني لم أزد على ذكر ما وقع بالضبط، ولم أتحامل على الطريقة التجانية[٢]، ولا على أهلها؛ فهذا سبب بغض الملالي لي.

ولما زاره اليزيد بن صالح؛ اجتمع عليه التجانيون، وشكروه، وقالوا له: جزاك الله خيرًا يالسيد اليزيد على ما قمتَ به من انتقامٍ في ذلك الكافر الهلالي الذي نكر طريقتنا، وينكر كرامة الأولياء، وهو خارج عن المذهب المالكي؛ فقال الملالي: إياك أن تغتر بكلامهم يا سيد يزيد! وتظن أني موافق لهم؛ فأنا أبغض الهلالي، ولكن أقام هنا في هذه المدينة أربعة أشهر؛ فلم أمسّه بسوء؛ لأن الذي يقول: قال الله قال رسوله؛ يغلبني! ولا أستطيع أن أتعرض له بسوء، وأنا أعتقد أن حبسك للهلالي من أعظم المخازي التي لا

الأولى، ٥ أفريل ١٩٤٨م، وانظر «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٢/ ٩٣)، و«سبيل الرشاد» (٣/ ١٧٥ و٤/ ١٢٧).

(١) أشار لذلك في «سبيل الرشاد» (٢/ ١١٨) أو (٤/ ١٢٧ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية، وينظر «الدعوة إلى الله» (ص ٧٣-٧٤، ٩٦)، وفصَّل الكلام طويلاً على ذلك في كتابه «الهدية الهادية» (ص ١٢-٢٢)، وينظر تقديمنا لـ«سبيل الرشاد» (ص ٣٠-٣٨)، و«السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٣٢).

(٢) الطريقة التيجانية طريقة صوفية، أسسها أحمد بن محمد بن المختار، وقد عاش ما بين (١١٥٠-١٢٣٠هـ)، وولد في قرية عين ماضي بالجزائر، وأنشأ طريقته التيجانية عام ١١٩٦هـ في قرية أبي سمعون، وأصبحت فاس هي المركز الأول لنشر هذه الطريقة في العالم.

ومن بعض معتقداتها: يزعمون أن مشايخهم يُكشف عن بصائرهم! وأن أحمد التيجاني قد التقى بالنبي ﷺ لقاءً حِسِّيًّا ماديًّا! وأنه قد كلَّمه مشافهةً! وأنه قد علَّمه صلاة الفاتح لِمَا أُغْلِقَ! وأن النبي ﷺ أخبره أن المرة الواحدة منها تعدل قراءة القرآن ست مرات!

ومن معتقداتهم: أنهم يجيزون التوسل بالنبي ﷺ، وهذا من الشرك الصريح! انظر «الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٢٨١-٢٨٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يرضاها إنسان ذو مروءة.

ومما يتعلق بهذه الحادثة: أن المتآمرين مع الإسبانيين من المغاربة أفهموا الخليفة الأمير الحسن أني صديق باشا العرائش السيد خالد الريسوني، وكانت بينه وبينه عداوة؛ فعلوا ذلك حتى لا يهُبَّ الخليفة لنصرتي؛ فتمَّ لهم ما أرادوا، وحُبستُ، ولكن ثلاثة أيام فقط؛ زادني الله بها عزًّا، وزادهم خِزيًا، وسيأتي ذكر شيء من هذه الحادثة في حرف الراء في القصيدة التي هجوت بها أفيلال.

وإثر ذلك؛ كتب لي باشا العرائش بخط يده كتابًا يتأسف على ما وقع لي، ويعرض عليَّ أن آوي إليه فيمنعني من الجميع، ولا يصل إليَّ أحدٌ؛ لا من الإسبانيين، ولا من المغاربة، وإنْ شئتُ السفر إلى الشرق يُساعدني على ذلك حتى أبلغ مرادي؛ فشاورتُ صديقي وأخي الأستاذ السيد عبد الله كنون[1]؛ فقال لي: لا تفعله! وكيف تحتمي به ومقامك عند الناس أعلى من مقامه؟! فعملتُ برأيه، وكتبتُ إلى السيد خالد الريسوني رسالةً شكرته بها على شهامته ومروءته.

وسبب معرفتي بهذا الرجل أن المبتدعين أشاعوا أني طعنتُ في الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وأنكرتُ فضله؛ فاجتمع جماعة من المنتسبين إليه؛ منهم قائد بني عروس، والسيد أحمد الريسوني الشفشاوني، الذي أخبرني بهذا الخبر، وثلاثة وعشرون آخرون؛ فتقاسموا على قتلي وتعاهدوا، وبَكَى قائد بني عروس، وقال: كيف نترك رجلاً ينكر على جدِّنا؟! وأيُّ خير في الحياة إذا كنا نشاهد مَن ينكر فضل جدِّنا؟! وجمعوا الدية ليدفعوها لِمَن عسى أنْ يطالب بها من قرابتي إنْ ظهر لي قرابة!

والذي تولَّى كبر هذه المؤامرة هو المدعو أحمد السعيدي صهر السيد خالد

---

(١) هو الصديق الحميم للهلالي، وله ذكر رفيع مع احترام وتوقير من الهلالي في غير كتاب من كتبه، منها «الديوان»، وينظر آخره (فهرس الأعلام)، وقد تولَّى العلامة كنون رئاسة تحرير «لسان الدين» عقب الهلالي، وانظر ترجمته المطولة في التعليق على مقطع (١٥٠).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الريسوني، وهو الذي ذهب إلى تلميذي السيد عبد السلام المؤذن، وقال له: إنَّ أستاذك قد قُضي أمره، قال له: وكيف ذلك؟ قال: اتفقنا على قتله؛ فعُدَّه من الآن من الأموات!

فجاءني السيد عبد السلام المؤذن، وأنا طريح الفراش بمرض الربو، أسكن في بيتٍ منفرد خارج مدينة تطوان، وزجاج نافذة البيت الذي كنتُ فيه مكسور؛ فمن أراد أَنْ يرميني برصاصة لا يحتاج إلَّا أَنْ يضع حجرًا يقف عليه فيشرف عليَّ، وكان ذلك وقت غروب الشمس.

وقال لي: إن أحمد السعيدي قال لي كيت وكيت، وهو يعتمد على خالد الريسوني، وخالد الريسوني حاكم بأمره يفعل ما يشاء، لا حكم عليه للإسبانيين ولا لغيرهم، ورأيت من الواجب أن أخبرك!

فقلتُ له: أُفوض أمري إلى الله، وفي ضحى غدِ ذلك اليوم تحاملتُ على نفسي وذهبتُ إلى الأستاذ عبد الخالق الطُّرَّيْس، وأخبرته الخبر؛ فقال لي: إن هؤلاء يعتمدون على خالد الريسوني، ولو ذهبتَ تشتكي لا تجد إلَّا الإسبانيين، والإسبانيون مفوضون له، لا يعارضونه بوجه؛ ففوِّض أمرك إلى الله.

وبعد ذلك بسنتين؛ جاءني الأخ الصديق السيد أحمد[1] الريسوني الشفشاوني -أحد الخمسة والعشرين المتآمرين-، وأخبرني بهذه القصة، وقال لي: إنه كان هو وأحمد السعيدي أشدهم تحمسًا لقتلي، قال: فلما اتفقنا في تطوان توجهنا إلى العرائش، واجتمعنا بالسيد خالد الريسوني؛ فتكلم قائد بني عروس، وقال: يا ابن عم! أي خير في الحياة إذا كنا نسمع الطعن والإنكار على جدِّنا الشيخ عبد السلام بن مشيش؟! فقال: وكيف ذلك؟! فقال: يوجد شخص يدعى: تقي الدين الهلالي في تطوان ينكر على جميع الأولياء كراماتهم، وقد أنكر على جدِّنا، وقد اتفقنا على قتله، وجمعنا ديته، ولم يبقَ لنا إلَّا موافقتك

---

(١) «ابن الأمين الريسوني ناظر الأحباس في شفشاون» . (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

على تنفيذ الخطة.

فقال السيد خالد: ذلك رجل عالم، والعوام أمثالكم لا يفهمون كلامه، وأنا أعرفه، وجدّنا عالم، والهلالي عالم، وليس من شأن العامة أن يدخلوا أنفسهم في شأن العلماء؛ فاتركوا عنكم هذا، وانصرفوا إلى شؤونكم.

قال الراوي السيد أحمد الريسوني: فقال قائد بني عروس للسيد خالد: يا ابن عم! أنتَ عالمٌ، وأنا جاهلٌ؛ فأنت أعلم!

قال: أمَّا أنا وأحمد السعيدي؛ فلم نستطع المراجعة، ولكننا امتعضنا من عدم موافقة السيد خالد على قتلك.

قال: فذهبتُ أنا إلى تطوان، واجتمعتُ بوزير الأوقاف محمد بن موسى؛ فقلتُ له: يا سيدي[1] محمد بن موسى! كيف تدفعون خمس مئة بسيطة مشاهرة من أوقاف المسلمين للهلالي، وهو ضالٌّ مضلٌّ! ينكر كرامة الأولياء! وينكر مذهب الإمام مالك؟! أَمَا تخافون الله؟!

قال: فقال لي الوزير: هل أنت سمعتَه بنفسك؟ فقلتُ: لا، ولكن هذا أمر شائع؛ يعرفه جميع الناس!

فقال لي: وَلِمَا تُقلِّد في هذه القضية وتحكم بقيل وقال؟! إن الهلالي يلقي ثلاثة دروس في الجامع الكبير كل أسبوع؛ فاذهب بنفسك واحضر دروسه وأخبرني بما تسمعه.

قال: فأقمتُ في تطوان لهذا الغرض أسبوعًا، وسمعتُ ثلاثة دروس من دروسك؛ فلم أسمع فيها شيئًا ينكر، وعلمتُ أن تلك الإشاعة كانت باطلة؛ فمنذ ذلك اليوم انقلب بغضك في قلبي حُبًّا، ولم أزل أنتظر فرصةً تسنح لأخبرك بهذه الحقيقة حتى اجتمعتُ بك اليوم، وأنا أدعوك لتنزل في بيتي ضيفًا مُكرَّمًا.

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «يا سيد»، والتصحيح من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وكان صادقًا في ذلك؛ فأقمتُ في بيته بضعة أشهر، ولا تزال المحبة والأخوة بيني وبينه جارية؛ فجزاه الله خيرًا.

ولمَّا سمعتُ هذا الكلام؛ ذهبتُ إلى العرائش، وشكرتُ السيد خالد الريسوني، وكان ذلك أول التعارف بيني وبينه، وكان أديبًا يحسن اللغة العربية والإسبانية والفرنسية، وله مشاركة في العلوم، عالي الهمة -رحمه الله-.

***

[التوبة من الطريقة التيجانية][1]

---

(١) ذكرها بطولها في كتابه «الهديّة الهادية إلى الطائفة التجانية» (ص ٩٠ - ٩٣)، وقال قبلها: «وقد بدا لي أنْ أثبت هنا قصيدة تائية، قلتُها بعد توبتي من الطريقة التجانية، يفرح بإنشادها الموفق المهتدي، ويغص بها المخذول المعتدي، وهذا نصها، . . . .».

وذكر بعض الأبيات في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٢٨)، وقال قبلها: «وهنا ينبغي أن أقتبس أبياتًا من القصيدة التائية التي نظمتها بالهند وذكرتُ فيها توبتي من الشرك والبدعة ورحلتي في طلب العلم، وأقتصر على ما يخص الدعوة في الريرمون لأني قد أدرجت القصيدة كلها في كتاب «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، والأبيات التي تخص الريرمون هي. . .».

قال أبو عبيدة: ثم وجدتُ الأبيات المذكورة في كتابه «الدعوة إلى الله» عدا الأخيرين منها في كتابه «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (١/ ٣٣٨ - ٣٣٩)، وقال قبلها: «وقلت في القصيدة التائية من قصيدة أدرجتها برمتها في كتاب «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» ...» وساق الأبيات.

ثم وجدت في «سبيل الرشاد» أيضًا (٢/ ٢٥٩) كلمة عن أهل (ريرمون) أحببتُ إثباتها، وهذا نصها: «وهؤلاء الرؤساء المتبوعون عليهم من الواجبات ما ليس على غيرهم؛ فإن استقاموا استقام أتباعهم، وإن انحرفوا انحرف أتباعهم.

أول ما دعوت في صعيد مصر إلى توحيد الله -تعالى- واتباع سنة رسوله ﷺ ونبذ البدع والمحدثات؛ ألقيت ستة دروس، في آخر الدرس السادس منها استجاب لي شيخ البلد، وهو الشيخ يوسف عبد العال -رحمه الله رحمة واسعة، وبارك في ابنه الشيخ محمد، أعني: بلد الريرمون في مديرية أسيوط-، فتبعه أهل البلد كلهم، ولا يزالون كذلك إلى يومنا هذا، وقد مضى عليهم أربع وخمسون سنة، لم تستطع فتنة الاشتراكية أن تنال من عقيدتهم مثقال ذرة، فلما زرتهم قبل ثلاث سنين؛ وجدت شيخ البلد منهم كما كان الأمر قبل أربع وخمسين سنة، ووجدت وكيل الحزب منهم، وإذا رسخت عقيدة التوحيد في القلوب لا يستطيع أحدٌ أنْ يزلزلها».

ثم وجدتها كاملة في كتاب «الدعوة إلى الله» (١٣٨-١٤٠)، وقال قبلها: «وهذه القصيدة التائية في صفة رحلتي من المغرب إلى الهند»، وما بين الهلالين منه، وسقط من «الديوان» و«الهدية الهادية»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[٢٢] وقلتُ بمسجد عليجان بدهلي سنة ١٣٤٢، ضمنتها رجوعي من الابتداع إلى السنة، ورحلتي من بلادي إلى الهند، وغير ذلك، وقد التزمت في جميع بيوتها لزوم ما لا يلزم [البحر الطويل]:

خَلِيلَيَّ عُوجَا[1] بِي إِلَى كُلِّ نَدْوَةٍ ... بِهَا قَوْلُ خَيْرِ الرُّسْلِ يُرْوَى بِقُوَّةِ

وَلَا تَقْرَبَا بِي مَجْلِسَ الرَّأْيِ إِنَّهُ ... ضَلَالٌ يَحُطُّ التَّابِعِيهِ بِهُوَّةِ

عَلَى مَجْمَعٍ فِيهِ كِتَابُ إِلَهِنَا ... يُفَسَّرُ تَفْسِيرًا بِعِلْمٍ وِحِكْمَةِ

لَدَى ثُلَّةٍ قَدْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُمْ ... وَخَصَّهُمُ بِالْهَدْيِ أَفْضَلَ نِعْمَةِ

فَصَانُوا كِتَابَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ... عَنِ اللَّغْوِ وَالتَّحْرِيفِ أَسْوَإِ بِدْعَةِ

وَرَدُّوا افْتِرَاءَ الْخَلْفِ مَنْ ضَلَّ سَعْيُهُمْ ... وَقَدْ فَرَّقُوا مِنْ شُؤْمِهِمْ خَيْرَ شِرْعَةِ

وَأَصْلَوْهُمُ حَرْبَ الْفِرِنْجِ بِهِمَّةٍ ... كَسَيْفٍ صَقِيلٍ فِي مَضَاءٍ وَلُمْعَةِ

إِلَيْهِمْ أَجُوبُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ آوِيًا ... لِأَنْظُرَ مَنْ فَازُوا بِنُورٍ وَنَضْرَةِ[2]

وَأَقْبِسَ مِنْ أَنْوَارِهِمْ عِلْمَ سُنَّةٍ ... وَذَلِكَ قَصْدِي فِي اغْتِرَابِي وَهِجْرَتِي

---

(١) «عَاجَ يَعُوجُ عَوْجًا: رَجَعَ»؛ انظر «المعجم الوسيط»، و(عُوجَا): فِعْلُ أَمْرٍ للمُثنَّى؛ ولكي يتَّضِحَ الأمر أكثر؛ نأخذ الفعل (قَالَ)؛ فمضارعه: (يَقُولُ)، وأمره: (قُلْ)، وأمره للمثنَّى: (قُولَا)؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] الآية.

وضَبْطُ (عوجا) يجوز على الوجه الذي ضبطتُها به، ويجوز: (عَوْجًا) على أنها مصدرٌ قام مقام فعله؛ وكلا الضبطَينِ صحيحٌ وزنًا ومعنًى، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «نظرة».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَأُبْعِدَ عَنْ أَهْلِ الْبَدَائِعِ وَالْخَنَا ... وَأُدْرِكَ رَوحًا مِنْ عَنَائِي[١] وَغُرْبَتِي

وَلَيْسَ مُرَادِي غُرْبَةَ الْبُعْدِ وَالنَّوَى ... وَلَكِنَّهَا فِي الدِّينِ أَعْظَمَ كُرْبَةِ

وَلَمَّا أَبَانَ اللهُ لِي نُورَ دِينِهِ ... وَأَنْقَذَنِي مِنْ طُرْقِ أَصْحَابِ خِرْقَةِ

أُولَئِكَ قَوْمٌ بَدَّلُوا الدِّينَ بِالرَّدَى ... وَقَدْ مَرَقُوا مِنْ هَدْيِهِ شَرَّ مَرْقَةِ

وَأَبْغَضَنِي الْأَقْوَامُ حِينَ نَبَذْتُهُمْ ... وَمِلْتُ إِلَى قَفْوِ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ

وَقَدْ قَلَبُوا ظَهْرَ الْمِجَنِّ وَخُشِّنَتْ ... صُدُورُهُمُ لِي وَاسْتَعَدُّوا لِمِحْنَتِي

وَقَدْ زَعَمُوا هَجْرِي وَشَتْمِيَ قُرْبَةً ... وَكُلُّ جَلِيسٍ[٢] لِي سَيَرْدَى بِسُرْعَةِ

وَقَدْ جَزَمُوا أَنِّي أَمُوتُ عَلَى الرَّدَى ... وَأَخْلُدُ فِي النِّيرَانِ مِنْ أَجْلِ رَجْعَتِي

أَمَانِيَّ حُمْقٍ تُضْحِكُ الثَّاكِلَ الَّتِي ... بِوَاحِدِهَا سَارَتْ رِكَابُ الْمَنِيَّةِ

نَبَذْتُهُمُ نَبْذَ النَّوَى وَتَرَكْتُهُمْ ... وَهَاجَرْتُ كَيْ أَحْظَى بِسُؤْلِي وَمُنْيَتِي

وَمَا لِي وَلِيٌّ أَوْ رَفِيقٌ مُصَاحِبٌ ... وَلَا نَاصِرٌ إِلَّا إِلَهَ الْبَرِيَّةِ

عَلَيْهِ اعْتِمَادِي لَا عَلَى أَحَدٍ سِوَا ... فَهُوَ قَدِيرٌ أَنْ يَجُودَ بِبُغْيَتِي

وَمَا أَطْلُبُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ زَائِلٌ ... سِوَى بُلْغَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا لِخَلَّتِي

(سَفَرْتُ[٣] إِلَى مِصْرٍ لِأَخْبُرَ خُبْرَهَا ... وَأَنْظُرَ هَلْ فِيهَا شِفَاءٌ لِغُلَّتِي

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «عناء»!

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «جالس»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٣) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «أتيت»، وفي طبعة أُخرى منه: «سافرت».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمِنْ قَبْلُ قَدْ أُخْبِرْتُ أَنْ[١] فِي رُبُوعِهَا ... رِجَالٌ لِنَصْرِ الدِّينِ أَصْحَابُ شِدَّةِ

وَصَلْتُ فَلَمْ أَلْفَ[٢] سِوَى أَهْلِ بِدْعَةٍ ... وَشِرْكٍ وَإِلْحَادٍ وَشَكٍّ وَرِدَّةِ

سَمِعْتُ بِهَا الْإِلْحَادَ يُدْرَسُ[٣] جَهْرَةً ... بِجَامِعَةٍ لِلشَّرِّ مَعْ كُلِّ فِتْنَةِ

رَأَيْتُ بِهَا الْأَوْثَانَ تُعْبَدُ ظَاهِرًا[٤] ... قُبُورًا عِظَامًا نَاخِرَاتٍ أَجِنَّتِ

وَيَدْعُونَ دُونَ اللهِ مَنْ لَا يُجِيبُهُمْ ... وَهُمْ عَنْ دُعَاءِ الْقَوْمِ فِي عُظْمِ غَفْلَةِ

لَهَا[٥] جَعَلُوا قِسْمًا بِمَالٍ وَإِلْدَةٍ[٦] ... فَلَا عَاشَ مَنْ قَدْ ظَنَّهُمْ أَهْلَ مِلَّةِ

حَشَا ثُلَّةٍ[٧] مُسْتَضْعَفِينَ رَأَيْتُهُمْ[٨] ... تَسُومُهُمُ الْأَعْدَاءُ سُوءَ الْأَذِيَّةِ

وَهُمْ صُبَّرٌ مُسْتَمْسِكُونَ بِدِينِهِمْ ... وَيَدْعُونَ مَا اسْطَاعُوا لِبَيْضَا نَقِيَّةِ

---

(١) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «وكنا سمعنا قبل أن...»، وفيه (ص ١٣٩) كما هنا، وفي طبعة أُخرى منه (ص ١٧٣): «رجالاً» بالنصب، وفي «منحة الكبير المتعالي»: «بمراكش أخبرت أن..».

(٢) في كتاب «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٩): «ألفى»، وفي «الهدية الهادية»: «ألق».

(٣) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «يعلن»!

(٤) في «الهدية الهادية»، و«الدعوة إلى الله»: «جهرة».

(٥) في كتاب «الدعوة إلى الله» (٢٨): «لهم».

(٦) في كتاب «سبيل الرشاد» (١/ ٣٣٩): «وإلة»! وهي -للأسف- كذلك في (١/ ٥٧٨- بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية، وصوابه المذكور، والمراد: الأولاد.

(٧) كذا في «الدعوة إلى الله» (٢٨، ١٣٩)، و«سبيل الرشاد» (١/ ٣٣٩)، وفي «الهدية الهادية»: «حثالة»!

(٨) في «الدعوة إلى الله» (١٣٩): «رأيتم»! وعلى الجادة في طبعة أُخرى منه (ص ١٧٣).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمَا صَدَّهُمْ إِيذَاؤُهُمْ عَنْ جِهَادِهِمْ ... لِأَنَّهُمُ أَهْلُ النُّفُوسِ الْأَبِيَّةِ

أَقَمْتُ بِهَا عَامًا إِلَى اللهِ دَاعِيًا ... فَأَرْشَدَ رَبُّ النَّاسِ قَوْمًا بِدَعْوَتِي

وَعِدَّتُهُمْ أَلْفَانِ بِالرَّيْرَمُونِ[1] كُلُّ ... لُهُمْ أَهْلُ إِخْلَاصٍ وَأَهْلُ فُتُوَّةِ

وَمِنْ بَعْدِ ذَا سَافَرْتُ لِلْحَجِّ رَاجِيًا ... قَبُولاً مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ لِحَجَّتِي

فَأَتْمَمْتُهُ وَالْحَمْدُ للهِ سَائِلاً ... مِنَ اللهِ يَهْدِينِي سَوَاءَ الْمَحَجَّةِ

وَكُنَّا سَمِعْنَا أَنَّ بِالْهِنْدِ فِرْقَةً ... عَلَى السُّنَّةِ الْغَرَّا بِصِدْقٍ وَحُجَّةِ

فَقُلْتُ عَسَى أُنْشُودَتِي[2] عِنْدَهُمْ تُرَى ... وَهَزَّتْنِيَ الْأَشْوَاقُ أَيَّةَ هَزَّةِ

بَلَغْتُ فَأَلْفَيْتُ الْمُخَبَّرَ صَادِقًا ... وَشَاهَدْتُ سُنَّاتٍ تَجَلَّتْ بِعِزَّةِ

قَدِ اخْتَرْتُ دِهْلِي لِلْإِقَامَةِ إِنَّهَا ... بِلَادُ عُلُومِ الدِّينِ فِيهَا تَسَنَّتِ

وَقَدْ شُفِيَتْ نَفْسِي وَزَالَ سِقَامُهَا[3] ... غَدَاةَ رَأَتْ عَيْنِي مَسَاجِدَ سُنَّةِ

فَلَا تَسْمَعَنْ فِيهَا سِوَى قَالَ رَبُّنَا ... وَقَالَ رَسُولُ اللهِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

لَقَدْ مَثَّلُوا خَيْرَ الْقُرُونِ لِنَاظِرٍ ... بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ وَاجْتِهَادٍ وَنِيَّةِ

إِمَامُهُمُ خَيْرُ الْأَئِمَّةِ كُلِّهِمْ ... عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَنِ أَزْكَى تَحِيَّةِ

* * *

(١) في «الدعوة إلى الله» و«الهدية الهادية»: «يعدون بالآلاف في الريرمون».

(٢) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «مَنْشُودَتي»، وهما بمعنى.

(٣) كذا ضبطها (بو خبزة) في «منحة الكبير المتعالي» على وجهين؛ بفتح وكسر.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[تعسًا لمن باع الدِّيانة بالدُّنى][1]

[٢٣] وقلتُ ليلة ١٩/ ٦/ ١٣٤٧، وقد دُعيتُ إلى إكرامٍ مُثبِّطٍ! وكان أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم[2] من قِبَلِ الملك عبد العزيز بن سُعود، وكان الأمير ظالمًا غشومًا،

---

(١) الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ٩٦) للهلالي، وقبلها: «قلت ليلة ١٩/ ٦/ ٤٧هـ وقد دعيتُ إلى إكرام مثبط»، وفوقها: «نقلت»؛ أي إلى «الديوان».

(٢) هو رابع أمير تولَّى إمارة المدينة النبوية في العهد السعودي بعد حكم الملك عبد العزيز آل سعود -رحمهما الله تعالى-، تولى من (١٠/ ٤/ ١٣٤٦هـ) إلى (١٣/ ٢/ ١٣٥٥هـ)؛ انظر «تاريخ معالم المدينة المنورة» لأحمد الخياري (٢٦٨-٢٦٩).

قال الشيخ حمَّاد الأنصاري -وهو من مُحبِّي الهلالي، المكثرين من الثناء عليه-: «تقي الدين الهلالي أخرجه أميرُها ابن إبراهيم؛ لأنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بشدَّة.

قلتُ له ذات مرَّة: علمك هذا لا يُستفاد منه! فالمغاربة يشتكون من شدَّتك! فغضب عليَّ، وقال: لم تسر الأمور معي إلَّا بالشِّدَّةِ»؛ انظر «المجموع» (٢/ ٥٩٢) لولده عبد الأول.

ثم وجدتُ في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثاني، العدد (٦٧)، بتأريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٧م أخبارًا عن الملك عبد العزيز وما يجريه من إصلاحات في جميع الميادين، وفيها الرسالة التي بعث بها الملك إلى أهل المدينة، قال محب الدين الخطيب -تحت عنوان (أسلوب الحكم في الحجاز)-:

«(رسالةٌ بعث بها الملك ابن السعود قبل أسبوعين إلى أهل المدينة عقب استقالة الأمير مشاري -أمير المدينة-، وصدور أمر جلالة ملك الحجاز ونجد بإسناد إمارة المدينة إلى الفاضلين الكاملين عبد العزيز بن إبراهيم وياسين الرواف، وكلاهما من أعيان نجد وأهل الإدراك فيها. . .).

وهذه مقتطفات من تلكم الرسالة الملكية:

«السلام عليكم ورحمة الله، وبعد؛ فقد استقال ولدنا مشاري؛ ترويحًا لنفسه من المرض الذي أصابه، ولم نأذن له لأول الأمر، ثم لما اشتد به المرض لم نرَ بُدًّا من الرخصة له، وقد أمرنا عبد العزيز بن إبراهيم أن يكون وكيلاً للإمارة، وأن يكون ياسين الرواف معاونًا له. . .»، وبعد أن تكلَّم عما يتعلق =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أُمِّر على الطائف من قبلُ؛ فقتل نفسًا بلا حقٍّ، فغضب عليه الملك عبد العزيز وعزله وجرَّده من كل شيء يملكه حتى اضطر إلى أَنْ يبعث زوجَه وأولاده إلى الرياض، وبقي مُهانًا يتسكع مُدَّةَ أربعة أشهر، ثم رَضِيَ عنه وولَّاه على المدينة.

وكلَّفني رئيسُ القضاة الشيخ عبد الله بن الحسن[1] أنا والشيخ محمد بن عبد الرزاق المصري أَنْ نُراقب أعمال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأَنْ نراقب الأميرَ

بالمجالس الإدارية والمجالس البلدية، قال: «. . أما الدين؛ فالعمدة على ما قرره الشيخ عبد الله بن حسن وإخوانه المساعدون له، وهذا وكيل أمير المدينة قادم إليكم، وربما بلغكم أخبار شدته، وهذا أمر لا حقيقة له: إنه شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق المستقيم وعرف حق نفسه، وزيادة على هذا؛ فقد أوصيناه بما يلزم، وأكدَّنا عليه التأكيد التام في جميع الأمور التي لا يتعدَّاها -إن شاء الله تعالى-.

أما أعماله؛ فهي قائمة بحول الله على الأحكام الشرعية، وقد أمرناه أن لا يتعدَّاها مثقال حبة، وأمرناه أن يجري في أمور الدوائر حسب ما هو مقرر لها في النظم التي أمرنا بوضعها. . .، وأوصيناه بالرفق، وإقامة أوامر الله، والأخذ بيد مَن قام بها، وستلقونه كما ذكرنا لكم وأكثر -إن شاء الله-.

وأنتم تتساعدون وإياه على البر والتقوى، وتجتهدون في حسم مادة الشقاق والقيل والقال، ومنع ترويج الأغراض الخصوصية، نرجو من الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦، عبد العزيز السعود)».

وسيأتي ذكر لهذا الأمير من مواطن عديدة من هذا «الديوان»؛ انظر المقاطع (٢٤، ٣١، ١١٨، ١٧٩).

(١) هو صاحب السماحة العلامة، الفاضل الجليل؛ الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن ابن الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رئيس القضاة في حياته -رحمه الله-.

ولد هذا العالم الشهير ببلدة الرياض، في اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام، سنة ألف ومئتين وسبع وثمانين من الهجرة، كان محُبًّا للعلم والعلماء، ثاقب الرأي، مسددًا في شؤونه، حازمًا، راجح العقل، تولى قضاء الجيش سنة ١٣٣٩هـ إلى أن توفي سنة ١٣٧٨هـ؛ انظر ترجمته: «الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ؛ حياته وجهوده» لوليد الفريان، و«مشاهير علماء نجد» (ص ١٥٢).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فيما يتعلق بأمور الدين، ودعاه فحضر وأخبره أمامَنا بذلك؛ فأراد أنْ يُسكتنا بإقامة المآدب، وفي ذلك قلتُ الأبيات التالية [البحر الطويل]:

أَيَـا عِـزَّةً تُفْـضِي إِلَى ذُلِّ دِينِنَـا ... فَـلَا كَـانَ مَـنْ يَـهْوَاكِ يَوْمًـا وَلَا كُنْـتِ

وَيَـا ذِلَّـةً تُفْـضِي إِلَى عِـزِّ دِينِنَـا ... فَسُحْقًا لِـمَنْ يَأْبَاكِ أَنْـتِ الْـمُنَى أَنْـتِ

فَعِـشْ فِـي خُـمُولٍ ذَا ارْتِيَـاحٌ بِذِلَّـةٍ ... إِذَا الْعِزُّ أَضْحَى عَنْدَ ذِي الْفِسْقِ وَالْمَقْتِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَعْذِبِ الصَّابَ فِي الْهَوَى ... فَبِـاللهِ لَا تَكْـذِبْ فَـمَا أَنْـتَ بِالنَّبْـتِ

فَتَعْـسًا لِـمَنْ بَـاعَ الدِّيَانَـةَ بِالـدُّنَى ... كَـمَا فَعَلَـتْ فِيمَا مَضَى عُـصْبَةُ السَّبْتِ

تمت.

***

[التائية][1]

[٢٤] وقلتُ في ليلة ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ في المدينة، وسببها ما تقدَّم من خُبثِ أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم[2]، وحبِّه للإستئثار بجميع الدوائر في المدينة؛ التعليم وأمور المساجد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الملك عبد العزيز يقول لنا ويُكرِّرُ في كلِّ مجلسٍ: أيُّها العلماء! إنِّي نزعتُ هذا الأمر من عنقي وجعلتُهُ في أعناقكم؛ غَيِّرُوا المنكرَ، وابدؤوا بي، ثم بأهل بيتي.

ومن أعظم أسباب العداوة بيننا وبين هذا الأمير أنَّ الشيخ عبد الرشيد الأفغاني اقترح

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٧٣ - ١٧٦)، ثم وجدتُ الأبيات في (الدفتر الخاص) (ق ٨٩-٩٣) للهلالي، وقبلها: «المدينة في ليلة ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ».

(٢) سبقت ترجمته في المقطع السابق.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

على الملك عبد العزيز أنْ يفتح مدرسةً لتعليم المطوفين بمكة المناسك والتوحيد والأخلاق، وأنْ يُؤسس مدرسةً للمزَوِّرين بالمدينة يُعلَّمون فيها آداب زيارة المسجد النبوي وآداب زيارة القبور الشرعية، والتوحيد والأخلاق؛ فكتب نائب الملك إذ ذاك الأمير فيصل ابن عبد العزيز -الذي هو ملك اليوم- إلى الأمير المذكور يأمره بتنفيذ هذا الاقتراح(١)، وكتب إلينا مدير المعارف بمكة يأمرنا بوضع منهاج لهذه المدرسة، وتعيين الكتب، والمدرسين، ومراقبة الدروس، وحضور المزَوِّرين وامتحانهم، وكان المزَوِّرون -كلهم- من أعيان المدينة، وعددهم نحو مئتين، وخدامهم ثلاث مئة، فلما وضعنا المنهاج وعيَّنا الكتب والمدرسين وجدنا في سبيل ذلك عقبات:

منها: أنَّ المُزَوِّرين يتكبَّرون عن الحضور في حلقات الدروس، ويكتفون ببعث

---

(١) كان ذلك في سنة ١٣٤٧هـ؛ أنشئت مدرسة للمطوفين ومقرها المسجد الحرام، وكان سبب إنشائها كثرة شكاوى الحجاج من جهل المطوفين بأمور الحج، وقد صدرت في شهر صفر من العام المذكور إرادة ملكية تنظم الدراسة في هذه المدرسة.

وتقرر أن تكون مدة الدراسة فيها سنة واحدة، تدرس خلالها الموضوعات التالية: التوحيد، والعبادات، مناسك الحج على المذاهب الأربعة، والأنظمة الإدارية المتعلقة بالمطوفين.

وقد نصت الإرادة الملكية على وجوب التحاق جميع المطوفين بها؛ لأنه لن يسمح بعد عام ١٣٤٨هـ؛ لأي مطوف أن يزاول عمله ما لم يكن قد حصل على شهادة من هذه المدرسة.

وفي أوائل عام ١٣٤٧هـ وُكِّلَ تدريس المطوفين إلى أصحاب الفضيلة المشائخ عبد الظاهر أبي السمح، بهجت البيطار، محمد حامد الفقي، محمد عبد الرزاق حمزة، محمد تقي الدين الهلالي، وغيرهم.

ويبدو أن المدرسة لم تستمر طويلاً؛ إذ لم يوجد ذكر لنشاطاتها في الصحف اليومية التي كانت تصدر حينئذٍ في مكة؛ انظر: «مجلة العرب»، العدد (٧، ٨)، محرم وصفر، ١٤٠٤هـ، (ص ٥٠٧)، وكتاب «الشيخ العلامة المحدث محمد عبد الرزاق حمزة من كبار علماء الحرمين الشريفين» (ص ١٣٤) للأخ الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

صبيانهم وخَدَمهم.

ومنها: أنَّ المدرسين في المسجد النبوي أكثرهم من عُبَّاد القبور؛ يحيدون في دروسهم عن التصريح بالحق، ويملؤونها بحكايات لا علاقة لها بالموضوع.

والأمير يقف إلى جانب المدرسين والمزَوِّرين والفساق إذا كانوا من أعيان البلد؛ ليكتسب رضاهم؛ فَيَطُول بقاؤه في الإمارة!

ولكن الله -تعالى- انتقم منه، وعامله بنقيض ما أراده، وشَرْحُ ذلك يطول، وكان يرى أنَّ معارضتنا له وعدم خضوعنا لجميع أوامره، واتصالنا بالملك ورئيس القضاة، وقاحة وعدوانًا على حقِّه، وكلَّ ما جاءتنا رسالة من الملك تغلي مَراجلُهُ ويقول في جلسائه: ما لهذين الرجلين ومكاتبة الملك؛ هل هما أميران يحكمان معي هنا؟!!

ثم يجيئنا أحد كُتَّابِهِ ويقول لنا: إنَّ الأمير قلق من هذه الرسالة؛ فإنْ لم يكن فيها شيء لا تحبان الاطلاع عليه فدعوه يقرؤها؛ فنبعث بها إليه؛ فلا يجد شيئًا مما يخافه.

وبعد مشادَّة طويلة دامت نحو سنتين؛ دعانا إلى الطبقة الرابعة من قصره حيث يسكن أهل بيته؛ فقدَّم لنا التمر واللبن والبطيخ الأحمر -ويُسميه أهل نجد: (الجح)، وأهل الحجاز: (الخربز)، وأهل الموصل: (الشمزي)، وأهل بغداد: (الرقي)، وفي المغرب يُسمَّى: (الدلاح)، وله أسماء أُخرى[1]-، وقال لنا: أنا ما دعوتكما للغداء، وإنما دعوتكما للتفاهم؛ اعلما أنَّ الملك يأمرنا بأمر، ويأمركما بضده؛ فماذا تريدان منِّي؟! أأنفذ الأمر الذي يأمرني به، أم أنفذ الأمر الذي يأمركما به؟! وأنا أشهد بالله أنكما من العلماء الناصحين، ولكن الأمور لا تسير مع هذا التشدد الذي أنتما عليه؛ فعلى رسلكما.

فانصرفنا من عنده وقد ازددنا بغضًا له، وأمعانا في مخالفته؛ فعندئذٍ عمد إلى السلاح الوحيد الذي ظنَّ أنه ينتصر علينا به، وهو (الوشاية)؛ فكان له ما أراد، فكتب إلى الملك

---

(١) «سمعتهم ينادون هناك: بالحبحب [على] السكين». (بو خبزة).

وكذب علينا أكاذيب عظيمة؛ منها: أنني أنا من المسببين لثورة (الدويش) وسلطان بني بجاد؛ فإنِّي أُخبِرُ أهل البادية بتقصير الحكومة في أمور الدين، وأنِّي من المتآمرين، وكذب على صاحبي أكاذيب أخرى، ولو ذهبتُ أُفصِّلُ ما جرى بيننا وبينه لطال القول، وربما أعود إلى شيء من ذلك[1]، [البحر الطويل]:

---

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» بدل هذه المقدمة الطويلة: «ذكر ما قلتُه من الشعر أيام إقامتي الأولى في المدينة»! فأوجز الكلام! ولم يذكر تفصيل الخبر!

قال أبو عبيدة: ثم ظفرتُ برسالة مؤرخة في ١٥/ ٢/ ١٣٨٨هـ - ١٢/ ٥/ ١٩٦٨م، ووجهها الهلالي لصديقه العزيز الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي -رحمه الله تعالى- يُفصِّل فيها طرفًا مما أجمله هنا؛ كَتَبَ إليه من مكناس يقول:

«ولمَّا عُيِّنْتُ مُراقِبًا للمدرسين في المسجد النبوي سنة ١٣٤٥هـ؛ وجدتُ الشيخ إلفاهاشم السنيكالي؛ أكبر فقهاء المدينة في ذلك الزمان وأسنُّهم، وهو مقدم الطريقة التيجانية، وأحد كبار المدرسين في المسجد النبوي؛ كتبتُ ١٣ مسألة من ضلالات التيجانيين من حفظي بدون مراجعة كتاب، وناولتها رئيس القضاة في المملكة السعودية -إذ ذاك الشيخ عبد الله بن حسن-، وأخبرته أن إلفاهاشم يعتقدها!

فلما قرأها اقشعر جلده! وقال: وهل يوجد مسلم يعتقد مثل هذا؟!

فدعا بإلفاهاشم، وناوله الصحيفة؛ فلما قرأها قال له: أنت تعتقد هذا؟ قال: هذا موجود في كتب الطريقة، وأنا لا أعتقده.

فقلتُ أنا له: قل هذا حقٌّ أو باطل؟

فقال لي: إن الشيخ ليس بحاجة إلى مساعدتك!

فقال الشيخ: بلى والله! هو يعرف ضلالاتكم! وأنا لا أعرفها!

وأمره أن يقول ما يعتقده في تلك المسائل؛ أهي حقٌّ أم باطلٌ؛ فاضطر أن يقول: إنها من الباطل؛ فقال له الشيخ: الآن ظهر أنك من شيوخ الضلال، ولك أتباع؛ فيجب عليك أن تتوب إلى الله من هذه الطريقة، وتُؤلِّف رسالة تُعلنُ فيها توبتك؛ لنطبعها، ونوزعها على أتباعك، وإذا أكملتَ الرسالة فأطلع عليها محمدًا تقي الدين الهلالي ومحمد بن عبد الرزاق بن حمزة؛ فإذا ارتضياها، يبعثانها إليَّ! =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

فأخذنا نطالبه بتأليف الرسالة؛ فاستعدى علينا الأمير عبد العزيز بن إبراهيم! واستجار به! فأجاره!

وكان ذلك من أسباب العداوة بيننا وبين الأمير؛ حتى أخرجنا من المدينة بسبب وشاية ذلك الأمير (. . . .) إلى الملك عبد العزيز آل سعود، والقصة طويلة. .».

ومن الجدير بالذكر ثلاثة أمور:

الأول: الأسئلة التي في الصحيفة التي أعطيت إلى (إلفاهاشم)؛ أوردها الهلالي في مقالة له نشرت في مجلة «الشهاب» الجزائرية، العدد (١٥٢)، بتأريخ ٣ محرم ١٣٤٧هـ - جوان ١٩٢٨م، (ص ٥-٨)، وفيها تأكيد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة لصحة الخبر.

الثاني: المقالة المنوّه بها سابقًا في «مقالاتي» التي جمعتُها للهلالي، وفي التعليق عليها ترجمة لإلفاهاشم.

الأخير: بيّنتُ هناك عاقبة (إلفاهاشم)، وهل ما كتبه من تلك الأوراق التي دفعها إلى الأمير، وما أشهد عليه القاضي من التبرؤ من ضلالات التجانيين؛ هل كان ذلك كله عن اقتناع وإيمان واعتراف صادق؟! أم أنه مجرد إجراء قام به ليصرف عن نفسه التهمة والمطاردة والملاحقة؟! فإنه لا مناص له من التهرب؛ فكم أظهر أناس في تلك الفترة بالذات التوبة والرجوع تحت ضغط وإلزام الحكومة والمشايخ الذين وكلتهم بهذا الأمر، وحقيقة الحال أنهم لا يزالون على اعتقادهم، يخفونه ولا يجهرون به؛ لأن الدولة الآن لأهل التوحيد التي لا تتساهل في هذا الجانب؛ فيموتون على عقائدهم تلك، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله؛ انظر: «مجموع أقوال حماد» (٢/ ٤٩١).

فهل صدق (إلفاهاشم) وكان باطنه مطابقًا لما قاله بلسانه وخطه بيده؟! وكأن الأستاذ الهلالي تخوَّف من مثل هذا حين قال: «ويصلح منا ومنه الظاهر والباطن. .».

كانت هذه الحادثة في سنة ١٣٤٦هـ، وعاش (إلفاهاشم) إلى سنة ١٣٤٩هـ، تاريخ وفاته بالمدينة بالمسجد النبوي، ولم تشتهر توبته، ولم تشتهر رسالته التي فيها براءته -في حدود علمي-، إنْ كان كتب رسالة كما طُلِبَ منه؛ لتطبع وتوزَّع، وإنما الذي وقفتُ عليه شيء آخر مؤسف، يجعلنا نستخلص أن تماطل (هاشم) أوَّلاً، وتهرُّبه وشكايته بـ(الهلالي)، ثم رضوخه مؤخرًا؛ أن كل ذلك للتخلص من المتابعة؛ إذ وجدتُ تلميذه (حسين حسن الطمائي) جامع رسالته: «إفادة أهل التنوير...» يذيلها بـ(نعي ورثاء) =

يُحَرِّكُنِي لِلشِّعْرِ مِنْ بَعْدِ تَرْكِهِ ... سِنِينَ[١] هُمُومٌ أَكْثَرَتْ زَفَرَاتِي[٢]

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةً ... يُقَطِّعُ نَفْسِي رَأْيُهَا حَسَرَاتِ

فَنَادَيْتُ فِي كُلِّ النَّوادِي مُؤَذِّنًا[٣] ... بِنُصْحٍ وَكَمْ رَهَّبْتُهُمْ بِعِظَاتِ

شيخه، بعد أن قال في أول الرسالة عن نفسه: «أنا العبد الفقير حسين بن حسن الطمائي بلدًا، المالكي مذهبًا، الأشعري عقيدةً! التجاني طريقةً! المحمدي حقيقةً! هذا كتاب...» (ص ٢)، جاء في (النعي): «ذكرى رثاء المغفور له، سيدي ومولاي؛ ألفا هاشمي الفوتي الفلاتي، المحدث الشهير، والخليفة الأعظم للطريقة التيجانية المشرفة، المدفون بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم. اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد؛ قد وصل خبر وفاة المغفور له، سيدنا ومولانا، الأستاذ العالم، العلامة الواعظ، والمحدث الشهير بالمدينة المنورة، صاحب التآليف الشهيرة، **وخليفة الطريقة التيجانية الأعظم**! صاحب المؤلفات الشهيرة؛ مولانا ألفا هاشمي الفوتي الفلاتي، أسكنه الله فسيح جنانه، وأنالـه رضوانه، وفي يوم ٣٠/ ٤/ ١٩٣١ تفضل سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى، الأستاذ العلامة؛ الشيخ مصطفى أبو قصيصة **الخليفة الأعظم للطريقة التيجانية المشرفة** في عاصمة بربر في القطر السودان المصري، ودعى جميع **السادة التيجانية** وسكان البلاد لاجتماع عام في **ساحة الزاوية التيجانية العامرة** لتلاوة آي الذكر الحكيم لروح الفقيد، وأولم وليمة كبيرة جدًّا قسمت للفقراء في ذلك اليوم، وقد لبَّى نداءه جمع كبير من **إخواننا التيجانية** وغيرهم، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة وقبل **الذكر المعتاد**، وقد ضم هذا الذكر كثيرًا من العلماء والمستخدمين والتجار وغيرهم...» إلخ، وعقب هذا قصيدة رثاء، وهناك مزيد بيان، واستفدتُ هذا من تعليق الأخ أبي محمد الوهراني على «الطرائق القدد وعواقبها الوخيمة» (٩٣)، والله الموفق.

(١) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «سنون»!!

(٢) في «الدفتر الخاص»: «حسرات».

(٣) كذا ضبطها (بو خبزة)، وهي الصواب وزنًا، وفي بعض طبعات «الدعوة»: «مُؤْذِنًا»، وهي خطأ وزنًا!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَيَا قَوْمَنَا هُبُّوا مِنَ النَّوْمِ أَنْكِرُوا ... وَغَارُوا عَلَى هَتْكٍ لِذِي الْحُرُمَاتِ

أَلَا غَاضِبٌ للهِ يَحْمِي حُدُودَهُ ... أَلَا قَائِمٌ بِالْحَقِّ حِلْفُ ثُبَاتِ[1]

أَلَا بَاذِلٌ للهِ نَفْسًا كَرِيمَةً ... وَعِرْضًا مَصُونًا أَصْدَقَ الْبَذَلَاتِ

يَصِيحُ بِأَهْلِ[2] الشِّرْكِ وَالْفِسْقِ صَائِلاً[3] ... كَزَأْرَةِ ضِرْغَامٍ عَلَى حُمُرَاتِ

وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ بِالصِّدْقِ دَعْوَةً ... مُعَزَّزَةً مَحْمِيَّةً بِظُبَاتِ[4]

يَسُلُّ عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ لِسَانَهُ ... كَسَيْفٍ صَقِيلٍ صَادِقِ اللَّهَجَاتِ

يَشُنُّ عَلَى أَهْلِ الْبَدَائِعِ غَارَةً ... فَيَحْصِدُ مَا أَبْدَوْا مِنَ الشُّبُهَاتِ

وَيَخْطُبُ فِي التَّوْحِيدِ يُبْدِي مَحَاسِنًا ... تَفِيضُ لَدَيْهَا الْعَيْنُ بِالْعَبَرَاتِ

يُجِيبُهُ أَهْلُ الْعَقْلِ لَبَّيْكَ دَاعِيًا ... يَخِفُّونَ[5] وِحْدَانًا لَهُ وَثُبَاتِ[6]

وَمَنْ قَدْ أَبَى إِلَّا ضَلَالاً فُؤَادُهُ ... مُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاكِ وَالْبِدِعَاتِ

وَيَزْرِي عَلَى التَّوْحِيدِ إِمَّا مُصَرِّحًا ... وَإِمَّا بِتَعْرِيضٍ بِمُشْتَبِهَاتِ

---

(١) مفردها (ثُبَة)، وهي: الجماعة.

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «يا [أ]هل»!

(٣) في «الدفتر الخاص»: «والفسق صيحة».

(٤) مفردها (ظبة)، وهو: حَدُّ السيف.

(٥) كذا في «الدعوة إلى الله»، وفي «الدفتر الخاص»: «يجيئون»، وفي «منحة الكبير المتعالي»: «خمسون»! وهي خطأ بيقين.

(٦) أي: متفرقين.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مُكِبًّا عَلَى نَشْرِ الضَّلَالَةِ مُوضِعًا ... إِلَى الشِّرْكِ يَهْوَى[1] الْخَبْطَ فِي الظُّلُمَاتِ

فَذَلِكَ حَدُّ السَّيْفِ أَشْفَى لِدَائِهِ ... وَإِلَّا فَسَوْطٌ مُؤْلِمُ الضَّرَبَاتِ

وَإِلَّا فَحَبْسٌ فِي السُّجُونِ مُخَلَّدًا ... وَإِلَّا فَنَفْيٌ مُؤْذِنٌ بِشَتَاتِ

وَإِلَّا فَرَفْعٌ لِلْإِمَامِ بِسُرْعَةٍ ... يَرَى فِيهِ رَأْيًا صَادِقَ الْعَزَمَاتِ

وَإِلَّا فَقَدْ خُنْتُمْ أَمَانَةَ رَبِّكُمْ ... وَخُنْتُمْ لِخَيْرِ الْخَلْقِ كُلَّ وَصَاةِ

وَخُنْتُمْ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِغِشِّكُمْ ... وَقَدْ أَوْجَبَ الرَّحْمَنُ نُصْحَ وُلَاةِ

وَخُنْتُمْ عِبَادَ اللهِ سِرًّا وَجَهْرَةً ... وَكُنْتُمْ لِمَا تَرْعَوْنَ شَرَّ رُعَاةِ

فَلَا تَحْسَبُنَّ اللهَ يَغْفُلُ عَنْكُمُ ... تَعَالَى عَنِ الْإِهْمَالِ وَالْغَفَلَاتِ

أَلَمْ تَسْمَعُوا إِيعَادَهُ فِي كِتَابِهِ ... لِمَنْ لَا يُزِيلُ النُّكْرَ بِاللَّعَنَاتِ

بَلَى[2] قَدْ سَمِعْتُمْ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ... وَلَكِنَّكُمْ سَاهُونَ فِي الْغَمَرَاتِ

أَغَرَّكُمُ إِمْهَالُهُ فَطَغَيْتُمُ ... وَصَارَتْ قُلُوبٌ مِنْكُمُ صَخَرَاتِ

أَفِيقُوا أَفِيقُوا وَيْحَكُمْ قَدْ هَلَكْتُمُ ... وَإِنَّ الَّذِي قَدْ تُوعَدُونَ لَآتِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»، و«الدعوة إلى الله»: «يهوى» بألفٍ مقصورةٍ دون نقطتين من تحت؛ فضبطناها بما يُناسب هذا الرسم وسياق الكلام بفتح الواو (يهوَى)، ومعناها -بهذا الضبط-: يُحِبُّ، وقد وُضِعَتْ في «منحة الكبير المتعالي» كسرة تحت الواو (يهوِي)، ومعناها -بهذا الضبط-: يسقطُ، وهذا المعنى يخالف سياق الكلام، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»، و«الدعوة إلى الله»: «بل»، والتصويب من (بو خبزة)، ووجدتها على الجادة في «الدفتر الخاص» وفي طبعة لاحقة من «الدعوة إلى الله» (ص ٢١٥).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وِلَايَاتُكُمْ[١] عَمَّا قَرِيبٍ تَرَوْنَهَا ... سَرَابًا وَلَا يَبْقَى سِوَى الْحَسَرَاتِ

أَفِيقُوا أَفِيقُوا وَيْحَكُمْ قَدْ بُلِيتُمُ ... وَلَا يَفْتِنَنْكُمْ زُخْرُفُ الشَّهَوَاتِ

فَتُوبُوا إِلَى [الرَّبِّ] الْغَفُورِ[٢] وَأَصْلِحُوا ... وَأُوبُوا لِنَهْجِ الرُّشْدِ قَبْلَ فَوَاتِ

(لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا ... وَأَيْقَظْتُ مَنْ)[٣] يُصْغِي إِلَى كَلِمَاتِي

فَيَا عَجَبًا مِنْ نَاصِرٍ لِضَلَالَةٍ ... وَخَاذِلِ دِينِ الْحَقِّ[٤] فِعْلَ غُوَاةِ

وَمِنْ بَائِعٍ رُشْدًا بِغَيٍّ[٥] سَفَاهَةً ... وَلَمْ يَكُ ذَا جَهْلٍ بِمَا هُوَ آتِ

مُخَادِعُ دِينَ اللهِ سَاعٍ لِهَضْمِهِ ... بِكَيْدٍ عَظِيمٍ مُحْكَمِ الشُّبُهَاتِ

أَلَمْ يَدْرِ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ جَهْرَهُ ... وَيَعْلَمُ مَا يُخْفِيهِ فِي الْخَلَوَاتِ

أَلَمْ يَدْرِ أَنَّ اللهَ نَاصِرُ دِينِهِ[٦] ... وَقَاذِفُ أَهْلِ الْبَغْيِ فِي الْهَلَكَاتِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»، و«الدعوة إلى الله» و«الدفتر الخاص»: «ولا ياتكم»، وفي طبعة أُخرى من «الدعوة إلى الله»: «وَلَيَأْتِيَنَّكُمُ... ترونَهُ...»!!

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من «الدعوة إلى الله»، وبدلها في «الدفتر الخاص»: «الله»؛ ولذا البيت مكسور في «منحة الكبير المتعالي» دون هذه الزيادة، وقد قام (بو خبزة) بوضع خطٍّ تحت (الغفور) وكتب في الهامش: «الغفار دومًا»؛ أراد بذلك أن يَزِنَ البيت، وقد فعل؛ فصار صدر البيت عنده: «فَتُوبُوا إِلَى الغَفَّارِ دَوْمًا وَأَصْلِحُوا». (أبو الفضل).

(٣) سقط الهلالان من «الدعوة إلى الله».

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله» (٢١٥): «وَخَاذِل لِدِينِ الحقِّ»!

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «راشدا بغى»! وفي طبعة أخرى منه كالمثبت.

(٦) سقط صدر هذا البيت مع عجز البيت السابق من طبعة (دار الكتاب والسنة)!! من «الدعوة إلى الله» (ص ٢١٥).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَيَلْبَسُ مَسْكَ الْكَبْشِ سِيدٌ عَمَلَّسٌ (١) لِتَأْمِينِ أَغْنَامٍ وَخَدْعِ رُعَاةِ

فَكَمْ خَدَعَ الرَّاعِي وَعَاثَ بِضَأْنِهِ فَيَا ضَيْعَةَ الْخِرْفَانِ وَالنَّعَجَاتِ

وَيَا ضَيْعَةَ الدِّينِ الَّذِي صَارَ لُعْبَةً بِأَيْدِي طَغَامٍ فِي الشُّرُورِ سُعَاةِ

وَإِنْ هُمْ دُعُوا لِلْعُرْفِ أَوْ نَفْيِ مُنْكَرٍ تَوَلَّوْا وَحَاصُوا حَيْصَةَ الْحُمُرَاتِ

وَصَدُّوا عَنِ الدَّاعِي وَعَدُّوهُ أَحْمَقًا ثَقِيلاً بَلِيدَ الطَّبْعِ غَيْرَ مُؤَاتِ

يَخُوضُ بِأَمْرٍ لَيْسَ يَعْنِيهِ سَاعِيًا إِلَى حَتْفِهِ جَهْلاً بِغَيْرِ حَصَاةِ

وَقَالُوا لَهُ ذَا لَيْسَ شَأْنَكَ فَانْتَهِ وَإِلَّا تُلَاقِي عَاجِلَ النَّكَبَاتِ

فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَسْتَ أَهْلَهُ هَذَاذَيْكَ (٢) يَا مِسْكِينُ فُزْ بِنَجَاةِ

فَنَحْنُ وُلَاةُ الْأَمْرِ فَوْقَكَ حُكْمُنَا وَنَحْنُ اصْطُفِينَا لِاعْتِلَا الرُّتَبَاتِ

وَأَنْتَ لِحُمْقٍ فِيكَ أُبْقِيتَ مُهْمَلاً وَلَمْ تَكُ أَهْلاً لِارْتِقَا الدَّرَجَاتِ

فَدُمْ فِي خُمُولٍ وَاسْتَعِدَّ لِمِحْنَةٍ مُعَجَّلَةٍ مِنْ أَعْظَمِ الْمِحَنَاتِ

وَقَالُوا تَعَالَوا دَبِّرُوا فِي مَكِيدَةٍ لِنُوقِعَ ذَا الْمَجْنُونَ فِي الْهَلَكَاتِ

تَعَالَوا فَشُوا عِنْدَ الْإِمَامِ وَنَمِّقُوا لَهُ فِرْيَةً مِنْ زُخْرُفِ الْكَذِبَاتِ

وَقُولُوا لَهُ هَذَا شَدِيدٌ مُنَفِّرٌ عَدِيمُ سِيَاسَاتٍ عَدِيمُ أَنَاةِ

---

(١) «العَمَلَّسُ -بفتح العين والميم، واللام المشددة-: القوي على السير السريع، والذئب الخبيث». «القاموس المحيط».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «هذا ذيك»! وفي طبعة أُخرى: «هَذَيْكَ»! والمثبت من «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتر الخاص»، و«هَذَاذَيْكَ؛ أي: قطعًا بعد قطعٍ». «القاموس المحيط».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَكَمْ فِتْنَةٍ قَدْ شَبَّ فِي النَّاسِ نَارُهَا ... وَكَمْ ذَا لَهُ مِنْ طَائِشِ الْحَرَكَاتِ

نَخَافُ اتِّسَاعَ الْخَرْقِ إِنْ دَامَ[1] أَمْرُهُ ... فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ النَّقَمَاتِ

لِيَزْدَجِرَ الْحَمْقَى مِنَ النَّاسِ مِثْلُهُ ... وَتَنْتَظِمَ الْأَحْكَامُ مُنْضَبِطَاتِ

لَقَدْ غَفَلُوا عَنْ قَوْلِ أَصْدَقِ قَائِلٍ ... لَدَى (النَّمْلِ)[2] تَحْذِيرًا لَنَا وَعِظَاتِ

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْقَوْمَ جَاؤُوا بِمَكْرِهِمْ ... فَقَدْ جَاءَهُمْ مَكْرٌ مِنَ اللهِ آتِ

فَفِي (آلِ عِمْرَانٍ)[2] وَ(الْأَعْرَافِ)[2] وَ(النِّسَا)[3] ... كَذَلِكَ آيٌ غَيْرُ مُشْتَبِهَاتِ

وَهَلْ تَنْفَعُ الْآيَاتُ إِلَّا أُولِي تُقًى ... وَأَفْئِدَةٍ صِينَتْ مِنَ الْكَدَرَاتِ

وَأَمَّا الْقُلُوبُ الْمُغْفَلَاتُ[4] عَنِ الْهُدَى ... فَلَيْسَتْ -وَإِنْ تَحْرِصْ- بِمُنْتَفِعَاتِ

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَذُو الْبَصَرِ الَّذِي ... يَمِيزُ بِهِ الْبَيْضَا مِنَ الْحُفُرَاتِ

وَمَا يَسْتَوِي النُّورُ الْمُبِينُ [وَلَا] الدُّجَى[5] ... وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَا وَأَهْلُ مَمَاتِ

فَيَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ تَوَاطَؤُوا ... عَلَى نَصْرِ ضُلَّالٍ وَكَيْدِ هُدَاةِ

---

(١) في «الدعوة إلى الله»: «دم»!

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، وتقرأ (الاعراف) بهمزة وصل للوزن. (أبو الفضل).

(٣) في «الدعوة إلى الله»: «والنساء»! والهلالان زيادة من (بو خبزة)، وفي (الدفتر الخاص): «. . .والنسا ء كذلك. . .»!

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «الغافلات».

(٥) في «منحة الكبير المتعالي» و«الدعوة إلى الله» و«الدفتر الخاص»: «والدُّجى»! والبيت -كذا- مكسور؛ فأبدلنا (الواو) بـ(ولا) ليصير البيت موزونًا؛ وكذا هو في طبعة أُخرى من «الدعوة» (ص ٢١٦).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَلَمْ تَسْمَعُوا لَعْنَ الرَّسُولِ لِمُحْدِثٍ ... بِطَيْبَةَ يَرْوِيهِ أَجَلُّ رُوَاةِ[1]

وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يَلْعَنُهُ كَذَا الْـ ... ـمَلَائِكُ طُرًّا أَعْظَمَ اللَّعَنَاتِ

وَيَلْعَنُهُ الْإِنْسَانُ مَعْ كُلِّ لَاعِنٍ ... مَدَى الدَّهْرِ فِي الْآصَالِ وَالْبُكُرَاتِ

وَيَشْمَلُ هَذَا اللَّعْنُ مَنْ كَانَ رَاضِيًا ... بِمَا قَدْ أَتَى مِنْ سَيِّئِ الْفَعَلَاتِ

تَحَمَّلَ هَذَا اللَّعْنَ مَنْ ضَلَّ سَعْيُهُ ... لِيَسْتَمْتِعَ الْمَغْبُونُ بِالشَّهَوَاتِ

فَيَا وَيْلَهُ مَاذَا تَحَمَّلَ مِنْ بَلَا ... لِحَظٍّ قَلِيلٍ مُعْقِبٍ بِفَوَاتِ

وَلَوْ عَاشَ فِيهَا عُمْرَ نُوحٍ وَضِعْفَهُ ... لَمَا عُدَّ شَيْئًا إِذْ يَرَى الْهَلَكَاتِ

فَعَمَّا قَرِيبٍ يَقْرَعُ السِّنَّ نَادِمًا ... إِذَا مَا صَحَا مِنْ[2] سَكْرَةِ الْغَفَلَاتِ

إِلَى اللهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي ... أَرَى الدِّينَ فِي نَقْصٍ وَفَقْدِ حُمَاةِ

وَيَزْدَادُ فِي الدُّنْيَا بِمِقْدَارِ نَقْصِهِ ... فَيَا لَكَ رُزْءًا مُحْكَمَ الْحَلَقَاتِ

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَى اللهِ مَلْجَأٌ ... لِمَا مَسَّنَا مِنْ فَادِحِ النَّكَبَاتِ

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَى اللهِ مَفْزَعٌ ... يُفَاجِئُ أَهْلَ الزَّيْغِ بِالنَّقَمَاتِ

فَيَا رَبُّ يَا أَللَّهُ يَا سَامِعَ الدُّعَا ... وَيَا كَاشِفَ الضَّرَّاءَ وَالْكُرُبَاتِ

أَغِثْنَا بِنَصْرٍ مِنْ لَدُنْكَ مُؤَيَّدٍ ... لِدِينِ الْهُدَى مُخْزٍ لِمَنْ هُوَ عَاتِ

---

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٨٦٧، ٧٣٠٦)، ومسلم (١٣٦٦) عن أنس بن مالك رفعه: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يُقْطَعُ شَجَرُهَا، وَلَا يُحْدَثُ فِيهَا حَدَثٌ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

(٢) كذا في «الدفتر الخاص»، وفي سائر المصادر: «في».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَيَخْسَرُ[١] حِزْبُ الْمُبْطِلِينَ إِذَا بَدَا ... وَيَفْرَحُ حِزْبُ اللهِ سَاعَةَ يَاتِي

وبَصِّرْ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ بِمَكْرِ مَنْ ... غَدَا لَابِسًا لِلْحَقِّ بِالشُّبُهَاتِ

وَوَفِّقْهُ لِلْخَيْرَاتِ وَانْصُرْ جُنُودَهُ ... عَلَى جُنْدِ إِشْرَاكٍ وَكُلِّ بُغَاةِ[٢]

وَيَا رَبُّ مَتِّعْنَا بِطُولِ حَيَاتِهِ ... وَحِفْظًا لَهُ مِنْ كَيْدِ كُلِّ عُدَاةِ

وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ مَشَى ... عَلَى نَهْجِهِ بِالصِّدْقِ خَيْرَ صَلَاةِ

وَذِي نَفْثَةُ الْمَصْدُورِ فِي وَجْهِ مَنْ بَغَى ... ثَمَانُونَ بَيْتًا مِثْلُ نَبْلِ رُمَاةِ

* * *

[خيالٌ ماجنٌ]

[٢٥] وقلتُ في خيالٍ ماجن -مع كراهيتي للمجون-، ولكني أثبت هذه القطعة لِمَا فيها من الاستعارة، وكان ذلك بالقصر الكبير سنة ١٩٤٧ [**البحر الطويل**]:

شَكَوْتُ إِلَى فَطُّومَ فَرْطَ صَبَابَتِي ... وَقُلْتُ لَهَا مُنِّي عَلَيَّ بِقُبْلَةِ

فَقَالَتْ لَكَ الْخَيْرَاتُ لَسْتُ بَخِيلَةً ... بِذَاكَ وَلَكِنِّي أُحَاذِرُ إِخْوَتِي

وَمَا يَنْفَعُ التَّقْبِيلُ مَنْ كَانَ عَاشِقًا ... وَلَكِنَّهُ يَصْلِي الْفُؤَادَ بِحَسْرَةِ

وَيُوقِدُ نَارًا لَيْسَ يُطْفِئُ حَرَّهَا ... سِوَى كُحْلِ عَيْنٍ أَسْفَلَ الْبَطْنِ حلَّتِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فيخسروا»، وقد ضُرِبَ على (وا)، وهو الصواب كما في «الدعوة إلى الله» و«الدفتر الخاص»، والله الموفق.

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «بغات».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمِنْ دُونِ ذَاكَ الْكُحْلِ خَرْطُ قَتَادَةٍ ... وَتَيْتِيمُ أَبْنَاءٍ وَتَأْيِيمُ نِسْوَةِ

فَلُذْ بِعَفَافٍ وَازْجُرِ النَّفْسَ صَابِرًا ... إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللهُ يَوْمًا بِسَلْوَةِ

* * *

[نظم يُسهِّل معرفة بحور الشعر]

[٢٦] وسألني عبد السلام سكيرج[(١)] بوجدة سنة ١٣٣٩هـ أَنْ أنظم له أبياتًا تُسهِّلُ عليه معرفة بحور الشعر؛ فنظمتها له، ولم أقيدها، ومما بقي عالِقًا بذهني بيتان في بحر **المجتث**، وهما:

اجْتَثَّ قُرْبِيْ وَوَلَّى ... وَأَدْمُعِي سَائِلَاتُ

مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ ... مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ

وفي **المتقارب**:

يُقَرِّبُ لِيْ الدَّهْرُ قَوْمًا جُفَاةً ... وَيُبْعِدُ مَنْ لِلِقَاهُ أَمِيلُ

فَلَا تَلُمِ الدَّهْرَ فَهْوَ فَعُولُنْ ... فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُ

* * *

(١) هو ابن أخي شيخه أحمد السكيرج، المذكور في المقطع الآتي، وكان الهلالي مُعلِّمًا لعبد السلام وابن شيخه أحمد: عبد الكريم، انظر «سبيل الرشاد» (٢/ ١١٨ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[مساجلة مع الشيخ أحمد سكيرج][(١)]

[٢٧] وكنتُ يومًا جالسًا مع الشيخ أحمد سكيرج[(٢)]؛ فافتتح المساجلة ببيت أنشده، وكان ذلك بوجدة سنة ١٣٤٠هـ، من بحر الخفيف:

إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ وَلَيْسَ ... لَـهُ نَحْـوٌ وَلَا لَـهُ آلَاتُـهْ

فظننتُه يريد المساجعة، ولم أتفطن إلى أنه بيتٌ من الشعر؛ فقلتُ أنا: كَحِمَارٍ عُلِّقَتْ عَلَيْهِ مِخْلَاتُهْ.

فقال لي: أتحفظ هذَينِ البيتَينِ؟ فقلتُ: أنا لم أتفطن إلى أنك أنشدتَ بيتًا! وإنما

---

(١) أورد البيتين في مقالة له بعنوان: «الحديث وفضل الحديث»، منشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد السابع، السنة السابعة، سنة ١٩٦٣-١٩٦٤م، (ص ١-٧)، وعقَّب عليها بقوله:

«سمعتُ هذين البيتين من الأستاذ الأديب الشيخ أحمد سكيرج، وكان شاعرًا أديبًا، لطيف المحاضرة، لا يخلو مجلس له من أدب، وكان ينظم البيت من الشعر في الجدِّ أو في الهزلِ؛ فيأمرني بالإجازة؛ فأشفعه ببيت آخر، وأحيانًا ينظم الشطر الأول؛ فيأمرني بإكمال البيت، وفي بعض الأحيان يأتي بسجعة، فأشفعها أنا بأُخرى، ثم ينشئ هو ثالثة، وأنشئ أنا رابعة، وهكذا دواليك.

ومرَّةً أنشد البيت الأول من البيتين المذكورين؛ فظننت أنه يسجع ويريد مني سجعة تالية، فقلتُ -على البديهة-: (كحمار علقت عليه مخلاته)؛ فقال لي: هل تحفظ هذين البيتين؟ فقلتُ: لا، إنما ظننت أنك تريد المساجلة في السجع؛ فتعجب من ذلك! وأنشدني البيت الثاني بتمامه».

ثم قال ما سيورده المصنف: «ولهذا الأستاذ فضل لي...» إلى: «لم يتغيَّر علي».

(٢) دَرَسَ الهلاليُّ عليه مُدَّةً، وظهرت إرهاصات نبوغ الهلالي وهو في طور الدرس عند هذا الشيخ، انظر «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٥)، وقال الهلالي عن شيخه هذا في مقال: «الإسلام يكافح الاستعمار»: «وله فضل عليَّ كبير»، وقال في «سبيل الرشاد» (٢/ ١١٨-١١٩) عنه: «كان يُجلُّني ويُكرمني، وكنا في الهوى سواء، وهو مقدم في الطريقة التجانية، وأنا مريد»، وانظر «الهدية الهادية» (ص ١٢-١٣)، وترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

ظننتُها سجعة فشفعتها بمثلها، فتعجب كثيرًا، وقال: هذا يدل على صحة ما يقولون: (من توافق الخواطر كوقع الحافر على الحافر)؛ فطلبتُ منه أَنْ ينشدني البيتين على حقيقتهما الشعرية؛ فقال:

إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ الْحَدِيثَ وَلَيْسَ ... لَهُ نَحْوٌ وَلَا لَهُ آلَاتُهْ

كَحِمَارٍ قَدْ عُلِّقَتْ لَيْسَ فِيهَا ... مِنْ شَعِيرٍ بِرَأْسِهِ مِخْلَاتُهْ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الثاء)

[طلب النجدة من قائد أرفود]

[٢٨] وقلتُ في قائد (أرفود)[١] طلبًا لنجدته؛ لأن أحد جيراني هدم حائطي، واتخذ بستاني طريقًا هو وزوجته وأولاده؛ فبناه الخمَّاس، فهدَّمه المعتدي مرَّة أُخرى، ولم أبلغ هذه الأبيات إلى القائد المذكور، وكان ذلك في[٢] ٥/ ٧/ ١٣٨٧هـ - ٨/ ١٠/ ٦٧م، من بحر الوافر:

نَعِيمٌ يَا كَرِيمَ الْأَهْلِ وَالْخُلْـ ... ـقِ هَلْ يُلْفَى لَدَيْكَ الْيَوْمَ غَوْثُ

عَهِدْتُكَ مَاجِدًا بَرًّا كَرِيمًا ... وَمَنْ يَقْصِدْكَ لَمْ يَلْحَقْهُ عَيْثُ

وَمَنْ يَقْصَدْكَ فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ ... يَنَلْهُ مِنْ نَدَاكَ الْغَمْرِ غَيْثُ

فَأَنْتَ الْقَائِدُ الْمُمْتَازُ حَقًّا ... وَنَصْرُكَ حَاضِرٌ مَا فِيهِ رَيْثُ

(أَيَظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ ... وَتَأْكُلُنِي الْكِلَابُ وَأَنْتَ لَيْثُ)

وَيَهْدِمُ حَائِطِي الصِّدِّيقُ ظُلْمًا ... وَحُكْمُكَ صَارِمٌ مَا فِيهِ لَوْثُ

ولم يزل ذلك الجار الجائر يؤذيني حتى عرضتُ البستان للبيع؛ فاتفق السمسار ورئيس

---

(١) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٢) جاء قبلها في «منحة الكبير المتعالي»: «سنة»!!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

البلدية أَنْ يأخذه بثمن بَخس؛ فطلبا شراءه بخمسة آلاف درهم، وذلك نصف ثمنه، وبقي على ذلك أربعة أشهر، ولم يستطع أحدٌ أَنْ يزيد فَلْسًا واحدًا خوفًا منهما؛ لأن أحدهما رئيس البلدية، والثاني شيخ البلد؛ فظهر أنها مؤامرة لانتزاع البستان مني، وعرفت ذلك، وتجاهلتُ، وبعتُ البستان بما أراده رئيس البلدية!

ولما جلسنا لإنجاز البيع طَلَبَ مني بواسطة أحد أعوانه أَنْ أترك له ثلاث مئة (٣٠٠) درهم؛ لينفقها على وثيقة التملك؛ فتركتها له، وهذا جزاء مَن يشتري بستانًا في بلدِ أهلِ الظلم والجور!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الجيم)

[طعام أهل دهلي](١)

[٢٩] وقلتُ في طعام أهل دِهلي في سنة ١٣٤٢ بالدورة، من بحر البسيط:

يَا حَبَّذَا أَكْلُ أَهْلِ الْهِنْدِ خُبْزُهُمُ ... رَطْبٌ رَقِيقٌ يَسُوغُ عِنْدَ مَوْلِجِهِ

لَكِنَّ أُدْمُهُمُ مِنْ كُثْرِ فِلْفِلِهِ ... جَمْرٌ بِمَدْخَلِهِ وَعِنْدَ مَخْرَجِهِ

وإنما عممتُ؛ لأني كنتُ أحسب أنَّ أهل الهند قاطبة يُفَلْفِلُون الطعام مثل أهل دهلي.

***

[خطاب أحد الإخوان]

[٣٠] وقلتُ مُخاطبًا أحد الإخوان بفاس ليلة ٢٦/ ٣/ ٦٦هـ -وفيهما إشارة-، وهما من بحر المنسرح:

يَا سَيِّدًا حَازَ فِي الْمَكَارِمِ ذُرَى(٢) ... وَشِيمَةً مِثْلَ الْمِسْكِ فِي الْأَرَجِ

---

(١) ظفرتُ بهما في (دفتر خاص) للهلالي (ق ١٨)، وتحت المقطع بتمامه (نقل)؛ فكأنه أصل «للديوان»، والله أعلم.

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وهو -أي: صدر البيت- مكسور، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَعَـــاذَكَ اللهُ شَرَّ ذِي حَـــسَدٍ جِلْـفٍ وَمِـنْ فِتْنَـةٍ بِـلَا فَـرَجِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الحاء)

[هجو رئيس جماعة الأمر بالمعروف في المدينة][1]

[٣١] وقلتُ في هجو صالح الزغيبي الذي كان رئيسًا لجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة؛ لأنه كان يأتمر بأمر عبد العزيز بن إبراهيم الأمير المتقدم الذكر[2]؛ فكان إذا جاءه شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشخص أو أشخاصٍ وُجِدُوا متلبسين بالمنكر يأخذ التلفون ويكلم الأمير؛ فيقول: الأمير (صبحك الله بالخير، أو مساك الله بالخير) الشرطة يكولون[3] إنهم وجدوا فلانًا يفعل كذا وكذا! فيجيبه الأمير -بعد ما يسأل جلساءه، ويعرف مرتبة ذلك الشخص أو الأشخاص في المجتمع-؛ فإن كانوا من الأعيان يقول: يا صالح! ابعثهم إليَّ، أنا أُجري عليهم اللازم! فإذا جاؤوا إليه عفا عنهم!

وإن كانوا من عامة الناس يقول: يا صالح! أَجْرِ عليهم اللازم!

---

(١) ظفرتُ بالأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ٩٤-٩٥) للهلالي، دون أي كلام قبلها، ووضع فوقها «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان»؛ فهذا (الدفتر) أصل من أصوله، والله الموفق.

(٢) انظر المقطعين المتقدِّمَيْنِ برقمَيْ: (٢٣) -وهناك ترجمته- و(٢٤)، وسيأتي له ذكر في المقاطع (١١٨، ١٧٩).

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي» بالكاف، وقد وضع فوقها ثلاث نقط، ومراده -رحمه الله-: «يقولون».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فآل الأمر إلى أنَّ الأعيان يفعلون ما يشاؤون ولا يُعاقبون، والعامة يعاقبون!

فمِن ذلك أنَّ شرطة الأمر بالمعروف، وجدوا جماعة في سرداب يشربون المسكر؛ فأخذوا ذلك الشراب -ولم يكن صالح حاضرًا-؛ فذهبوا به إلى الطبيب، وكان مصريًّا موظفًا في مصلحة الصحة؛ فاختبره فوجده مُسكِرًا، فلما أراد الشرطة أنْ يُعاقبوا المجرمين جاء صالح فقال: توقفوا حتى نستشير الأمير؛ فاستشاره، فعَلِمَ أنهم من الأعيان؛ فأمر بعرض ذلك الشراب على الطبيب الآخر، وكان حجازيًّا، وأوعز إليه أنْ يقول: إنه ليس بخمر؛ فاختبره وقال: هذه (سوبية)؛ أي: شراب الشعير، وهي لا تُسكر! فأطلقهم ولم يعاقبهم!

وكم شرطي مُتحمِّس نزع الأمير منه بندقيته وطرده؛ لأنه فضح بعض الأعيان فيما يرتكبونه من الفجور في بساتين المدينة، وقِسْ على هذه الحادثة!

وهذه القصيدة التي قلتها بالمدينة سنة ١٣٤٧هـ، **والبيت الأول فيه علّة الخَرْم**(١) **عمدًا، من بحر الطويل:**

مَـا صَــالِحٌ فِــيمَا تَــحَمَّلَ صَــالِحُ وَلٰكِـنْ رَقِيــقَ الــدِّينِ لِلنُّكْـرِ جَـائِحُ

---

(١) العلَّة: هي تغييرٌ يطرأُ على الأسباب والأوتاد من العروض أو الضرب، وهي لازمة؛ بمعنى أنها إذا وردت في أول بيت من القصيدة التُزِمَتْ في جميع أبياتها، وثَمَّة عِلَل غير لازمة؛ تقع في بيت من القصيدة ولا تقع في آخر، ويقال لها: (علل جارية مجرى الزحاف)، ومنها: الخَرْمُ.

والخَرْمُ: هو عِلَّة تتمثَّل في إسقاط الحرف الأول من الوتد المجموع في أول الجزء من أوَّل البيت، وله أسماءٌ تختلف حسب التفعيلة، واختلاف هذه من حيث سلامتها وزحافها، ونوع هذا الزحاف؛ فالخَرْمُ يُسمَّى: (ثَلْمًا) إذا دخل على (فَعُولُنْ) السالمة؛ فتصبح (عُولُنْ)، وتنقلُ إلى (فَعْلُنْ)، وذلك في المتقارب والطويل. انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر».

قلتُ: فكأن أصل البيت: (وَمَا صَالِحٌ . .)؛ فحُذِفَتْ (الواو) بالخرم؛ فأصبح: (مَا صَالِحٌ . .)، والله الموفق. (أبو الفضل).

بَـــخِيلٌ بِـــدُنْيَاهُ، جَـــوَادٌ بِدِينِـــهِ ... فَـــمَا عِنْـــدَهُ، إِلَّا الـــدَّرَاهِمُ رَاجِـــحُ

حَـرِيصٌ عَـلَى الـدُّنْيَا وَلَـوْ وَزْن ذَرَّةٍ ... وَإِنْ ضَـاعَ حَـقُّ اللهِ فَهْـوَ مُـسَامِحُ

إِذَا مَـا بَـدَا مَـالٌ تَهَلَّـلَ وَجْهُـهُ ... وَإِنْ قِيـلَ قُـمْ بِالْـحَقِّ فَهْـوَ مُكَاشِـحُ

يُـجَادِلُ عَـنْ أَهْـلِ الْأَبَاطِيـلِ جَاهِـدًا ... بَـصِيرٌ بِتَـشْبِيهِ الْـحِجَاجِ مُنَـافِحُ

وَمَا يُحْسِنُ الْغَاوُونَ خُبْثَ[1] احْتِجَاجِهِ ... لَـهُمْ لِـيُغَطِّي الْـحَقَّ وَالْـحَقُّ وَاضِـحُ

فَيَـا وَيْلَـهُ، يَـشْرِي الـضَّلَالَةَ بِالْـهُدَى ... وَمَـا هُـوَ فِـي هَـذِي التِّجَـارَةِ رَابِـحُ

لِيَحْمِـلَ فِـي يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ وِزْرَهُ ... وَأَوْزَارَ مَـنْ قَـدْ صَـارَ عَـنْهُمْ يُنَـافِحُ

مُطِيـعٌ لِـمَنْ يَـدْعُو لِنُـصْرَةِ مُنْكَـرٍ ... وَعَاصٍ دُعَا الدَّاعِي الَّذِي هُوَ نَاصِحُ

فَيَـا آخِـذَ الـرَّأْيَ الَّـذِي هُـوَ فَاسِـدٌ ... وَيَـا تَـارِكَ الـرَّأْيَ الَّـذِي هُـوَ صَـالِحُ

أَبِـالْبَخْسِ مِـنْ مَـالٍ دَنَـانِيرَ سَـبْعَةٍ ... تَبِيـعُ الْـهُدَى نَاحَـتْ عَلَيْـكَ النَّـوَائِحُ

فَكَمْ قَدْ لَبَسْتَ الْـحَقَّ بِالْبُطْلِ جَاهِدًا ... وَكَـمْ قَـدْ كَتَمْـتَ الْـحَقَّ وَاللهُ فَاضِـحُ

وَكَمْ قَدْ شَهِدْتَ الزُّورَ وَالزُّورُ قَاصِمٌ ... وَكَـمْ قَدْ نَصَرْتَ الْبُطْلَ وَالْبُطْلُ طَائِحُ

وَأَبْغَـضْتَ بِالْعُـدْوَانِ مَـنْ هُـوَ صَـالِحٌ ... وَأَحْبَبْـتَ لِلـدِّينَارِ مَـنْ[2] هُـوَ طَـالِحُ

وَكُنْـتَ قَـدِيمًا فِـي الْقَـصِيمِ مُذَمَّـمًا ... وَدِينُـكَ مَعْـرُوفٌ وَأَمْـرُكَ وَاضِـحُ

لِدَوْلَـةِ أَهْـلِ الْكُفْـرِ كُنْـتَ مُوَالِيًـا ... وَعَـنْ عُـصْبَةِ الْإِشْرَاكِ كُنْـتَ تُنَـافِحُ

---

(١) رسمها في «الدفتر الخاص»: «مثل»، ورسم فوقها المثبت.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «مو»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمَا زِلْتَ خَلْفَ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى ... تَخُبُّ وَفِي بَحْرِ الضَّلَالَةِ سَابِحُ

تُوَالِي ابْنَ عَمْرٍو ذَا الْفُسُوقِ وَرَهْطَهُ ... وَتَمْدَحُهُ وَالرِّجْسُ لِلرِّجْسِ جَائِحُ

وَهَاجَرْتَ مِنْ أَرْضِ الْهِدَايَةِ سَابِقًا ... إِلَى أَرْضِ شِرْكٍ قَدْ مَلَتْهَا الْقَبَائِحُ

تَرَى الْكُفْرَ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ ... وَأَعْلَاجُهَا لِلْمُنْكَرَاتِ تُصَافِحُ(١)

فَمِنْ شَارِبٍ خَمْرًا جِهَارًا وَسَالِبٍ ... وَآخَرُ ذُو فِسْقٍ خَبِيثٌ مُسَافِحُ

وَآخَرُ سَبَّابٌ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ ... يَدِينُ بِتَكْفِيرٍ لَهُمْ وَيُصَارِحُ

وَكَانَ بِمَرْأَى مِنْكَ ذَاكَ وَمَسْمَعٍ ... وَأَنْتَ عَلَى السَّوْآتِ غَادٍ وَرَائِحُ

وَلَمْ تُبْدِ مِنْكَ الدَّهْرَ للهِ غَضْبَةً ... عَلَى مَا تَرَى مِنْهُمْ فَهَلْ أَنْتَ صَالِحُ

عَدِمْتُكَ كَيْفَ اسْطَعْتَ تَمْكُثُ فِيهِمُ(٢) ... أَضَاقَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ أَمْ أَنْتَ طَالِحُ

وَكُنْتَ بِتَحْكِيمِ الطَّوَاغِيتِ رَاضِيًا ... وَذَلِكَ خَطْبٌ يَا زُغَيْبِيّ فَادِحُ

دَعَوْكَ رَئِيسَ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ وَالْهَوَى ... رَئِيسُكَ إِنَّ الْعُرْفَ عَنْكَ لَنَازِحُ

جَلَسْتَ عَلَى الْكُرْسِي رَئِيسًا مُكَرَّمًا ... وَأَنْتَ غُرَابٌ فِي الْخَرَائِبِ صَائِحُ(٣)

وَمُسْتَخْبِرٌ مَنْ ذَا فَقُلْتُ رَئِيسُهُمْ ... فَقَالَ أَجِدٌّ مِنْكَ أَمْ أَنْتَ مَازِحُ

---

(١) أثبت البيت في «الدفتر الخاص» هكذا:

«ترى الكفر فيها كل يوم وليلة ... وحكامها للمنكرات تطافح»

ثم ضرب على «وليلة» و«حكامها»، ورسم المثبت، وبقيت «تطافح» كما هي.

(٢) في «الدفتر الخاص»: «بينهم».

(٣) أثبت الهلالي في «الدفتر الخاص» البيت هكذا: =

إِذَا كُنْتَ كِالتِّمْثَالِ لَا أَنْتَ آمِرٌ ... بِعُرْفٍ وَلَا عَنْ مُنْكَرٍ أَنْتَ كَابِحُ
إِذَا جَاءَكَ الْجَانِي تَبَسَّمْتَ ضَاحِكًا ... بِوَجْهٍ طَلِيقٍ بِالْبَشَاشَةِ طَافِحُ
وَقُمْتَ عَلَى سَاقِ الْجِدَالِ مُحَامِيًا ... بِأَعْذَارِ كِذْبٍ كُلِّهِنَّ فَضَائِحُ
فَلَا تَجْلِسَنْ فِي هَيْأَةِ الْأَمْرِ[1] تَسْتَرِحْ ... وَيَعْدُوكَ سُخْرِيٌّ لِعِرْضِكَ جَارِحُ
وَوَجْهٌ مَشُومٌ يَشْهَدُ النُّكْرَ ضَاحِكًا ... جَدِيرٌ بِأَنْ يَصْلَى لَظًى وَهْوَ كَالِحُ
وَمَا طَاحَ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْخَيْرِ عَامِلًا ... وَلَكِنَّ حَيًّا مَيَّتَ الْقَلْبِ طَائِحُ
فَمَنْ يَهْجُ لِلدُّنْيَا فَرَبِّيَ شَاهِدٌ ... بِأَنِّي عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ أُنَافِحُ

* * *

[في سقوط فرنسا، واستيلاء الألمان عليها][2]

[٣٢] وقلتُ في سقوط فرنسا، واستيلاء الألمانيين عليها ردًّا على مَن كان يُناصرها، بتطوان في ٥ ذي القَعدة ١٣٦١هـ [البحر الطويل]:

يَقُولُ جَهُولٌ فِي الضَّلَالَةِ سَابِحُ ... وَبِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ وَالْإِفْكَ نَابِحُ
فَرَنْسَةُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَمُتْ ... سَتَبْقَى عَلَى الْعِلَّاتِ دَوْمًا تُكَافِحُ

«يظن الذي يلقاك كالبوم جالسًا ... على قصدِ أن أولئك مازح»

ثم ضرب عليه، ورسم الصدر كالمثبت، ورسم عجزه هكذا: «كأنك بومٌ في الخرائب صائح»، ثم أثبت أسفل الورقة -بعيدًا عن هذا البيت-: «وأنت غراب».

(١) سقطت هذه الكلمة من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتُّها من «الدفتر الخاص».

(٢) الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ٩٤)، وقبلها: «تطوان في ٥/ ذي القَعدة/ ١٣٦١هـ»، ثم فوقها كلمة «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَقَالَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ وَهْيَ ضَوَاحِكٌ ... تَمَنَّيْتَ حُمْقًا إِنَّ سَغْبَكَ [(١)] طَائِحُ

إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ إِهْلَاكَ أُمَّةٍ ... فَلَمْ تَكُ تُنْجِيهَا الْمُنَى وَالْمَدَائِحُ

[تحية «الحرية»] [(٢)]

[٣٣] وقلتُ في مدينة [(٣)] (بون) الألمانية [(٣)]، في ٢٦/ صفر/ ١٣٥٦[هـ، وغالب الظن أني بعثتُ بها إلى المجاهد الأكبر؛ حيث بعث إليَّ صحيفة «الحرية» التي كان

---

(١) يريد مُسوِّغك؛ انظر «القاموس المحيط» (١٢٤) مادة (سغب)، وكأنها في «منحة الكبير المتعالي»: «شعبك».

(٢) كتب بها المؤلف إلى الأستاذ محمد المجذوب في «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢١٢ - ٢١٣)، وبعضها في «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (٤٩٢)، وفي جريدة «الإصلاح» المغربية، بتأريخ ٧ غشت ١٩٨٧م، ثم ظفرتُ بها في (الدفتر الخاص) (ق ١٤٢-١٤٤)، وفيه قبل الأبيات: «(بُنْ) ٢٦/ صفر/ ١٣٥٦هـ»، وفوقها: «نقلت»، وتحتها بخط آخر: «رحمه الله تعالى ما أصدق ما يُعبِّر به عنا وعن المحبين»، وبدل ما بين المعقوفين في «علماء ومفكرون»: «للهجرة، وبعثتُ بها إلى المجاهد الأكبر في الشمال المغربي: الأستاذ عبد الخالق الطريس -رحمه الله-، فنشرها في صحيفة «الحرية»: لسان حزب الإصلاح الوطني؛ الذي كان زعيمه ورئيسه، والقصيدة من بحر الوافر».

قال أبو عبيدة: وظفرتُ بالقصيدة بتمامها في الصحيفة المذكورة -بالعنوان المذكور- السنة الأولى، العدد (١٢)، الأحد، ٢٦ ربيع الأول ١٣٥٦هـ - ٦/ ٦/ ١٩٣٧م، (ص ١ و٤)، وقال قبلها: «وبينما أنا بصدد كتابتها؛ إذا ببيت شعر ورد على خاطري عفوًا، فقيدته، وتاقت النفس إلى الزيادة عليه؛ فأهبت بالقريحة الخامدة؛ فتقاعست وجمدت، ولم تمر ولم تحل؛ لأني مذ زمان تركت الشعر وتركني، وهجرته وقلاني؛ لأني وجدته كما قال الحريري: «لا يساوي شعيرة!»، وشغلني عنه ما هو أهم، وحال الجريض دون القريض، وأيضًا أوقات فراغي قليلة، وبالي وجسمي في شغل دائم، وعلى ذلك أجهدتُ نفسي؛ فلفقت الأبيات الآتية: . . .»، ثم ذكرها، وكتب بعد القصيدة: «بُن (ألمانيا)، تقي الدين الهلالي».

(٣) ليست في «منحة الكبير المتعالي».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يصدرها حزب الإصلاح الوطني تحت زعامته] [البحر الوافر]:

سَـنَا «الْحُـرِّيَّةِ» الْغَـرَّاءِ لَاحَـا ... فَـصَيَّرَ حِنْـدِسَ الظَّلْـمَا صَـبَاحَا

وَأَحْيَـا مَيِّـتَ الآمَـالِ لَـمَّا ... أَهَـابَ بِنَـا إِلَى العَلْيَـا وَصَـاحَا

دَعَـا لِلْبَعْـثِ وَالإِنْقَـاذِ قَوْمًـا ... نِيَامًا أَرْهَقُوا[1] الظُّلْـمَ الصُّرَاحَا

دَعَـا لِلْبَعْـثِ وَالإِنْقَـاذِ قَوْمًـا ... حِـمَاهُمْ قَـدْ غَـدَا نَـهْبًا مُبَاحَـا

دَعَـا لِلْبَعْـثِ وَالإِنْقَـاذِ قَوْمًـا ... رَأَى العُـدْوَانَ أَثْخَـنَهُمْ جِرَاحَـا

أَفَـاقُوا مِـنْ سُبَاتِـهِمُ[2] فَقَـامُوا ... فَـشَامُوا بَـارِقَ الإِصْـلَاحِ لَاحَـا

وَأَلْقَـوْا سَـمْعَهُمْ لِنِـدَاءِ دَاعٍ ... رَأَوْا حَقًّـا إِجَابَتَـهُ الفَلَاحَـا

فَقَـالُوا إِيـهِ يَـا لَبَّيْـكَ دَاعٍ[3] ... وَيَـا سَـعْدَيْكَ وَابْتَـدَرُوا السِّلَاحَا

سِـلَاحَ الـحَقِّ لَا يَخْـشَى فُلُـولاً ... وَيَلْقَـى مَـنْ يَـصُولُ بِـهِ النَّجَاحَـا

وَصَـالُوا صَـوْلَةَ الآسَـادِ حَتَّـى ... غَدَا الجَوْرُ المُمِضُّ لَهُمْ[4] مُزَاحَا

وَسَارُوا سَيْرَةَ الـحُكَمَاءِ حَتَّى اسْـ ... ـتَحَالَ فَـسَادُ قَـوْمِهِمُ صَـلَاحَا

---

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الدفتر الخاص»، وغيَّرها المجذوب إلى «جُرِّعُوا»، وقال في الهامش: «كانت «أرهقوا»، ولا معنى لها؛ فأبدلنا بها ما يناسب القرينة!! ولا ريب أن للكاتب فضلاً لا ينكر في التشويشات الكثيرة التي واجهتنا في هذه القصيدة وما يليها»!

(٢) في جريدة «الحرية»: «رقادهم».

(٣) حق «داع» هنا النصب والخطأ للكاتب. (علماء ومفكرون).

قال أبو الفضل: أي (داعيًا) هكذا النصب، لكن لا يستقيم وزن البيت! والله الموفق.

(٤) في «الدفتر الخاص»: «المُمِضُّهُم».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَهَبُّوا لِلْعُلَا يَسْعَوْنَ حَتَّى ... أَعَادُوا غَابِرَ الْمَجْدِ الْمُطَاحَا

فَيَا حِزْبًا غَدَا لِلْخَيْرِ يَسْعَى ... لِيُبْدِلَ خُسْرَ أُمَّتِهِ رَبَاحَا

جُزِيتَ مِنَ الإِلَهِ بِكُلِّ خَيْرٍ ... وَلُقِّيتَ السَّعَادَةَ وَالفَلَاحَا

وَدُمْتَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... لَكَ الأَغْلَاقُ تَنْفَتِحُ انْفِتَاحَا

تُحَارِبُ بَاغِيًا وَتُمِيتُ جَهْلاً ... وَنُورُ العِلْمِ تَجْعَلُهُ السِّلَاحَا

فَيُصْبِحُ قَوْمُكَ الأَمْوَاتُ أَحْيَا ... وَتَنْشَرِحُ الصُّدُورُ لَكَ انْشِرَاحَا

وَتَنْهَضُ بِالبِلَادِ إِلَى المَعَالِي ... وَتَفْتَتِحُ الطَّرِيقَ لَهَا افْتِتَاحَا

وَتُبْدِلُ ضَيْمَهَا عِزًّا وَفَخْرًا ... وَتَمْلَؤُهَا ابْتِهَاجًا وَارْتِيَاحَا

سَلَامَ اللهِ يَهْدِيهِ إِلَيْكُمْ ... دَوَامًا مَا غَدَا غَادٍ وَرَاحَا[1]

أَخٌ لَكُمُ بِنَارِ البَيْنِ يُصْلَى ... غَرِيبًا مَا أَقَامَ وَلَا اسْتَرَاحَا

وَلَمْ يَنْسَ البِلَادَ وَسَاكِنِيهَا[2] ... وَيَذْكُرُهَا العَشِيَّةَ وَالصَّبَاحَا

* * *

[جواب كتاب][3]

[٣٤] كتب إليَّ السري الشيخ مصطفى آل إبراهيم من الهند -وأنا في الدورة- كتابًا

---

(١) عجز البيت في جريدة «الحرية»: «دوامًا مثل ريح المسك فاحا».

(٢) صدر البيت في جريدة «الحرية»: «يحنُّ إلى البلاد بكلِّ وقتٍ».

(٣) الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ١٢٩-١٣٠)، وقبلها: «كتب إليَّ صديقٌ كتابًا ضمَّنه. . » وذكر البيتين، قال: «جوابه:» وذكر بيتيه.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ضمنه هذَين البيتين، وكان ذلك في سنة ١٣٤٤هـ [البحر الرمل]:

أُذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ ... رُبَّ ذِكْرَى قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحَا

ذِكْرَ وَاصِبٍ[1] إِذَا غَنَّى بِكُمْ ... شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ القَدَحَا

فأجبتُه بقولي:

كَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَكُمْ يَا مُهْجَتِي[2] ... وَهْوَ أُنْسِي دَائِمًا لَنْ يَبْرَحَا

هُوَ قُوتُ الرُّوحِ لَوْ أُنْسِيتُهُ ... لَفَقَدْتُ بَهْجَتِي وَالفَرَحَا

* * *

[أسماء ولاة المغرب][3]

[٣٥] ووجدتُ بخطٍّ يدي هذه الأرجوزة، تشتمل على أسماء ولاة المغرب منذ الفتح إلى إدريس بن عبد الله، لا أدري أهي من نظمي أم من نظم غيري، أثبتُها هنا لِمَا فيها من الفائدة [البحر الرجز]:

وُلَاةُ أَرْضِ الغَرْبِ مُنْذُ الفَتْحِ ... لِعَهْدِ إِدْرِيسَ الشَّرِيفِ القُحِّ

أَوَّلُهُمْ فَاتِحُهُ ابْنُ العَاصِ(١)[4] مَنْ ... كَانَ أَمِيرَ مِصْرَ فِي ذَاكَ الزَّمَنْ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «أذكر صبا»! والمثبت من «الدفتر الخاص»، والله الموفق.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «مهتي»! والتصحيح من «الدفتر الخاص» و(بو خبزة) في الهامش.

(٣) الأبيات في كتاب الهلالي «رحلة من الزبير إلى لا أدري» (الجزء الثاني) (ق ٥٦-٥٨)، ولا يوجد فيه قبلها شيء، ورسم فوق أول الأبيات: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وهو منه -رحمه الله- ترقيم للوُلاة الذين أراد عدَّهم. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَلِيهِ عَبْدُ اللهِ(٢) نَجْلُ سَعْدِ ... كَانَ لَهُ فِي الفَتْحِ خَيْرُ سَعْدِ

فَابْنُ خَدِيجٍ[١] وَاسْمُهُ مُعَاوِيَةْ(٣) ... وَعُقْبَةُ الفِهْرِيُّ(٤) كَانَ تَالِيَهْ

يَلِيهِ دِينَارُ(٥) أَبُو المُهَاجِرِ ... مَوْلَى بَنِي مَخْزُومَ ذِي المَآثِرِ

ثُمَّ تَوَلَّى عُقْبَةُ بْنُ نَافِعْ ... أَيْضًا فَفَاجَاهُ الحِمَامُ الفَاجِعْ

ثُمَّتَ حَسَّانُ(٦) سَلِيلُ نُعْمَانْ ... وَلَّاهُ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانْ

يَلِيهِ مُوسَى(٧) بْنُ نَصِيرِ الفَاتِحُ ... أَنْدَلُسًا نِعْمَ الأَمِيرُ الصَّالِحُ

فَابْنُ يَزِيدَ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ(٨) ... وَكَانَ ذَا عَدْلٍ وَرَأْيٍ يُحْمَدُ

وَابْنُ عُبَيْدِ اللهِ إِسْمَاعِيلُ(٩) ... ابْنُ أَبِي المُهَاجِرِ الجَلِيلُ

وَابْنُ أَبِي مُسَلَّمٍ العَاتِي يَزِيدْ(١٠) ... كَاتِبُ حَجَّاجٍ كِلَاهُمَا مَرِيدْ

ثُمَّ ابْنُ صَفْوَانٍ وَذَاكَ بِشْرُ(١١) ... مَنْ فِي غَزَاتِهِ أَتَاهُ النَّصْرُ

ثُمَّ عُبَيْدَةُ(١٢) بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنْ ... أَرْسَلَهُ هِشَامُ بْنُ مَرْوَانْ[٢]

ثُمَّ عُبَيْدُ اللهِ(١٣) نَجْلُ الحبْحَابْ ... فَحْلٌ مُجَاهِدٌ كَرِيمٌ أَوَّابْ

وَبَعْدَهُ عِيَاضُ(١٤) بْنُ كَلْثُومْ ... غَزَا الخَوَارِجَ فَوَلَّى مَهْزُومْ

ثُمَّ أَتَى حَنْظَلَةُ(١٥) بْنُ صَفْوَانْ ... فَأَخَذَ الثَّارَ وَأَذْهَبَ الرَّانْ

وَبَعْدَ ذَا غَلَبَ آلُ عُقْبَةْ ... عَلَى البِلَادِ فَاسْتَمَرُّوا حِقْبَةْ

فَابْنُ حَبِيبٍ عَابِدُ الرَّحْمَنِ(١٦) ... أَوَّلُهُمْ دَاهِيَةٌ ذُو شَانِ

---

(١) في «رحلة إلى الزبير» بالحاء المهملة!

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «أرسله للشام ابنُ مروان»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَبَعْــدَهُ إِلْيَــاسُ(١٧) لَــمَّا قَتَلَــهْ فَنَــالَ بِالفَتْــكِ الــشَّدِيدِ أَمَلَــهْ
وَبَعْدَهُ أَتَى حَبِيبُ(١٨) ابْنُ أَخِيهْ فَحَــسَّهُ أَخْــذًا بِثَــارَاتِ أَبِيــهْ
فَـابْنُ أَبِـي الـجَعْدِ(١٩) مِنَ البَرَابِرْ فَقَتَــلَ العُــرْبَ وَكَــانَ فَــاجِرْ
ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ عَبْدُ الأَعْلَى(٢٠) الــخَارِجِيُّ العَــرَبِيُّ أَصْــلَا
فَأَرْسَلَ المَنْصُورُ نَجْلَ(٢١) الأَشْعَثِ مُــحَمَّدًا فَكَــانَ لَــمَّ الــشَّعَثِ
ثُـمَّ تَـوَلَّى الأَغْلَـبُ(٢٢) بْـنُ سَالِـمْ فَكَــانَ فِي ذَلِــكَ غَــيْرَ سَالِــمْ
ثُـمَّ تَـلَاهُ عُمَـرُ(٢٣) بْـنُ حَفْـصِ فَوَجَــدَ الأَمْــرَ بِــهَا مُسْتَعْــصِي
وَبَعْـدَهُ يَزِيـدٌ[1](٢٤) بْـنُ حَـاتِمْ وَهْــوَ الْــمُهَلَّبِيُّ ذُو الْــمَكَارِمْ
ثُـمَّ أَخُـوهُ رَوْحٌ[1](٢٥) بْـنُ حَـاتِمْ فَأَصْــلَحَ الأَمْــرَ وَكَــانَ خَــاتِمْ

***

[ذم المدارس العصرية]

[٣٦] وقلتُ في ذمِّ مدارس هذا العصر بالقصر الكبير في ١٦/ ٣/ ٦٤هـ من بحر المواليا[2]، واستعمال اللفظ العاميِّ مقصود؛ إذْ يشترط وجود الملحون في هذا البحر:

---

(١) لوزن البيت يلزم تنوين الاسم وإن كان مضافًا. (أبو الفضل).

(٢) «المواليَّا: نوع من الشعر العاميِّ، أو شبه الفصيح؛ نشأ في العصر العباسي، واختُلِفَ في مكان نشأته، وسبب تسميته؛ يقول صفي الدين الحلِّيُّ -في كتابه «العاطل الحالي والمرخص الغالي» (ص ١٠٦-١٠٧)-: إن مخترعيه هم أهل واسط، ثم تسلَّمه البغاددة؛ فلَطَّفوه ونقَّحُوه، ورقَّقُوا ودقَّقُوا، وحذفوا الإعراب منه، واعتمدوا على سهولة اللفظ، ورشاقة المعنى، ونظموا فيه الجِدَّ الهزلَ، والرقيقَ والجزلَ، حتى عُرِف بهم دون مخترعيه، ونُسِبَ إليهم وليسوا بمبتدعيه، ثم شاع في الأمصار، وتداوله الناس في الأسفار. =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مَدَارِسُ العَصْرِ صَارَتْ فِي الوَرَى مَسْرَحْ ... فَارْقُصْ وَغَنِّ (وَزَعْرِطْ) وَانْبَسِطْ وَامْرَحْ

فِيهَا الصِّغَارُ مِنَ الجِنْسَيْنِ قَدْ عَرِمُوا[1] ... هَذَا يَصِيحُ وَذَا يَجْرِي وَذَا (يَشْطَحْ)

فِيهَا الأَنَاشِيدُ وَالتَّمْثِيلُ يَدْرُسُهُ ... وِلْدَانُهَا وَالَّذِي يُتْقِنُهُمَا يَنْجَحْ

سِوَى مَدَارِسِ كُنُّونٍ فَلَيْسَ بِهَا ... مِنَ المَلَاهِي وَسُخْفِ الهَزْلِ مَا يَقْدَحْ

وإنما سُمِّي بهذا الاسم؛ لأن الواسطيِّين لما اخترعوه، وكان سهل التناول لِقِصره؛ تعلَّمه عبيدهم. . . . . فكانوا يُغنُّون به في رؤوس النخيل، وعلى سَقْي الماء، ويقولون في آخر كل صوت -مع الترنُّم-: (يا مواليًّا)؛ إشارة إلى ساداتهم؛ فغلب عليه هذا الاسم، وعُرِفَ به. انتهى.

وقيل: إن الذي ابتدعه بعض أشياع البرامكة بعد نكبتهم؛ فقد حرَّم عليهم الرشيد رثاءَهم باللغة الفصحى؛ فراحوا يرثونهم، وينوحون عليهم بلغة غير مُعْرَبة، ويُنهون مقاطعهم بعبارة: (يا مواليًّا)؛ فعُرِفَ هذا اللون بـ(المواليًّا).

وقيل -أيضًا-: إن سبب التسمية يعود إلى مُوالَاةِ قوافيه بعضها بعضًا.

وأيًّا يكن سبب نشأة (المواليا) وتسميتها؛ فقد نُظمت -غالبًا- على البحر البسيط، مع بعض التنوع في القافية والرَّويِّ، وتحلُّل من إعراب بعض الألفاظ -أو معظمها- بتسكين أواخرها كما هي الحال في اللغة العامية». انظر «المعجم المفصل في علم العَروض والقافية وفنون الشعر» للدكتور إميل بديع يعقوب، (مادة: المواليا)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) «عِرِمَ فلانٌ، وعَرُمَ فلانٌ: شَرِسَ واشتدَّ». «المعجم الوسيط». (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الدال)[١]

[جواب لأبي يوسف مصطفى آل إبراهيم][٢]

[٣٧] وقلتُ في ٧ صفر ١٣٤٤ هذه الأبيات ضمنتها في جواب لأبي يوسف [البحر المجتث]:

خَيَـالُكُمْ نُـصْبَ عَيْنِـي ... وَذِكْـرُكُمْ فِـي فُـؤَادِي

وَكُتْـبُكُمْ قَـدْ تَوَالَـتْ ... مِثْـلَ الـشُّمُوسِ بَـوَادِي

---

(١) سيأتي في آخر أول هامش (مقطع ١٦٨) ذكرٌ لبيتٍ -دَالِيٍّ- قاله الهلاليُّ نظمًا مُترجمًا عن البربرية، يشتكي شاعره من استيلاء الأفرنج على المغرب بلدًا بلدًا.

وأقول -على عُجالة-: الفرق بين الشعر والنظم: هو امتياز الأول بالعاطفة والخيال والصُّورة، في حين تنتظم كلمات النظم في سلك النغم الموسيقيِّ دون شعور أو عاطفة أو خيال أو صورة؛ فمعظم النقَّاد يجعلون النظم دون مرتبة الشعر في الجودة من حيث ما ذكرنا، دون الوزن.

هذا؛ وإن لم يكن ثمَّة حدود دقيقة فاصلة بين الشعر والنظم؛ فإنه يمكننا التمييز بينهما بسهولة في كثير من الأحيان؛ فما نظمه الفقهاء والنحاة، وكثير من شعر عصر الانحطاط، والشعر الأرقط، والأخيف، والعاطل، وغيره من الشعر الذي تغلب عليه الصنعة، والشعر التعليمي؛ كل ذلك (نظم) لا (شعر)؛ عند الذين يُفرِّقون بين المصطلحَينِ. انظر «المعجم المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر» تحت مادتَيْ: (الشعر) و(النظم)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ١٣٠) للهلالي، وقبلها: «٧ صفر ١٣٤٤هـ ضمَّنتُ جوابًا لأبي يوسف هذه الأبيات»، ودون أي كلام بعدها، وفوق الأبيات: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَإِنَّنِـي مِـنْ هَـوَاكُمْ أَهِـيمُ فِـي كُـلِّ وَادِ
وَطَـيْفُكُمْ فِـي مَنَـامِي سَـلْوَى لِقَلْبِـي الـصَّادِي
وَذِكْـرُكُمْ فِـي نَـهَارِي يُنْعِشُنِي[1] فِي انْفِرَادِي
لَـمْ أَسْـتَطِبْ بَعْـدَكُمْ مَـا وَلَـمْ يَلَـذَّ رُقَـادِي
مَتَـى رَأَيْـتُ مَـحَلًّا لَكُـمْ بِـهَذِي الـبِلَادِ
أَنْـشَدْتُ بَيْتًـا شَـدَاهُ مِنْ قَبْلُ فِي العُرْبِ شَادِ
(سَقَتْكَ صَوْبُ الغَوَادِي يَـا مَنْـزِلًا لِـسُعَادِ)
وَرُبَّـمَا قُلْـتُ فِيـهِ (يَـا مَنْـزِلَ الإِسْـعَادِ)
فَأَسْـأَلُ اللهَ يَطْـوِي شُـقَّةَ[2] هَـذَا البِعَـادِ
لَا زِلْـتُمُ فِـي تَـرَقٍّ يَـشْوِي قُلُوبَ الأَعَـادِي

---

(١) يوجد خطأٌ خفيٌّ في عجز هذا البيت؛ فكلمة (يُنْعِشُنِي) بهذا الضبط -وليس لها إلَّا هو- تُشير إلى الزِّحاف -أي: التغيير- الذي حدث لتفعيلة عجز هذا البيت من البحر المجتث من (مُسْتَفْعِلُنْ) إلى (مُسْتَعِلُنْ)، وهذا النوع من الزِّحاف يُسمَّى: (الطَّيُّ)؛ وهو: حذف الرابع الساكن من التفعيلة؛ أي: حَذْفُ (الفاء) الساكنة من (مُسْتَفْعِلُنْ)، و(الطَّيُّ) يمتنع دخوله في (حَشْوِ) المجتث؛ انظر «المعجم المفصل في علم العَروض والقافية وفنون الشعر» (ص ١٢٨).

فاقتضى التنبيه؛ ثم نظرتُ في «الديوان»؛ فوجدتُ (بو خبزة) قد خطَّ تحت كلمة (يُنْعِشُنِي) خطًّا، وكأنه يُنَبِّهُ على هذا الخطأ، دون أن يكتب شيئًا في الهامش كعادته، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) وكذلك يوجد خطأٌ خفيٌّ في عجز هذا البيت؛ بدخول (الطَّيِّ) على (حَشْوِ) المجتث، وكذلك نَبَّهَ (بو خبزة) على هذا الخطأ بأَنْ خطَّ تحت كلمة (شقة) خطًّا، دون أن يكتب شيئًا في الهامش، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وينبغي أَنْ أذكر هنا -أداءً للواجب- قصَّةَ اتصالي بأبي يوسف مصطفى بن يوسف من آل إبراهيم، وأبوه الشيخ يوسف كان من السراة الأثرياء، حتَّى إنَّه وقعت بينه وبين أمير الكويت مبارك الصباح حربٌ لمَّا قتل مبارك أخوَيهِ، وكانت زوجة أحد أخويه المقتولَينِ أُختًا للشيخ يوسف المذكور؛ فحملها مع أولادها إلى الزبير بقرب البصرة، ووقعت معركة بين رجاله ورجال مبارك الصباح، كان الشيخ يوسف غزا الكويت من جهة البحر، فلم يتم له الاستيلاء عليها[١].

وكان للشيخ يوسف في جنوب البصرة أرض كثيرة وقُرى ونخيل أحيا تلك الأراضي التي انحسر عنها البحر؛ فصار يملكها ويملك سُكانها، وكانت الحكومة العثمانية تعترف بهؤلاء الرؤساء وبحكمهم لسُكان الأراضي التي أحيوها، وتكتفي منهم بقبض الخراج.

سبب التعارف[٢]:

كنتُ في مدينة بمباي سنة ١٣٤٣هـ في مكتبة الشيخ شرف الدين الكتبي -رحمة الله عليه-؛ فوقفَتْ سيارة عند باب المكتبة، وكانت السيارات عزيزة في ذلك الزمان، لا يملكها إلَّا الأمراء والملوك وكبار الأغنياء، وخرج من السيارة شاب في نحو (٢٢) من عمره، يرتدي بدلة هندية، معطفًا طويلاً إلى نصف الساقين، مشدودة أزراره، وسرابيل بيضاء إلى القدمين، فدخل علينا وروائح الطيب تفوح منه؛ فقام الشيخ شرف الدين، وقام الحاضرون كلهم للقائه، واحتفلوا به غاية الاحتفال.

وكنتُ أطالع كتابًا جالسًا على كرسي؛ فسرقت النظر، ولم أرفع رأسي ولم أقم، فأخذ الشيخ شرف الدين والحاضرون يعرضون على الشيخ الشاب ما حدث طبعه من

---

(١) انظر: «تاريخ الزبير والبصرة» (ص ١١٨) لابن الغِملاس.

(٢) ذكره في كتابَيْهِ: «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨)، و«الطريق إلى الله» (ص ١٦٧-١٦٨) أيضًا.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الكتب في مصر ويتملقون له، وأنا جالس في مكاني لا أهتم بشيء من ذلك، وقد حُبِبَتْ إليَّ هذه العادة، وهي أنْ لا أُعظم أحدًا من الأغنياء إذا كنتُ لا أستفيد من غناهم شيئًا، ولا أخافه فأداريه.

فلما استقر به المجلس، سأل الشيخ شرف الدين -وكان يُعلِّمه النحو- عن إعراب قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]؛ لماذا نصبت ﴿حَمَّالَةَ﴾، مع أنها صفة لمرفوع، وهي ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾؟

فقال الشيخ شرف الدين -رحمه الله-: إن هذا الأستاذ المغربي أعلم مني بجواب هذه المسألة؛ فخاطبني الشيخ مصطفى بقوله: أيها الأستاذ! أنت من المغرب؟ فقلتُ: نعم، فقال: تشرفنا، فقلتُ: شرَّف الله قدركم، قال: فما تقول في جواب هذه المسألة؟ فقلتُ: فيها قراءتان سبعيتان[(١)]: الرفع على الصفة، والنصب على الذمِّ بفعلٍ محذوف وجوبًا، وشرحتُ له المسألة بالتفصيل!

فطلب «تفسير البيضاوي»[(٢)] ونظر فيه؛ فوجد الأَمرَ كما ذكرتُ له؛ ففرح كثيرًا، وأخذ يسألني مسألة بعد مسألة في علوم الأدب حتى غربت الشمس؛ فقال للشيخ شرف الدين: تريد أن أوصلك إلى بيتك؛ فقال: نعم، ولك الشكر، فودعني وانصرف.

فلما جاء في الصباح؛ فقال لي: إن ذلك الشاب العراقي قد أُعجب بأجوبتك وهو يرغب في الاستفادة من علمك، وقد أخبرته أن السفارة الإنكليزية أبت أن تمنحك سمة الدخول إلى العراق، فقال لي: أنا آخذه إلى العراق بلا جواز؛ فإن شاء الإقامة عندنا أجعل له راتبًا، وأتعلم عنده أنا وأقربائي، والصالحون للتعلم من الخدَّام، وإنْ أراد التوجه إلى مصر أو إلى أيِّ ناحة أُخرى سهلتُ له ذلك.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٤٠٤)، و«معجم القراءات» (١٠/ ٦٣١).

(٢) فيه (٢/ ٦٣٠): «وقرأ عاصم بالنصب على الشتم».

وقال لي الشيخ شرف الدين: ما رأيك؟ فقلتُ: لو لم يكن في هذا العرض إلَّا الدخول إلى العراق على رغم أنف حماته الإنكليز[١] لَمَا ترددت في قبوله.

وبعد ذلك بخمسة أيام كان أبو يوسف مارًّا في سيارته فلمحني، فأوقف سيارته وخرج منها وسلَّم علي، وقال لي: هل بلَّغك الشيخ شرف الدين اقتراحي؟ فقلتُ: نعم بلَّغني وقَبِلْتُهُ شاكرًا، فقال لي: بعد شهر من اليوم نسافر إلى العراق، فقلتُ: نعم إن شاء الله.

وكان معي ابن قاضي شقرة من بلاد نجد؛ فدهش كثيرًا لَمَّا رأى من تواضع الشيخ مصطفى لي، وقال لي: هذا عجيب! يوجد هنا في بمباي ثَرِيٌّ من بلادنا، وهو الشيخ عبد الرحمن القصيبي، وهو يكرم جميع علماء بلادنا، ولكن لا يُبلغ به الأمر إلى هذا الحد! فأكبر عالم من علماء نجد يرى شرفًا عظيمًا إذا مرَّ به الشيخ عبد الرحمن القصيبي وأوقف سيارته ودعاه ليتكلَّم معه وهو جالس في سيارته والعالم واقف!

فأخبرتُه بسبب احترامه لي، وهو أنِّي حين رأيته لأوَّل مرَّة لم أَحْفَلْ به ولم أتملق له، وكان هو الذي بدأني بالسلام والكلام، وهو الذي دعاني إلى بلاده؛ فأي عالم من علماء بلادكم يسلك مثل هذا المسلك مع الشيخ عبد الرحمن القصيبي؛ فلا بُدَّ أنْ يحترمه، وما أحسن قول الشاعر[٢] **[البحر الطويل]**:

وَنَفْسَكَ أَكْرِمْهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهُنْ ... عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمَا

وقال غيره[٣] **[البحر الطويل]**:

---

(١) أفاد الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨) أنه كانت بريطانيا في ذلك الوقت في نزاع مع الحكومة التركية على لواء الموصل؛ فكانت لا تأذن لأحدٍ في زيارة العراق إلَّا إذا كان معروفًا عندها بولائه لها!

(٢) هو حاتم الطائي، والبيت في «ديوانه» (ص ٨٠)، وانظر «أمالي المرزوقي» (ص ٢٧٠).

(٣) «القاضي [علي بن] عبد العزيز الجُرْجَاني، والقصيدة أكثروا من نقلها». (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا

إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى ... وَلَكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا ... بَدَا مَطْمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا

أَأَغْرِسُهُ عِزًّا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً ... إِذَنْ فَاتِّبَاعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا

وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ[1] وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

وقوله: (لَعَظَّمَا) بفتح العين والظاء المشددة؛ مبنيًّا للفاعل، لا بضم العين وكسر الظاء كما ينطق به كثير من الناس[2]، ومنهم الأستاذ حسن الكرمي؛ فإنه أنشده في إذاعة لندن في

قال أبو عبيدة: والأبيات عند الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ٢١٩)، و«جزء فيه شيء من مرويات العلامة أبي القاسم الزمخشري ونظمه» (ق ٢٢/ ب-٢٣/ أ - انتقاء ابن جماعة وروايته/ من مخطوطات الأحمدية) -ومن طريقه ابن السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٤٦٠-٤٦١)، والعلائي في «الأربعين المغنية بعيون فنونها عن المعين» (٤٥٤-٤٥٥ / بتحقيقي) نشر الدار الأثرية-.

وأسندها ابن الشجري في «الأمالي» (ص ٤٧)، والخطيب في «الجامع» (رقم ٨٥٤)، وعنه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٣٥)، والسخاوي في «البلدانيات» (ص ٢٢٦-٢٢٧).

وأسندها أبو سعد المحسّن الخُشَمي في كتابه «جلاء الأبصار في الأخبار» بواسطة واحدة عن ناظمها؛ انظر «توضيح المشتبه» (٢/ ٣٦٣).

وهي في «معجم الأدباء» (٤/ ١٧٩٧-١٧٩٨)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ٩٦)، و«يتيمة الدهر» (٤/ ٢٥)، و«مشيخة المراغي» (١٢٩).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فهانوا»، والمثبت من المصادر، وهو الصواب.

(٢) هكذا ضبطه العلامة محمود شاكر في تقديمه لـ«طبقات فحول الشعراء» (ص ١٣٠)، ثم =

المنهاج الذي يُسميه: (قول على قول) بضم العين وكسر الظاء!

وبيان ذلك: أن العلم معظم على الدوام، حتى أن الأدعياء من الجاهلين ينتسبون إليه ليكسبوا الشرف، ولكن الذي لا يعظم إلَّا إذا صان العلم بعزة النفس عن التذلل لمَن يطمع في ماله أو جاهه هو العالم؛ فمتى صان علمه وعظَّمه بعدم الخضوع إلى الناس طمعًا فيما عندهم عظَّمه علمُه في نفوسهم، ومتى أهان علمه بالخضوع لها أهانه علمه، وأيضًا فالمناسب للفعل الذي قبله -وهو صان- أَنْ يكون مبنيًّا للفاعل.

ولمَّا كاد الشهر ينقضي أعلمني الشيخ شرف الدين عن وقت السفر؛ فاستعدت له، وتوجَّهنا إلى الباخرة، وكان مع الشيخ سبعة من الخدَّام مكتوبة أسماؤهم في جواز سفره؛ فترك أحدهم، جيء مع السفن الشراعية، وقال لي: إذا سألك المفتش الإنكليزي عن اسمك فقل: اسمي حسن الحنيان.

قلتُ له: اعفني من هذا؛ فإني لا أكذب.

فقال لي: أنت عربي، ولك حق أن تزور جميع البلاد العربية، والإنكليز أجانب مستعمرون ظالمون؛ فأيُّ ذنب ترتكبه إذا كذبت عليهم لتتوصل إلى حقك؟!

فقلت له: لا تطيب نفسي بذلك.

فقال لي: هل تستطيع أن تسكت؟

فقلتُ: نعم.

فقال لي: إذا سألك عن اسمك؛ فاسكت؛ فصعد الشيخ مصطفى أمامي سُلَّم الباخرة، وصعدت خلفه، وخلفي الخدَّام الستة؛ فناول جواز سفره ضابطًا إنكليزيًّا؛ فسألني: ما اسمك؟ فسكت.

رجع فقال فيه (٢/ ٩٨١) في (الاستدراك): «صوابه (لعُظِّما) بالبناء للمجهول»، قال: «من قرأه (لعَظَّما)؛ فقد أساء وغيَّر معنى الشعر، وجعله كـ(بَعَرَ الكَبْشُ)؛ كما قالوا».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فقال الشيخ مصطفى: اسمه حسن الحنيان؛ فذهبنا وتركنا الخدَّام يجُيبون عن أنفسهم.

وبعد العصر دعاني إلى غرفته في الدرجة الأولى، وقال لي: هل نظمت شيئًا من الشعر؟

فقلتُ: نعم.

فقال لي: هذه قصيدة لشوقي أقترح عليك تشطيرها، وأعطاني إيَّاها مكتوبة، وهي قوله:

خَـدَعُوهَا بِقَوْلِـهِمْ حَـسْنَاءُ وَالغَوَانِـي يَغُـرُّهُنَّ الثَّنَـاءُ

فأخذتُها إلى منزلي بالباخرة، وأخذت في تشطيرها؛ فلما وصلتُ إلى قوله:

نَظْـرَةٌ فَابْتِـسَامَةٌ فَـسَلَامٌ فَكَـلَامٌ فَمَوْعِـدٌ فَلِقَـاءُ

أعملتُ الفكر في تشطيره؛ فأبى الشطران أَنْ يفترقا، وأبى غيرهما أَنْ ينسجم معهما، وقد نسيت هذا التشطير إلَّا قليلاً منه أذكره -هنا- جاعلاً الشطور التي أضيفها بين قوسين[1]:

خَـدَعُوهَا بِقَوْلِـهِمْ حَـسْنَاءُ (وَامْتِدَاحُ[2] الكَوَاعِبِ اسْتِهْوَاءُ)

(اسْتَجَابَتْ لِلْوَصْلِ[3] بَعْدَ نُفُورٍ) وَالغَوَانِـي يَغُـرُّهُنَّ الثَّنَـاءُ

---

(١) وكذا هو الأمر في كتابه «الدعوة إلى الله» وفي كتاب: «السلفية الوهابية»؛ وأمَّا حين ذكرها في (حرف الهمزة) في «ديوانه» (المقطع ٤)؛ فكان العكس؛ فأَشْطُر أبيات أحمد شوقي هي التي بين هلالين، وهكذا فيما أورده من القصيدة في كتابه «الطريق إلى الله» (ص ١٧٠).

(٢) في «السلفية الوهابية»: «وامتدح»!

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» الموطن الأول (مقطع ٤): «فَرَنَتْ لِلْوِصَالِ»، وفي «الدعوة إلى =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مَـا تَرَاهَـا تَنَاسَـتِ اسْـمِي لَـمَّا (أَنْ تَفَانَـتْ فِـي حُبِّهَـا العُظَـمَاءُ)

................(١) كَثُـرَتْ فِـي غَرَامِهَـا الأَسْـمَاءُ

وفي غد ذلك اليوم أتيتُه بالتشطير؛ فأكبره وأثنى عليه، ولم يبقَ عنده شكٌّ في قدرتي على النظم، ولما وصل المركب إلى إحدى ضِياعه على نهر شطِّ العرب المُتكوِّن من اجتماع دجلة والفرات؛ طلب من رُبَّان الباخرة أنْ يوقفها له لينزل -وكانت الزوارق تنتظر-؛ فاستجاب لطلبه، مع أن الباخرة لا تقف إلَّا في البصرة التي فيها المرسى المسمى بـ(معقل)، التي يُحرفه العامة فيسمونه: (مركل)، ولا يمكن أنْ تقف الباخرة في عرض النهر، وإنما وَقَّفها الربان إكرامًا له؛ فبتنا في تلك الضيعة، وفي الصبح سارت بنا الزوارق إلى الدورة؛ فجاء لاستقباله على شاطئ النهر أقاربه والفلاحون من أهل القرية، وتجمعوا على الشاطئ حتى نزل الشيخ مصطفى، فوكَّل بي رجلاً، وسار هو أمامهم وساروا كلهم خلفه حتى وصلوا إلى القرية، ووصلت أنا بعد ذلك.

ولما جاء وقت الغداء كان المدعوون للغداء معه نحو خمسين رجلاً؛ فدعاني وأمرني أن أسير أمامه، ومشى هو خلفي، وسار المدعوون كلهم خلفه؛ فلما فرغنا من الغداء، واجتمعنا لصلاة الظهر قلتُ له: لماذا هذا التكلف؟ لا حاجة إلى أنْ تجعلني أمشي أمام هؤلاء الناس كلهم؛ فالكُلفة ساقطة بيننا!

فقال لي: أنت لا تعرف هؤلاء القوم، إنهم كلهم فلاحون وخدم، وإنما قدمتك أمامي ليعرفوا كيف احترامي لك؛ فيحترموك في حضوري وفي غيابي.

وبعد ذلك تبين أنَّ عمله هذا كان صوابًا؛ فإن أهل العراق قد اقتبسوا من جيرانهم

الله»، و«السلفية الوهابية»: «قَرَنَتْ لِلْوُصُولِ»!

(١) كذا هو بياضٌ في هذا الموطن من «منحة الكبير المتعالي»، والشطر الأول -في الموطن الأول-: (وَالتَّنَاسِي شَأْنُ الخَرِيدِ إِذَا مَا).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الفرس صفات منافية للأخلاق الإسلامية والأخلاق العربية؛ فكل واحد منهم يحتاج إلى مَن يتكبر عليه، ويستتبعه كحاجته إلى الطعام والشراب.

فالشيخ -وهو الملاك- الذي يملك الأرض يتكبر على جميع أهل القرية التي يملكها، ويعاملونه كلهم معاملة العبد لسيده؛ فيجلد مَن شاء منهم إذا غضب عليه، ويطرد من القرية مَن شاء، ويسخرهم في جميع أشغاله، وإنْ لم تكن لها أدنى علاقة بفلاحة الأرض.

وأهل القرية ينقسمون إلى قسمين[1]: تعابون وفلاحون؛ فالتعاب هو الفلاح الأصلي الذي يبدأ في إحياء الأرض من أول فترة، ويبدأ يسقيها ويقلبها، ويبث فيها السرقين، ويعالجها سنين طويلة حتى تحلو وتنبت، والملاك ينفق عليه طول تلك السنين، وقد تبلغ اثنتي عشرة سنة إلى عشرين سنة قبل أنْ تغل الأرض بأشجارها وزروعها غلة تغطي النفقات الماضية، ثم تأتي بالربح.

وللتعاب عُشْر الأشجار، ولا يملك من الأرض شيئًا حتى داره التي بناها بيده، وهذا العُشْر لا يستطيع أنْ يبيعه ولا يأخذ ثمرته مباشرة، ولكن الملاك يبيعها ويعطيه العُشْر، ولا يستطيع أنْ يُحاسبَهُ، بل قَبِلَ ما أعاطاه.

وكثيرًا ما يكون عند الملاك كُتَّاب وأعوان يبتزون حقوق التعابين؛ حتى إنَّ الواحد منهم يشتغل هو وزوجته وأولاده طول السنة ولا يعيشون إلَّا معيشة ضنكًا؛ لأن أعوان الملاك لا يعطونهم حقهم دفعة واحدة عند ما يباع الثمر ويقبض الملاك ثمنه، بل يقولون للتعاب: ماذا تحتاج؟ فيقول مثلاً: أحتاج كسوة وسكرًا وشايًا وقهوة؛ فيدفع العون لذلك المسكين بعض ما يحتاج إليه بأضعاف ثمنه، فإذا احتاج مرَّة أُخرى ذهب إليه يستجديه؛ فبعد مماطلة وإهانة يعطيه شيئًا آخر، بضاعة بأضعاف ثمنها، فيبقى دائمًا في شظف من العيش!

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «قسم»! والتصحيح من (بو خبزة) في الهامش.

وإذا أراد أَنْ يخرج من قريته يتملق له، وينتحل الأعذار؛ فيُقوِّم الملاك ما غرس ذلك التعاب من النخيل حسب ما يشتهي، ويعطيه عُشْره!

أما الدار والدواب؛ فلا يأخذ من ذلك شيئًا، وأما الزروع؛ فللتعاب جزء معلوم منها.

وأما الفلاح؛ فهو أجير عند التعاب، لا يملك شيئًا، أو قل: هو عبد العبد!

وأما إذا صدرت من التعاب هفوة أو إساءة في حقِّ الملاك؛ فإنه يضربه! ويطرده! ولا يعطيه شيئًا!

ومن الآداب الاجتماعية أَنْ يكون التعاب دائمًا في خدمة الملاك، والفلاح دائمًا في خدمة التعاب، وكلما رأى الخادم مخدومه يُبادر إليه فيُحييه، ويمشي خلفه؛ فإن كان شُغل استأذنه، وإِنْ لم يكن له شغل بقي معه حتى يصرفه! وهذا شبه الإقطاع! بل هو مثله تمامًا!!

إلَّا أنَّ الإقطاع يكون من الملك؛ يقطع أرضًا لمَن أراد أَنْ يَمُنَّ عليه من رعيته؛ فيملكها ذلك الممنون عليه بمَن فيها وبما فيها بخراج يدفعه في كل سنة، أو بلا خراج.

وأما هذه الأراضي؛ فيستولي عليها الملاك بإذن من الحكومة، ويحييها بنفقته عليها إلى أَنْ يثمر شجرها، وتغل أرضها، ولا يتم له ذلك إلَّا في عشرات السنين، وكان في الدورة رجلٌ شيخٌ كبيرٌ من أقارب الشيخ مصطفى له أملاك خاصة به خارجة من الدورة، وكان وكيلاً للشيخ يوسف أبي مصطفى، وصهرًا له، وهو يؤدي زكاة أمواله إلى مَن يخضع له ويخدمه، وكان من سُكان الدورة رجلٌ يكنى أبا قلاص -رحمه الله- عرف التوحيد، وحققه، وأقبل على اتباع الرسول، وترك المذهب، وكان ذلك الشيخ يعطيه من الزكاة، فلما رآه لا يخضع له، ولا يتبعه إذا خرج للنزهة بعد العصر، بل يكتفي بالسلام عليه من بعيد قطع عنه الزكاة!

وكلَّ ما منحتُ به الشيخ مصطفى؛ فهو قليل في حقِّهِ، وله عليَّ فضلٌ عظيم لا أستطيع أَنْ أحصيه هنا؛ فمن ذلك أني لما أردت أَنْ أتزوج كَتَبَ إلى وكيله -وكان في الهند- أَنْ يقوم بجميع نفقات العرس؛ فعرض عليَّ ذلك وكيله، وهو الشيخ أحمد

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

المشاري المذكور، فقلتُ له: إنما أقدمتُ على الزواج حتى أعددتُ له عدته، وجمعت الدراهم من راتبي، فقال: لا بُدَّ من ذلك!

ولما توجهت إلى البصرة ناولني كتابًا، وقال: ادفعه إلى التاجر الفلاني في البصرة، وهذا التاجر هو الحاج أحمد الذكير -رحمه الله-، ورافقني أحد عبيد الشيخ مصطفى من الموالي المعتقين، وهو أبو مقبل؛ فقال لي في أثناء الطريق: إنك لا تعرف أحوال هذا البيت؛ فنحن عبيدهم فقط، وهم يقومون بجميع نفقات زواجنا، وأنت أستاذهم؛ فأيُّ غضاضة عليك إذا قاموا بنفقات زواجك؟! ثم اعلَمْ أن ما تأخذه منهم إنما يصرف من السركار.

فقلتُ: وما هو السركار؟!

فقال لي: نفقة العامة؛ ففي كلِّ سنة حين تجتمع أموال الثمار وغلال الضياع يُخرِج وكيلُ الشيخ مبلغًا للنفقات العامة، وهو السركر؛ ينفق منه على الضيوف والأساتذة والخدم، والباقي يقتسمونه على حسب الميراث، وفي هذه السنة خصص الوكيل مئة ألف روبية للسركر؛ أي: مئة ألف درهم، وكان ذلك في سنة ١٣٤٤هـ.

فلما وصلتُ إلى البصرة دفعتُ الرسالة إلى التاجر المذكور، فقال لي: إن الشيخ أحمد كَتَبَ لي يقول: سَلِّمْ إلى الأستاذ حامله المبلغ الذي يريده من المال، وكان أبو مقبل اقترح عليَّ أَنْ أطلب ألفَيْ روبية؛ فأبيت وطلبتُ ألفًا وخمس مئة روبية؛ فسَلَّمها إليَّ في الحين.

فلما سمع بذلك الشيخ مصطفى استقلَّه، وبعث إليَّ من الهند سبع مئة روبية؛ فأقمتُ عرسًا يُضاهي أعراس الأغنياء[1].

ومنها: أن جُلَّ الشبان الذين كانوا يدرسون عندي اللغة العربية والقرآن والحديث

---

(١) بنحوه في «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٩-٢٣٠).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

بعثهم الوكيل إلى مدرسة أبي رمانة المسيحية في لبنان ليتعلموا الإنكليزية والعلوم العصرية؛ فأضاعوا ما تعلموا عندي، ولم يستفيدوا شيئًا من تلك المدرسة؛ فقال لي الشيخ مصطفى: دَرِّسْ في المسجد أو في أيِّ مدرسةٍ شئتَ؛ كمدرسة النجاة للإستاذ الشيخ محمد ابن أمين الشنقيطي[(١)]، وراتبك جارٍ أبدًا؛ فلم أَرْضَ أنْ آخذ راتبًا بلا عمل.

ومنها: أني كنتُ أستاذَ اللغة العربية في كلية ندوة العلماء بلكنو؛ فجرى كلام بيني وبين أحد الشيوخ أغضبه؛ فاقترح فصلي من الكلية، وكان الذي دعاني إلى التدريس فيها العالم المشهور المؤلف السيد سليمان الندوي والدكتور عبد العلي الحسني -أخو أبي الحسن علي الحسني النَّدْوي؛ أحد تلامذتي-، لمَّا أُخِذَتِ الأصواتُ على فصلي أو بقائي حَصَّلَ الداعي إلى فصلي -الشيخ الشرواني- أكثر الأصوات؛ ففصلتُ.

فطلب مني رئيس الجماعة السيد سليمان والدكتور عبد العلي البقاء، والانتظار أربعة أشهر[(٢)]، والاكتفاء بثلثي الراتب؛ ليفهم أعضاء[(٣)] الجمعية خطأ الشرواني وزعمه أن تدريس الطلبة الهنود آدب اللغة العربية بدون معرفة اللغة الهندية أمر مستحيل، ورجَوَا أنْ ينتصرَا على الشرواني في الجلسة التالية؛ فقبلتُ طلبهما!

---

(١) اِلْتَقَى الهلاليُّ به أثناء إقامته بمدينة البصرة سنة ١٣٤٣هـ، وزوَّجه ابنته عائشة، وانتفع كثيرًا بمجالسته ومذاكرته، والشنقيطي هذا ليس هو صاحب «أضواء البيان»! وللهلالي ترجمة مطولة عنه نُشِرَتْ في «الفتح» المصرية المجلد السابع، العدد (٣١٩)، بتأريخ ١٨ رجب ١٣٥١هـ، (ص ٣-٤)، وعنها «المنار» الجزء الثاني، المجلد الثالث والثلاثون، ذو الحجة ١٣٥١هـ - إبريل ١٩٣٣م، (ص ١٣٠-١٣٣)، وأودعتُها في كتابي «مقالات الهلالي».

(٢) أسس الهلالي على إثرها مدرسة صغيرة في بيته؛ لتعليم الصغار اللغة العربية؛ انظر «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٧).

(٣) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٧): «(مجلس رجال الندوة)»، ثم قال: «ولا أقول أعضاؤها؛ لأنه مُحدَثٌ مُقتبسٌ من اللغات الأجنبية».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وسمع بذلك الشيخ مصطفى في العراق؛ فكتب إليَّ كتابًا يطلب مني الرجوع، وبعث إليَّ ألفًا ومئتي روبية، وذلك يعادل رواتب سنة في ندوة العلماء!

فلمَّا مضَتْ أربعة أشهر طلب صاحباي إجراء استفتاء في قضيتي؛ فانتصرَا على خصمهما، ونالَا أكثر الأصوات؛ فرجعت إلى الندوة!

وإنْ تعجب فعجب سبب خصومتي مع الشرواني؛ فإنه قال لي أول ما رآني: لماذا تقُصُّ لحيتك؟

فقلتُ: أهي لحيتي أم لحيتك؟ إنْ كانتَ لحيتي؛ فلي أنْ أفعل بها ما أشاء[1]، كما أنَّ لك أنْ تفعل بلحيتك ما تشاء!

فقال لي: إن الطلبة يقتدون بك؛ فيقصون لحاهم!

فقلتُ: سبحان الله! أليس للطلبة قدوة غيري؟! يتركون أستاذ الحديث الشيخ حيدر حسن، والشيخ الشبلي أستاذ الفقه، وكل منهما وافر اللحية ويقتدون بأستاذ اللغة العربية، وهو شابٌّ مثلهم؟!

فقال لي: وأستاذ اللغة العربية (ايزا) ينبغي أنْ يُوفِّرَ لحيته ولا يقصها!

فقلتُ: لك رأيك ولي رأيي! ولستَ عليَّ بمسيطر!

وبقيتُ في ندوة العلماء قرابة أربع سنين دراسية، بذلتُ فيها كلَّ جهدي في إحياء لغة

---

(١) زاد الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ٢٢٧): «وكان ذلك من نزوات الشباب».

ووجدتُه يقول في رسالة مُؤرخة بـ(١٤/ ١١/ ١٣٨٧هـ - ١٢/ ٢/ ١٩٦٨م) وجهها لتلميذه علي ابن أحمد الريسوني: «وحَلْقُ اللحية مُنكرٌ! ينبغي تغييره»، ثم ظفرتُ بوثيقة من إملاء الهلالي مُؤرخة بـ(١٣/ ٤/ ١٣٩٣هـ) فيها ما نصه: «فأنا راجع عما قلتُه منذ زمان طويل، وأنا أقول: إن الحقَّ يجب قبوله مع مَن كان، وهو توفير اللحية؛ فإن النبي ﷺ أَمَرَ بإعفاء اللحى، ونهك الشوارب، ومخالفة المشركين؛ غفرانك ربنا وإليك المصير»، والحمد لله.

القرآن لوجه الله، علمًا مني بأن الإسلام لا يمكن أَنْ يوجد بدون معرفة القرآن والحديث وأصول الدين المستنبطة منهما، وهذه الثلاثة لا توجد إلَّا بمعرفة اللغة العربية؛ فذهاب اللغة العربية فيه ذهاب الإسلام! ولولا الجهل باللغة العربية لما نشأ البريليون -عباد القبور- الذين يسجدون للمشايخ سجدة التعظيم، والقاديانيون الذين ادعوا نزول الوحي على غلام أحمد ومسيحيته ونبوته، وجماعة القرآن، بل جماعة الشيطان الذين أنكروا حديث الرسول ﷺ، وقد هجوتهم بقصيدة تأتي في حرف الراء إنْ شاء الله[١].

ولي قصَّةٌ تدل على ما قدمته، وقعت بيني وبين أستاذٍ يُعلِّم الأدب العربي في دهلي، لم أجد نشاطًا لذكرها هنا[٢].

---

(١) انظر (مقطع ٥٩).

(٢) ذكرها في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ١٦٧-١٦٩) تحت عنوان: (حادثة عجيبة)، قال:

«قلتُ لأولئك الطلبة: ماذا تريدون أن أدرِّسكم من كتب الأدب؟ فقالوا: نريد أن تُدرسنا «ديوان المتنبي»؛ فبدأتُ أدرسهم، ووجدتُ صعوبة في إفهامهم؛ لأنهم -كما قال النواب صدر الدين- لم يقرع آذانهم كلام عربي قط.

وبعد أربعة أيام وصلنا إلى بيت من قصيدةٍ للمتنبي يمدح بها سيف الدولة، وكانت النسخة التي نقرأ فيها مطبوعة في دهلي، وفيها أخطاء، فوجدنا فيها البيت هكذا:

أَنَا لَهُ الشَّرَفُ الأَعْلَى تُقَدَّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالَ

ففكرتُ في معنى الشطر الثاني من هذا البيت؛ فلم أكد أفهمه، فلما حضر الطلبة قلتُ لهم: هذا الشطر لم أفهمه، وأظن أنه محرف؛ فأنكروا ذلك! وقالوا: (توبة! أستغفر الله!)، وهاتان الكلمتان تستعملان في لغتهم عند الغضب والإنكار الشديد! وقالوا لي: إن هذه النسخة التي في يدك درَّسنا بها مولانا عبد الرحمن النكرامي مرارًا! فلم يجد فيها خطأ؛ فيا لله للعجب! أنت عربيٌّ وأديبٌ وتعجز عن فهم كلام المتنبي مع أن أقل الأدباء عِلْمًا عندنا يُدرس «ديوان المتنبي» بدون مطالعة! والآن ظهر لنا صدقُ ما قال أستاذُ الأدبِ مولانا عبد الرحمن النكرامي!

فقلتُ لهم: وماذا قال؟! قالوا: قال لنا: اذهبوا إلى النواب صدر الدين، وقولوا له: إننا لا نفهم =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

كلام هذا المدرس العربي! ولا حاجة لنا بتدريسه! فقلنا له: نحن نستحي من النواب أن نقول له ذلك، فقال لنا: اعلموا أن العرب في هذا الزمان كلهم جُهَّالٌ! لم يبقَ عندهم من العلم شيء! وإنما كان عندهم العلم في زمان النبي ﷺ، وفي زمان السلف الصالح! أما اليوم؛ فلا علم عندهم! أما ترونهم كلَّ سنةٍ يأتون من مكة والمدينة ويتكففون الناس؛ فهل رأيتم منهم أحدًا من أهل العلم؟!! يُضاف إلى ذلك أن هذا العربي -يعنيني- شاب مجهول في الهند! لا يعرفه أحدٌ! وشهادته لا تنفعكم! وأنا لا أعطيكم شهادةً إذا تركتموني ودرستم عنده!

فقلتُ لهم: إنْ شئتم أن تحضروا درسي فاحضروا، وإن رأيتم أن درسي لا فائدة فيه فانصرفوا إلى مولانا عبد الرحمن؛ فانصرف أحد عشر منهم، وبقي أربعة، لا لأنهم يعتقدون صحَّة ما قلتُ لهم من أن شطر البيت يمكن أن يكون مُحرَّفًا! بل فضَّلوا سماع الكلام العربي ولو من مدرس قليل العلم، وكان أحدهم عبد الودود المذكور.

فذهبتُ إلى النواب صدر الدين -رحمه الله-، وذكرتُ له ما وقع؛ فقال لي: أنا أعرف علمك، وأعرف علم الشيخ عبد الرحمن النكرامي، وقد أردتُ لهم الخير؛ فإن أَبَوْا فذرهم في ضلالتهم، وأرجو أن تبقى في مكانك ولو لم يحضر عندك أحدٌ منهم.

وبقيتُ أربعة أيام أُفكِّرُ في معنى ذلك الشطر؛ فلم أفهمه، وقال لي أحد الأربعة الباقين: إن الشيخ عبد الرحمن قال للطلبة: إن هذا الشطر واضح! يفهمه كلُّ واحدٍ حتى الحمار! وقد رأيتم صدقَ ما قلتُه لكم!

وفي اليوم الخامس؛ ذهبتُ إلى الشيخ عبد الرحمن النكرامي -رحمه الله-، وأمامه حلقة كبيرة من الطلبة؛ فسلَّمْتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، فقلتُ: يا شيخ عبد الرحمن، لم أفهم هذا الشطر، وقد أخبرني الطلبة أنك تفهمه؛ فأفهمني إيَّاه.

فقال لي كلامًا لا معنى له! فقلتُ له: أعرِبْهُ من فضلك؛ فبالإعراب يتبين المعنى.

فقال: (ما): موصولة، و(الذي): توكيد لها، و(يتوقى): فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، يعود على الأعداء في البيت قبله، و(ما): مفعول به، و(أتى): فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر يعود على الممدوح، و(نال): خطأ، والصواب: (نالوا). =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

فقلتُ له: إذا كانت (ما) موصولة؛ يكون تقدير الكلام: (الذي الذي)!

فقال: وأي شيء في ذلك؟

فقلتُ له: وفاعل (يتوقى) إذا كان يعود على الأعداء لم يصح ذلك! لأن قياس النحو يقتضي أن يكون (واوًا)؛ فيقال: (يتوقون)، وليس عندنا ضمير مستتر تقديره (هم)! إلا في نحو قولنا: (الرجال قائمون)؛ ففي (قائمون) ضمير مستتر تقديره (هم)، أما الفعل؛ فلا يُقدَّر فيه من ضمائر الغيبة إلا (هو)، و(هي).

قال لي: تريد أن تعتزر -يعني: تعترض- على المتنبي؟! إنك لا تستطيع ذلك؛ فقد عكف أبو علي الفارسي على «ديوان المتنبي» يبحث عن خطأ فلم يجده!

فقلتُ له: أنا لا أريد أن أعترض! ولكن أريد أن أفهم! ومع ذلك؛ فالمتنبي غير معصوم من الخطأ؛ فقد عيب عليه أبيات؛ منها قوله:

جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُون بِهَا بِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلَائِلُ

فيه التعقيد، ومن ذلك قوله:

إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ... فَبِرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الإِسْلَامِ

فيه الركاكة، وقبح البراءة من الإسلام لأمرٍ مكذوبٍ يريد به التملق، ومن ذلك قوله:

فَقَلْقَلْتُ بِالهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحَشَا ... قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ

فيه من الركاكة والثقل على اللسان بتكرار حرف القاف ما لا يخفى عليك؛ فأعرض عني، وقال للطالب الذي كان يقرأ عليه: (تشالو)؛ يعني: استأنف القراءة.

فأصابني من الغمِّ ما الله به عليم، ولم أكن قبضتُ شيئًا من المدرسة، وما كان عندي إلَّا أربع وعشرون روبية؛ أي: درهمًا هنديًّا؛ فعزمت على شراء «شرح ديوان المتنبي» للعُكْبَري، لأعرف أين يكمن سرُّ عدم فهمي لذلك الشطر؛ أهو في جهلي، أم في الخطأ الواقع في الطبعة الهندية؟

فسألتُ أحد الطلبة عن لفظ السؤال عن المطبع المجتبائي بلغة أردو؛ فلقنني إياه؛ فذهبتُ أسأل =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ومنها: أني بعد ما رجعتُ من أوربا، وعُينتُ مُدرِّسًا في إحدى كليات جامعة بغداد لم يكن لي بيت أسكن فيه، وكان راتبي قليلاً؛ فقصدت أحد الإخوان من أهل البصرة -ولا بُدَّ من ذكره-، وهو الحاج محمد العقيل، وكان قبل أَنْ أُسافر إلى ألمانيا تاجرًا متوسِّطًا -إلى صغار التجار أقرب-، وكان يقول: أتمنى أَنْ يُوسِّعَ الله تجارتي ويُكثِّر مالي؛ فادع الله لي بذلك حتى أبني لي بيتًا ولك بيتًا مجاورًا له، ونشتغل بالمذاكرة في العلم.

فقلتُ له: أنا أدعو الله لك بذلك، ولكن أدعو لنفسي أيضا أَنْ يغني الله عنك!

فلما رجعتُ وجدته بلغ فوق ما أراد من الثروة واتساع الأموال؛ فأردتُ أَنْ أستنجزه

إلى أن وصلتُ، فسألتُ صاحبه عن «شرح العكبري لديوان المتنبي»؛ فقال لي: النسخة الأخيرة اشتراها طالب من مدرسة كذا وكذا؛ فذهبتُ إلى تلك المدرسة، ووجدتُ الطالب الذي اشترى النسخة؛ فوجدتُ البيت هكذا:

[أَنَالَـهُ] الـشَّرَفَ الأَعْلَـى تَقَدُّمُـهُ فَـمَا الَّـذِي بِتَـوَقِّي مَـا أَتَـى نَـالُوا؟

فظهر أنني كنتُ مُصيبًا، وأن الشطر كان مُحرَّفًا، والطامة الكُبرى كانت في زيادة نقطة بلفظ (بتوقي) الذي هو جار ومجرور؛ فصار (يتوقى) فعلاً مضارعًا، وظهر أن الشيخ عبد الرحمن لم يفهم منه شيئًا؛ فإن (ما) التي زعم أنها موصولة ليست موصولة، بل هي استفهامية، و(يتوقى) الذي اخترع له فاعلاً، وجعله ضميرًا مستترًا تقديره (هو) ليس فعلاً، وإنما هو جار ومجرور!

فنقلتُ البيت على الوجه الصواب، وما قاله العكبري في شرحه.

ومعنى البيت: (تقدُّمُ سيف الدولة في الحروب، وهزيمته لأعدائه؛ أكسبه الشرف الأعلى، فما الذي ناله أعداؤه بتوقيهم وإحجامهم عن فعل ما أتاه من ذلك؟ الجواب: نالوا الخزي والعار).

فانطلقتُ إلى الشيخ عبد الرحمن النكرامي، وهو يدِّرس، وكان لا يفتر على التدريس طول النهار؛ فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام، وقلتُ له: أيها الشيخ! إنك قلتَ للطلبة: إن هذا الشطر يفهمه كل أحد حتى الحمار، وقد ظهر أنك لم تفهمه، وناولته الصحيفة، وقلتُ له: اقرأ ما قاله العكبري في «شرحه»؛ فقرأه، ثم ناولني الصحيفة، وقال للطالب الذي كان يقرأ عليه: (تشالو)؛ فهجرته ثلاثة أيام، وهجوته بقصيدة لا أريد أن أذكر منها هنا شيئًا؛ فكان خيرًا مني؛ لأنه بعد ثلاثة أيام بدأني بالسلام».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ما وعد به، فقال لي بعض أهل الرأي: إن هذا الرجل كان فقيرًا فاستغنى، والمثل يقول: (اقصد أهل بيت كانوا أغنياء فافتقروا، ولا تقصد أهل بيت كانوا فقراء فاستغنوا)؛ فعليك بالشيخ مصطفى إذا أردت أَنْ تستعين على بناء بيتٍ؛ فإنه غنيٌّ ابن غنيٍّ؛ فهو أولى!

فقلتُ: إنَّ عشرتنا قد قدم عهدها، ومنذ خمس عشرة سنة استوطن الشيخ مصطفى أمريكا الشمالية، وتزوج بامرأة أمريكية، وترك ما كنَّا عليه من الاجتماع على مدارسة القرآن والحديث.

فقال لي: وَإِنْ؟! فكتبتُ كتابًا التمست منه فيه أَنْ يُقرضني خمس مئة دينار، وسلمتُه إلى ابنه الشيخ يوسف، وكان طالبًا في المدرسة، وفي غد ذلك اليوم جاءني بحوالة وكتاب من والده يُرحب فيه بما طلبتُ منه، ويفهم منه أنه هبة وليس بقرض، وحينئذٍ شاورت بعض الأصدقاء؛ فقال لي: إن هذا المقدار لا يكفي لبناء دار، وإنما يكفي لنصف ما يلزم أو ثلثه؛ فتوجهت إلى البصرة من بغداد، ولما دنوت منها نظمت -وأنا في القطار- بيتين، وهما[1]:

---

(١) قال الأستاذ المستشار عبد الله العقيل في كتابه «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (ص ٤٩٠): «يحدثنا العَمُّ محمد السليمان العقيل عن صديقه الهلالي؛ فيقول: كانت صِلتي بالهلالي قديمة منذ قَدِمَ إلى الزبير، وكانت لنا معه لقاءات يُشارك في بعضها الشيخ ناصر الأحمد، والشيخ عذبي الصباح، والشيخ جاسم العقرب.

والهلالي عالمٌ، فاضلٌ، متمكِّنٌ من علمه، وأديبٌ، شاعرٌ، فحلٌ.

ويروي لنا الهلاليُّ عن صديقه محمد العقيل؛ فيقول: كان أبو قاسم مبتدئًا بالعمل التجاري؛ فوعدني أنه إذا فتح الله عليه، واتسعت تجارته؛ فلن يتخلى عنِّي، وكان ذلك أوائل الثلاثينيات الميلادية، ولما عُدْتُ إلى العراق سنة ١٩٤٧م بعد غُربة طويلة ذكَّرته بوعدِهِ، وطلبتُ منه المساعدة لشراء بيت لسكناي ببغداد، وكان ذلك من خلال قصيدة نظمتها وأرسلتها له؛ فكانت استجابته سريعة، ووفَّى بوعده؛ جزاه الله خيرًا.

وأنا لا يحضرني من قصيدة الهلالي سوى مطلعها: . . .»، وذكر البيتين، ومن سياق كلام الهلالي السابق يُعلم أنه لم ينظم غيرهما.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَبَا قَاسِمٍ قَدْ جِئْتُ أَسْتَنْجِزُ الَّذِي وَعَدْتَ بِهِ قِدْمًا وَأَنْتَ كَرِيمُ

أُعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ شَرِّ مَارِدٍ يَزِينُ لَكَ الإِخْلَافَ وَهْوَ ذَمِيمُ

فلما وصلتُ ناولتُه البيتين؛ فقال لي: ماذا تريد؟

فقلتُ: ما وعدتني به قبل الحرب.

فقال: وعدتُك أَنْ أبني لك بيتًا في القرية لا في بغداد!

فقلتُ: وأنا لا أطلب منك بناء بيتٍ لا في القرية ولا في بغداد، ولكن أريد أَنْ تُقرضني خمس مئة دينار، ودونك حوالة بعثها إليَّ الشيخ مصطفى آل إبراهيم، فلما رآها قال: سأفكر في هذا الأمر.

وبقيتُ أنتظر جوابه من يوم الجمعة إلى يوم الخميس؛ فعزمت على السفر، وحجزت مكانًا للنوم في الدرجة الثانية في القطار، وهو يرى كلَّ ذلك، ثم صلَّيْتُ الظهر والعصر جمع تقديم، وقلتُ: يا ربِّ! إِنْ قسمتَ لي شيئًا من هذا الرجل؛ فيسِّرْهُ بدون زيادة خجل، وإلَّا فأغنني عنه.

وخرجتُ أتجوَّل في العشار من مدينة البصرة، وتعمدت أَنْ لا أرجع حتى ينصرف إلى بيته؛ فلا أخجله ولا يخجلني، فلما مضى الوقت الذي ينصرف فيه من المكتب إلى بيته رجعت لأخذ أمتعتي؛ فوجدتُ الحاج أخاه، فقال لي: إن أخي الحاج محمد سأل عنك؛ فلم يجدك، وقد ترك لك هذه الحوالة، وأوصى أحد السائقين أَنْ يُوصلك إلى المحطة بالسيارة؛ فقرأتُ الحوالة؛ فإذا فيها خمس مئة دينار على مصرف بالبصرة، فسافرتُ إلى بغداد، ودفعتها إلى مصرف الرافدين، فبعثها إلى البصرة، فحصلتُ على ألف دينار، وبنيتُ به دارًا سكنتُ فيها بعد خمسين يومًا من ابتداء بنائها، وصرتُ أدفع إلى الحاج محمد العقيل كلَّ ما تيسر لي قضاء لِمَا أقرضني، فلما بلغتُ نصفه كَتَبَ إليَّ يقول: قد تبرعتُ بما بقي؛ فلا تبعث إليَّ شيئًا، وله مكارم غير هذه، جزاه الله خيرًا، وسيأتي ذكره في حرف الراء

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إن شاء الله[١].

فالواقف على هذه المكارم لا بُدَّ أَنْ يعذرني في مدحي لأبي يوسف؛ فقد روى أحمد والترمذي عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ»[٢].

***

[سئمتُ طوافًا وغُربةً]

[٣٨] وقلتُ في مكان وزمان لا أعرفهما [البحر الطويل]:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى مَعْهَدِ الوُدِّ ... خَلَاصٌ مِنَ التَّطْوَافِ وَالنَّأْيِ وَالبُعْدِ

فَيَرْجِعُ مَا أَنْأَتْهُ أَيَّامَ بَصْرَةٍ ... وَأَيَّامَنَا فِي أَرْبُعِ السِّنْدِ وَالهِنْدِ

فَقَدْ سَئِمَتْ نَفْسِي طَوَافًا وَغُرْبَةً ... وَحِلًّا وَتِرْحَالاً يَزِيدُ عَلَى العَدِّ

فَيَوْمًا تَرَانِي فِي مَهَامِهَ قَفْرَةٍ ... عَلَى جَسْرَةٍ غَلْبَاءَ[٣] أَوْ هَيْكَلٍ نَهْدِ[٤]

سَلِيمِ الشَّوَى[٥] يَهْدِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... أَفَانِينَ جَرْيٍ فَوْقَ مَا أَنْتَ مُسْتَهْدِ

وهذا بِدْءٌ في قصيدة على الأسلوب الجاهلي، لم يتسنَّ إتمامها.

---

(١) انظر مقطع (٦١).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١٨)، والطيالسي في «المسند» (٢٦١٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢)، وأبو داود في «السنن» (٤٨١١)، والترمذي في «جامعه» (١٩٥٤)، **والحديث صحيح**؛ وانظر «الصحيحة» (٤١٦).

(٣) مؤنث الجَسْر، و(غلباء) مؤنث (غلب)، وهي ما غَلُظَ عُنُقُه؛ انظر «المعجم الوسيط» (١٢٢، ٦٥٧).

(٤) النَّهد: ما برز وارتفع، والهيكل: الضخم من كل شيء؛ انظر «المعجم الوسيط» (٩٥٧، ٩٩٠).

(٥) الشَّوَى: أطراف الجسم؛ انظر «المعجم الوسيط» (٥٠٢).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[الحنين إلى الوطن][١]

[٣٩] وقلتُ في الحنين إلى الوطن، ولا أعرف زمان هذه الأبيات ولا مكانها [البحر الخفيف]:

هَـلْ إِلَى الغَـرْبِ يَـا تُـرَى مِـنْ مَعَـادِ ... فَبِـهِ يَـشْتَفِي عَلِيـلُ فُـؤَادِي

حَبَّـذَا الـمَغْرِبُ البَهِـيجُ لِنَـاوٍ ... وَلِـمَنْ زَارَهُ مِـنَ القُـصَّادِ

مَوْطِنُ الظَّرْفِ مَعْدَنُ اللُّطْفِ مَأْوَى الشْـ ... ـشُمِّ قَـوْمِي الغَطَـارِفِ[٢] الأَمْـجَادِ

هُـمْ أُبَـاةُ الـضَّيْمِ البَهَالِيـلُ[٣] أَبْطَـا ... لُ الـوَغَى وَبُنَـاةُ مَـجْدِ الـبِلَادِ

* * *

[شوقي إليك عظيم][٤]

[٤٠] وقلتُ في تطوان في غير ريبة في ٢ ذي القَعدة ١٣٦١هـ [البحر البسيط]:

شَـوْقِي إِلَيْـكِ عَظِـيمٌ مَـا لَـهُ حَـدُّ ... وَمَوْعِدُ اليَوْمِ أَضْحَى وَهْوَ مُمْتَدُّ

فَقَرِّبِيـهِ فَـدَتْكِ الـنَّفْسُ يَـا أَمَـلِي ... فَـإِنَّ قَلْبِـيَ قَـدْ أَذَابَـهُ الوَجْـدُ

يَا شَمْسَ قَلْبِيَ هُبِّي لِلطُّلُوعِ فَذِي ... حَنَـادِسُ الغَـمِّ مَـا تَنْفَـكُّ تَـشْتَدُّ

---

(١) الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ١٤٨) للهلالي، دون كلام قبلها، وفوقها: «نقل».

(٢) جمع (غِطْريف)؛ وهو السيد الشريف، والسَّخي السَّري؛ انظر «القاموس المحيط» (١٠٨٨).

(٣) جمع (بُهْلول)؛ وهو السيد الجامع لكل خير؛ انظر «القاموس المحيط» (١٢٥٣).

(٤) الأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ١١٨) للهلالي، وقبلها: «تطوان ٢ ذي القَعدة ١٣٦١هـ»، وبعدها: «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[دعاء بشفاء]

[٤١] وقلتُ منذ زمان طويل عندما أُصبتُ بوعكة [البحر الوافر]:

أَحِنُّ إِلَى الفِرَاشِ لِغَيْرِ نَوْمٍ ... وَلَكِنِّي أَخُو ضَعْفٍ شَدِيدِ

وَأَرْجُو اللهَ يَمْنَحُنِي شِفَاءً ... فَإِنَّ اللهَ ذُو كَرَمٍ وَجُودِ

* * *

[ابتهال ودعاء][1]

[٤٢] وقلتُ في برلين في أواسط مارس سنة ١٩٥١[2] بتأريخ النصارى، وكنتُ في هَمٍّ وغَمٍّ وشِدَّةٍ عظيمة بسبب المرض وتعسر نقل عبد المؤمن[3] إلى القسم الغربي مبتهلاً إلى الله تعالى؛ فاستجاب دعائي، وتداركني بلطفه بشكل عجيب [**مُخَلَّع البسيط**[4]]:

الْحَمْدُ للهِ حَقَّ حَمْدِهْ ... وَكُلُّ خَيْرٍ أَتَى مِنْ عِنْدِهْ[5]

---

(١) وقفنا على هذه الأبيات ضمن (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل دون كلام قبلها ولا بعدها، ثم ظفرتُ بها ضمن (أصل خطي) من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفيه المقدمة التي قبل الأبيات، وما بعد الأبيات.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «أربع وخمسين وتسعمائة وألف».

(٣) هو ولد الشيخ محمد تقي الدين الهلالي.

(٤) مُخَلَّع البسيط: هو مجزوء البسيط -وليس البسيط نفسه- الذي دخل عروضَهُ وضربَهُ الخَبْنُ -وهو حذف الثاني الساكن (السين)- مع القَطْعِ -وهو حذف ساكن الوتد المجموع في آخر التفعيلة (النون)، وتسكين ما قبله (اللام)-؛ فتصير (مُسْتَفْعِلُنْ): (مُتَفْعِلْ)، وتُنقَل إلى (فَعُولُنْ)؛ فتفعيلات (مُخَلَّع البسيط) هي: (مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) وقع خطأٌ خفيٌّ في عَجُزِ هذا البيت في ضربِهِ؛ وقد بَيَّنْتُ -في الحاشية السابقة- أن تفعيلة =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

آلَاؤُهُ عَمَّتِ الْبَرَايَا وَلُطْفُهُ شَامِلٌ لِعَبْدِهْ

مَنْ يَدْعُهُ مُخْلِصًا يَنَلْ مَا يَبْغِيهِ مِنْ بِرِّهِ وَرِفْدِهْ[١]

وَمَنْ دَعَا غَيْرَهُ تَرَدَّى وَخَابَ فِي سَعْيِهِ وَقَصْدِهْ

إِلَيْكَ رَبِّيَ[٢] الْغَدَاةَ أَشْكُو ضُرًّا بَرَى[٣] مُهْجَتِي بِحَدِّهْ

فَاصْرِفْهُ يَا سَيِّدِي سَرِيعًا وَمُنَّ لِي دَائِمًا بِضِدِّهْ

وكان عبد المؤمن يتابعني في التغني بها دون أنْ يعرف شيئًا من معناها!

***

عروض وضرب (مُخَلَّع البسيط) هي: (فَعُولُنْ)، إلَّا أن تفعيلة ضرب عجز هذا البيت -دون سائر أبيات القصيدة- هي: (مَفْعُولُنْ)، وهي لـ(مجزوء البسيط) وليس لـ(مُخَلَّع البسيط)؛ فاقتضى التنبيه.

ولقد تَنبَّه (بو خبزة) لهذا الخطأ الخفيِّ بأن خطَّ تحت كلمتَيْ (من عنده) خطًّا؛ فجزاه الله خيرًا على مثل هذه الدقة والنباهة، والله الموفق. (أبو الفضل).

ولإتمام الفائدة: نعم هذه القصيدة من روي (الدال)، و(الهاء) التي في آخر كل بيت منها إنما هي (هاء الوصل): وهي التي تقع في آخر البيت الشعري دون أن تصلح أن تكون رويًّا؛ فَيُلْتَزَم الحرف الذي قبلها -وهو (الدال) هنا- على أنه الرويُّ، وهي التي تكون للسَّكْتِ، أو ضميرًا -ساكنًا، أو متحرِّكًا-، أو للتأنيث، وأما إذا كانت (الهاء) أصليَّةً -أي: من بنية الكلمة- وكان ما قبلها مُحَرَّكًا؛ فتصلح أن تكون رويًّا. ولمزيد من التفصيل؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض . . » (ص ٣٥٢-٣٥٨). (أبو الفضل).

(١) (عطائه). (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي).

(٢) في (الأصل الخطي): «رَبِّ».

(٣) (قطع). (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي).

[عاقبة أمير شفشاون؛ اليزيد بن صالح][1]

[٤٣] وقلتُ في هجو يزيد بن صالح بشفشاون في ١/ ١١ ١٣٦٥هـ، ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] [البحر الطويل]:

يَزِيدُ لَئِيمُ الطَّبْعِ خِبٌّ مُنَافِقٌ ... عَلَى صُورَةِ الإِنْسَانِ وَهْوَ مَرِيدُ

مِنَ النُّكْرِ يَدْنُو حَيْثُ سَارَتْ رِكَابُهُ ... وَأَمَّا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَهْوَ بَعِيدُ

وَمَا كَانَ يَوْمًا زَائِدًا فِي فَضِيلَةٍ ... وَلَكِنْ يَزِيدُ فِي الفُجُورِ يَزِيدُ

ضَعِيفٌ مَتَى يُدْعَى إِلَى فِعْلِ صَالِحٍ ... وَلَكِنَّهُ فِي السَّيِّئَاتِ شَدِيدُ

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا دَعَوْهُ ابْنَ صَالِحٍ ... فَمَا رَأْيُهُ فِي الصَّالِحَاتِ سَدِيدُ

يُحَارِبُ دِينَ الحَقِّ مِنْ أَجْلِ شِقْوَةٍ ... وَيُبْدِئُ فِي إِجْرَامِهِ وَيُعِيدُ

كَلَامُ رَسُولِ اللهِ أَعْدَى عَدُوِّهِ ... مَتَى يَسْمَعَنْهُ فَهْوَ عَنْهُ يَحِيدُ

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٩٥-٩٦)، وقال في أولها: «نقل الإسبانيون هذا الأمير لإخلاصه في خدمتهم إلى إمارة مدينة تطوان، وهي عاصمة الشمال؛ مكافأة له على إخلاصه لهم، فلما جاء الاستقلال، زار الملك المظفر محمد الخامس مدينة تطوان؛ فجاء اليزيد وأخذ يطوف على المستقبلين ويقول: أين اللبن أين التمر؟ ومن عادة المغاربة أن يستقبلوا كل ضيف عزيز باللبن والتمر، فجاء جماعة من الوطنيين المجاهدين، وقالوا له: أيها الخائن! بلغت بك الوقاحة إلى أنْ تأتي إلى هنا؟! بأيِّ وجهٍ تستقبل الملك؟! أبالوجه الذي خدمت به الاستعمار؟! وحملوه في الهواء، وألقوه بعيدًا؛ فأصابته رضوض وجروح، ودخل بيته، ولم يخرج منه إلى أنْ مات.

وينبغي أنْ أثبت هنا القصيدة التي أنشأتها في هجوه، لا حقدًا عليه؛ لأن طلبه المتكرر بالعفو يُلَيِّن القلب القاسي، هذا مع أنه كان أميرًا، وأنا رجل غريب لا ناصر لي إلَّا الله، ولكن لِمَا فيها من العبر؛ فقد أنطقني الله فيها بأمور وقعت كلها في المستقبل القريب؛ كأني كنتُ أنظر إليها: . . .»؛ وانظر (ص ١٨٢ وما بعد).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَإِنْ قُلْتَ قَالَ اللهُ زَادَ نُفُورُهُ وَأَقْبَلَ[1] يَدْعُو وَيْلَهُ وَيَمِيدُ

وَلَا غَرْوَ فَالجِعْلَانُ يَجْلُبُ حَتْفَهَا شَذَا المِسْكِ مَهْمَا[2] نَالَهَا فَتَبِيدُ

يَضِلُّ بِذِكْرِ اللهِ مَنْ حَانَ حِينُهُ وَيَهْدِي بِهِ لِلصَّالِحَاتِ رَشِيدُ

وَمَنْ رَامَ يُطْفِي بِالْجَهَالَةِ نُورَهُ فَذَلِكَ غُمْرٌ لِلْمُحَالِ يُرِيدُ

وَأَهْلُ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى مَنْ يُعَادِهِمْ يَنَلْهُ عَذَابٌ وَاصِبٌ وَوَعِيدُ

فَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَاللهُ مُؤْذِنٌ مُعَادِيهِمُ بِالْحَرْبِ وَهْوَ شَهِيدُ

وَكَمْ جَاهِلٍ أَمْسَى يُحَاوِلُ حَرْبَهُمْ فَبَاءَ بِخِزْيٍ مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ

فَقُلْ لِشَقِيٍّ بِالوَعِيدِ مُكَذِّبٌ أَتَاكَ وَبَالٌ لَيْسَ عَنْهُ مَحِيدُ

وَكَمْ صَالِحٍ وَلَّى وَخَلَّفَ خَلْفَهُ غَوِيًّا صَرُوحَ المُوبِقَاتِ يَشِيدُ

أَتَغْتَرُّ بِالإِمْهَالِ تَحْسَبُ أَنَّهُ -لَكَ الوَيْلُ- إِهْمَالٌ فَأَنْتَ بَلِيدُ

سَيَأْتِيكَ يَوْمٌ عَنْ قَرِيبٍ حِسَابُهُ عَسِيرٌ وَأَخْذُ المُجْرِمِينَ شَدِيدُ

فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ مَا حَيِيتَ وَإِنْ تَمُتْ تُلَاقِ الَّذِي لَاقَى أَخُوكَ يَزِيدُ

وَلَوْ كَانَ ذَا فَضْلٍ لَهَانَتْ مُصِيبَةٌ وَلَكِنْ جَهُولٌ فَاجِرٌ وَعَنِيدُ

وَلَوْلَا الشَّقَا مَا غَرَّهُ ظِلُّ مَنْصِبٍ وَلَا عَدَدٌ مِنْ خَادِمِيهِ عَدِيدُ

فَلَا مَنْصِبٌ إِلَّا سَرَابٌ بِقِيعَةٍ وَإِنْ كَانَ مُلْكًا قَدْ حَمَتْهُ جُنُودُ

---

(١) في «الدعوة إلى الله»: «وأدبر».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «فمهما»، وفي «الدعوة إلى الله»: «مما»، والصواب -وزنًا- ما أثبتناه، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

تَفَرْعَنْتَ يَا مَغْرُورُ فِي حُكْمِ قَرْيَةٍ ... غَدَوْتَ بِهَا لِلصَّالِحِينِ تَكِيدُ

لِصَيْدِ ضِعَافٍ قَدْ نَصَبْتَ حَبَائِلاً ... وَكَمْ صَائِدٍ قَدْ عَادَ وَهْوَ مَصِيدُ

وَمُنْذُ رَآكَ النَّاسُ فِيهَا تَشَاءَمُوا ... بِشَرٍّ وَنَحْسٍ لَا يَزَالُ يَزِيدُ

وَلَوْ كُنْتَ بَرًّا لَمْ تَطُلْ لَكَ مُدَّةٌ ... وَلَكِنَّ عَهْدَ الْمُجْرِمِينَ مَدِيدُ

* * *

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[معركة مع فقيه مُقلِّد مُشرك][1]

---

(١) «الدعوة إلى الله» (٦٣ - ٦٦) وقال قبلها: «وحدث يومًا أنِّي كنتُ جالسًا في دكان عند أحد إخواننا الذين تابوا من البدع، وأخوه الأكبر كان حافظًا للقرآن وحافظًا لـ«مختصر خليل»، وكان تجانيًّا؛ فتاب من التجانية وعمره سبعون سنة، واغتبط بالعقيدة السلفية؛ فجاء سائل عربي، وقال لصاحب الدكان: أعطني صدقةً لوجه غياث البر والبحر، سلطان الأولياء؛ مولاي عبد القادر الجيلاني! فقلت له أنا: نحن عبيد الله ولسنا عبيدًا لعبد القادر الجيلاني؛ فاذهب إلى عبيده، فنحن ليس لنا غياث إلَّا الله في البر والبحر، ولا نتخذ من دون الله أولياء.

فقال لي: أنت لا تساوي تراب نعل سيدي عبد القادر الجيلاني.

فقلت له: أنا لا أساويه، ولكني لا أعبده!

فقال صاحب الدكان للسائل: اذهب من هنا وأرنا قفاك؛ فإنَّ هذا الرجل عندنا أفضل من عبد القادر الجيلاني.

فقلت: إنك أخطأت.

فقال: أمهلني حتى أشرح لك مرادي، ثم احكم عليَّ.

فقلت: قل.

فقال: أنت مقيم بين ظهرانينا تعلمنا مما علَّمك الله، ونسألك فتجيبنا، وعبد القادر ليس كذلك.

فقلت له أنا: إنْ كان هذا مرادك؛ فهو حق.

ولمَّا رجعتُ إلى تطوان علمتُ أنَّ ذلك الفقيه البياع ذكرني بسوء في درس وعظه؛ فقال لمستمعيه -وهو يحثهم على الصلاة بسدل اليدين، وترك سنة وضع اليمنى على اليسرى-: ماذا تقولون في سيدي محمد السلاوي؛ أكان عالمًا بالحديث والفقه أم جاهلاً بهما؟ فقالوا: كان من كبار العلماء، فقال: وماذا تقولون في سيدي أحمد الرهوني، وسيدي فلان، وفلان؟ فقالوا: علماء فقهاء، قال: فهل كان أحدٌ منهم يضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة؟ قالوا: لا، قال: فكيف تخالفونهم لقول شخص مجهول لا نعرف من أين خرج؟!

فأنشأت فيه قصيدة داليَّة، أنقلُ نخبةً منها هنا: . . .». =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أو

[القينية الأولى][1]

[٤٤] وقلتُ في سفيهٍ[2] يُسمَّى فقيهًا، اغتنم فرصة غيابي من تطوان حين توجهتُ

وأورد آخر الأبيات في كتابه «سبيل الرشاد» (١/ ٣٤٤) أو (١/ ٥٧٢ - بتحقيقي)، نشر الدار الأثرية، ووضعتها بين معقوفين، وقال فيه قبلها: «وقلتُ في قصيدة في هجو سفيهٍ يُسمي نفسه فقيهًا...» وذكرها.

والأبيات التي أمامها علامة (*) في «سبيل الرشاد» أيضًا (٤/ ٦١) أو (٤/ ٨٢ - بتحقيقي)، مع التنويه أنَّ «سواء أصلَّى...» آخر البيت مع الفرق المثبت في الهوامش.

ثم وقفتُ -بفضل الله ومنته- على هذه القصيدة في كتابه «الزند الواري والبدر الساري في اختصار وشرح صحيح البخاري» (ق ٢٦٤-٢٦٥)، وقال قبلها: «ولما كنتُ في بغداد كان المقلدون يزعمون أني أحارب مذهب أبي حنيفة؛ فقلتُ لهم: كذبتُم! بل أنا على مذهب أبي حنيفة، وأنتم محاربون له؛ لأن أبا حنيفة -رحمه الله- قال: (لا يحل لأحدٍ أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه)، وهكذا قال صاحباه، ولذلك خالفاه في المسائل التي لم يصح عندهما فيها دليله، كما في هذه المسألة، وأنتم تخالفونهم جميعًا! فتقولون: بلى! يحل لنا -بل يجب علينا!- أن نقول بقول أبي حنيفة ونحن لا نعلم دليله!

ولما جئتُ إلى المغرب أخذ غلاة المقلدة يزعمون أنني أحارب مذهب مالك، وأنا أقول لهم: أنا على مذهب مالك، وأنتم تحاربونه! فإنه لا يُبيح الافتاء ولا القضاء بالتقليد، وأنتم توجبونه!

وقد قلتُ من قصيدةٍ في الردِّ على بعضهم حين زعم أن مالكًا -رحمه الله- يقول بسدل اليدين في الصلاة: . . .»؛ فسرد أبياتًا منها، وعلامتها (*) خلف أبياتها.

ثم وجدتُ (البيت الثلاثين) منها في (الحلقة العاشرة) من مقالات (نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط)، ونشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد الرابع، السنة التاسعة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، (ص ١٩-٢٢)، وفيها قبله: «وقلتُ في قصيدةٍ مخاطبًا أحد المقلدين. . .» وذكره.

(١) هذه تسمية الهلالي للقصيدة في بعض رسائله الشخصية؛ انظر التعليق على مقطع (١٦٤).

(٢) «محمد بن أحمد الفركاخ، وكان أول أمره حدَّادًا في تطوان». (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إلى ناحية الريف فرارًا من شاطئ البحر بسبب داء الربو، وكان ذلك في شعبان ورمضان، فلما رجعتُ علمتُ أن ذلك الرجل قال -معرِّضًا بي في مجلس الوعظ بالجامع الكبير في رمضان-:

أيها الناس! ما تقولون في سيدي محمد[1] السلاوي؛ ألم يكن عالمًا بالفقه والحديث؟ قالوا: بلى!

وما تقولون في سيدي أحمد الرهوني؛ أليس عالمًا بالفقه والحديث؟ قالوا: بلى!

ومضى حتى عدَّ جماعةً من الفقهاء، ثم قال: وهؤلاء -كلهم- كانوا يُصلُّون بالسدل! حتى جاء بعض الناس فأراد أن يفسد علينا ديننا! وهو مجهول! من أين خرج؟!

وكان ذلك بتطوان ١٦ شوال ١٣٦٥هـ [البحر الطويل]:

تَجَاهَلْتَ يَا ابْنَ القَيْنِ فَضْلِي وَسُؤْدُدِي ... وَمِنْ شِقْوَةٍ أَقْبَلْتَ بِالظُّلْمِ تَبْتَدِي

زَعَمْتَ بِأَنْ لَمْ تَدْرِ أَصْلِي وَمَنْشَئِي ... وَلَا عَجَبٌ إِذْ أَنْتَ بِالجَهْلِ مُرْتَدِي

سِجِلْمَاسَةُ الغَرَّاءُ يَا قَيْنُ مَوْطِنِي ... وَجَدِّي هِلَالُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدِ

وَجَدِّي هِلَالٌ صَالِحٌ وَابْنُ صَالِحٍ ... وَجَدِّي حُسَيْنٌ سَيِّدٌ نَجْلُ سَيِّدِ

وَرَيْحَانَةُ المُخْتَارِ جَدِّي يَشُمُّهُ ... وَجَدُّكَ حَدَّادٌ بِوَجْهٍ مُسَوَّدِ

وَعِبْدَانُنَا أَنْتُمْ بِرَغْمِ أُنُوفِكُمْ ... سَمَوْنَا عَلَيْكُمْ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ[2]

ضَرَبْنَا عَلَى الإِسْلَامِ أَسْلَافَكَ الأُلَى ... قَرَيْنَاهُمُ بِالمَشْرَفِيِّ المُهَنَّدِ

---

(١) «أحمد». (بو خبزة).

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «منفد»! وسقط هذا البيت من طبعة دار الكتاب والسنة!! من «الدعوة إلى الله» (ص ٧٧).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَأَمَّـا عَقَقْـتَ اليَـوْمَ سَـادَاتَكَ الأُلَى ... حَبَـوْكَ بِإِسْـلَامٍ وَفَـضْلٍ مُـمَدَّدِ

فَيَـا رُبَّ عَبْـدٍ مِثْلُـكَ اليَـوْمَ آبِـقٌ ... وَيَـا رُبَّ قَـيْنٍ مُـمْعِنٌ فِـي التَّمَـرُّدِ

غَـدَا بَعْـدَ سَـنْدَانٍ وَكِـيرٍ وَحُفْـرَةٍ ... وَفَحْـمٍ وَمِطْـرَاقٍ عَـلَى الفِقْـهِ يَعْتَـدِي

دَعِ العِلْـمَ إِنَّ العِلْـمَ لَـسْتَ بِأَهْلِـهِ ... وَخُذْ مِنْ جَدِيدٍ فِي الحَدِيدِ لِتَهْتَدِي

فَفِـي الحِرْفَةِ الأُولَى لَقَـدْ كُنْـتَ كَاذِبًـا ... لَـدَى بَيْـعِ مِفْتَـاحٍ وَقِفْـلٍ وَمِحْـصَدِ

وَفِـي الحِرْفَةِ الأُخْرَى عَلَى اللهِ تَفْتَرِي ... وَتُلْحِـدُ فِـي دِيـنِ النَّبِـيِّ الـمُمَجَّدِ

وَمَيْنُـكَ فِـي دُنْيَـاكَ أَهْـوَنُ مَأْثَـمًا ... مِـنَ الـمَيْنِ فِـي أَمْرٍ بِـهِ النَّـاسُ تَقْتَـدِي

وَعَيْـشُكَ مِـنْ صُـنْعِ الـحَدَائِدِ طَيِّـبٌ ... وَإِنْ تَـأْكُلَنْ بِالـدِّينِ تَأْكُـلْ مِـنَ الـرَّدِي

فَـدُونَكَ يَـا ابْـنَ القَـيْنِ نُـصْحًا مُـسَدَّدًا ... وَمِثْلُـكَ لَا يَـرْضَى بِنُـصْحٍ مُـسَدَّدِ

كَـذَبْتَ عَـلَى شَـيْخٍ كَـرِيمٍ تَـحَلُّمًا ... بِرُؤْيَـا مَنَـامٍ فِـي حَـدِيثٍ مُنَـضَّدِ

عَـلَى ابْـنِ مَـشَيْشٍ قَـدْ كَـذَبْتَ بِـلَا حَيَـا ... فَـأَخْزَاكَ رَبُّ النَّـاسِ فِـي كُـلِّ مَـشْهَدِ[1]

---

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ٧٣): «إنه كان له بيت في مارتيل، وكان يريد بيعه فلم يجد من يشتريه منه، فسافر من تطوان إلى القصر الكبير، وقصد الثَّرِيَّ المشهورَ الحاج عبد السلام حسيسن، وقال له: إن سيدي عبد السلام بن مشيش -رضي الله عنه- جاءني في المنام؛ فشكوت له تعسر بيع داري التي في مارتيل، فقال لي: اذهب إلى خادمنا الحاج عبد السلام حسيسن وبلِّغه سلامي، وأخبره أني آمره أنْ يشتري منك تلك الدار، وسيشتريها منك.

قال الحاج عبد السلام: فلما جاءني وقصَّ عليَّ الرؤيا قلت له: إنَّ أمْرَ سيدي عبد السلام على رأسي وعيني، ولكني أنا بنفسي عندي بيت في مارتيل لا أحتاج إليه؛ لأني أسكن في طنجة، وفي القصر الكبير، وأنا محتاج إلى بيعه؛ فكيف أزيد عليه بيتًا آخر؟! فرجع خائبًا، وإلى ذلك أشرتُ بقولي في الدالية...» وذكر هذا البيت.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَتَـزْعُمُ أَنَّ الـشَّيْخَ جَـاءَكَ قَـائِلاً ... إِلَى القَـصْرِ فَاذْهَـبْ دُونَ أَيِّ تَـرَدُّدِ

وَقُـلْ لِفُـلَانٍ يَـشْتَرِي بَيْتَـكَ الَّـذِي ... بِمَرْتِيـلَ إِنْ رُمْـتَ النَّجَـاحَ بِمَقْـصِدِ

فَكَذَّبَكَ الشَّخْصُ الَّذِي قَدْ[1] قَصَدْتَهُ ... وَبُـؤْتَ بِخِـزْيِ اللهِ شَرَّ مفَنَّـدِ

تَـرُومُ بِـزَعْمٍ نَـصْرَ مَـذْهَبِ مَالِـكٍ ... وَمَذْهَبُـهُ قَفْـوُ النَّبِـيِّ الـمُؤَيَّدِ *

وَمَعْـصِيَةُ الـمُخْتَارِ لَيْـسَتْ بِمَـذْهَبٍ ... لَـهُ أَبَـدًا فَاقْـصُرْ عَـنِ اللَّغْـوِ وَالـدَّدِ *

وَفَرَّقْـتَ بَـيْنَ البَعْـلِ وَالـزَّوْجِ ظَالِـمًا ... بِعُنْـفٍ وَإِكْـرَاهٍ فَهَـلْ أَنْـتَ مُهْتَـدِ *

وَأَنْكَحْتَهَـا فِـي عِـصْمَةِ البَعْـلِ دُونَ أَنْ ... يَـصِحَّ طَـلَاقٌ فِعْـلُ أَرْعَـنَ مُفْـسِدِ *

أَهَـذَا الَّـذِي تَـدْعُو بِمَـذْهَبِ مَالِـكٍ ... كَـذَبْتَ لَعَمْـرُ اللهِ يَـا قَـيْنُ[2] فَاقْـصُدِ[3] *

---

(١) سقطت من «منحة الكبير المتعالي».

(٢) في «الزند الواري والبدر الساري. . .»: «شَيْخُ».

(٣) قال في «الدعوة إلى الله» (ص ٧٢): «إن هذا الفقيه المتحمس للمذهب المالكي -بزعمه!- كانت له ابنةٌ، زوَّجها بشاب كاتبًا في وزارة العدل التي كان يتولاها أفيلال، وكانت بينه وبين الفقيه عداوة؛ لأن كليهما فقيه، أحدهما محظوظ والآخر محروم؛ فكان الفقيه يسأل صهره عمَّا يجري في الوزارة ليتوسل به إلى الطعن في الوزير؛ فلا يكاد يسعفه بشيء مما يريد.

ولما ألَّح عليه قال له: أيها الفقيه! لا تسألني عن شيء من أسرار الوزارة؛ فإني أقسمت يمينًا على الإخلاص في عملي، وإفشاء الأسرار يعدُّ خيانةً وعواقبه وخيمة، فغضب عليه وقال له: هذا قَدْرِي عندك يا ناكر الإحسان؟! زوَّجتك ابنتي! وفضَّلتك على غيرك! ثم أنت تتألب عليَّ مع عدوي! فسترى كيف يكون عقابي لك!

فأمر ابنته أنْ تنشز؛ فنشزت، ثم أجبره على تطليقها؛ فطلقها كارهًا، وهو يستغيث بالناس؛ فلم يغثه أحدٌ، ولمَّا تزوج شرط على أولياء الزوجة الجديدة أنه متى يسر الله له أنْ يُرْجِعَ زوجته -ابنة الفقيه-؛ فإنه سيطلق ابنتهم، وإلى ذلك أشرتُ بقولي في القصيدة الدالية: =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَهَـذَا الَّـذِي مِـنْ أَجْلِـهِ نَـالَ مَالِكًـا ... نَكَـالٌ وَلَـمْ يُـذْعِنْ لِأَمْـرِ الـمُهَدِّدِ *

فَفِعْلُـكَ ذَا نَقْـضٌ لِـمَذْهَبِ مَالِـكٍ ... وَفِـسْقٌ بِـدِينِ الـهَاشِمِيِّ مُـحَمَّدِ *

تَكَلَّـمُ فِـي قَـبْضٍ وَسَـدْلٍ مُـضَلِّلاً ... وَأَهْـمَلْتَ أَصْـلَ الدِّينِ إِهْـمَالَ مُلْحِدِ *

حُرِمْـتَ وُصُـولاً لِلْحَقِيقَـةِ عِنْـدَمَا ... أَضَـعْتَ أُصُـولاً مَـنْ يُـضِعْهَا يُلَـدَّدِ *

فَكِلْمَـةُ تَوْحِيـدٍ بِـهَا ابْـدَأْ مُـحَقِّقًا ... فَـإِنْ تَـدْرِ مَعْنَاهَـا إِلَى الـحَقِّ تَـهْتَدِ *

فَوَحِّـدْ إِلَـهَ الـحَقِّ لَا تَـدْعُ غَـيْرَهُ ... لِنَفْعِـكَ أَوْ دَفْـعِ[1] الـمَصَائِبِ تَرْشُـدِ *

فَمَـنْ يَـدْعُ غَـيْرَ اللهِ يَوْمًـا لِـحَاجَةٍ ... يُـدَنَّسْ بِـإِشْرَاكٍ وَيُـرْدَى مَـعَ الـرَّدِي *

وَذَلِـكَ تَوْحِيـدُ العِبَـادَةِ فَـاذْرِهِ ... فَمَـنْ يَـجْهَلَنْهُ فِـي الـجَحِيمِ يُـخَلَّدِ *

* سَـوَاءٌ أَصَلَّـى قَابِـضًا فِـي صَـلَاتِهِ ... أَمِ اخْتَـارَ سَـدْلاً نَقْلُـهُ لَـمْ يُـؤَيَّدِ *

* وَمَـنْ رَدَّ قَـوْلَ الـمُصْطَفَى بَعْـدَ صِحَّةٍ ... فَـذَلِكَ كَفَّـارٌ أَثِـيمٌ وَمُعْتَـدِ *

سَـيُحْرَمُ فِـي يَـوْمِ القِيَـامِ شَـفَاعَةً ... وَإِنْ يَـأْتِ لِلْحَـوْضِ الـمُبَارَكِ يُطْـرَدِ *

وفرقت بين البعل والزوج ظالمًا ... بعنف وإكراه فهل أنت مهتد

الأبيات إلى أنْ قلت:

أهذا الذي تدعو بمذهب مالك ... كذبت لعمر الله يا قَيْن فاقصد

ومن أشهر ما وقع لمالكٍ -رحمه الله- في حياته: أنه كان يفتي بأن طلاق المكره غير لازم، وعلى ذلك ضرب بالسياط؛ فالعجب ممن يريد أنْ ينصر المذهب المكذوب على مالك، ثم يخالف مذهبه الصحيح المتواتر!! والله لا يهدي القوم الفاسقين».

(١) في «الزند الواري والبدر الساري. . .»: «لدفع»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

* [وَيَسْوَدُّ[١] فِي يَوْمِ القِيَامَةِ وَجْهُهُ[٢] وَيَثْوِي ثِوَاءً فِي الجَحِيمِ وَيَخْلُدِ][٣] *

* وَيَبْرَأُ مُنْهُ ذَلِكَ اليَوْمِ مَالِكٌ وَكُلُّ تَقِيٍّ لِلإِلَهِ مُوَحِّدِ *

* وَذَلِكَ فِي أَصْلِ الشَّهَادَةِ وَاضِحٌ لِكُلِّ صَحِيحِ الفَهْمِ لَمْ يَتَبَلَّدِ *

فَدُونَكَ يَا شَيْخَ القُيُونِ فَوَائِدًا مِنَ العِلْمِ إِنْ تَرْجِعْ لَهَا اليَوْمَ تَسْعَدِ *

فَدَعْ عَنْكَ تَقْلِيدًا وَشِرْكًا وَبِدْعَةً فَذَلِكَ مَا يُرْدِيكَ فِي اليَوْمِ وَالغَدِ *

صَدَدْتَ الوَرَى عَنْ قَفْوِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَلَنْ يُفْلِحُوا إِلَّا بِسُنَّةِ أَحْمَدِ *

فَبُؤْتَ بِسُخْطِ اللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَسُخْطِ شُيُوخٍ كَابْنِ جَعْفَرَ زُهَّدِ[٤]

---

(١) في الموطن الثاني من «سبيل الرشاد»: «سَيَسْوَدُّ».

(٢) عجزه في الموطن الثاني من «سبيل الرشاد»: «وإن يأتِ للحوض المبارك يطرد»، وهو عجز البيت الذي قبله.

(٣) هذا البيت ليس في «منحة الكبير المتعالي»، وجاء في «الزند الواري والبدر الساري. . » قبل ثلاثة أبيات؛ أي بعد قوله: (وذلك توحيد العبادة فادره).

(٤) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (٦٨ - ٦٩): «إن هذا الفقيه كان تلميذًا للشيخ محمد بن جعفر الكتاني الفاسي المغربي، الذي قضى شطرًا كبيرًا من عمره في دمشق، وكان محترمًا عند المغاربة وأهل الشام، ولما استولى الإسبانيون على تطوان، وقسم من شمال المغرب؛ استشار الفقيه التلميذ أستاذه الكتاني في الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام؛ فاستحسن الشيخ ذلك، وحثَّه عليه.

فهاجر الفقيه إلى المدينة النبوية، وأقام بها مُدَّة؛ فلمَّا خلع الفرنسيون السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول، سافر هذا السلطان إلى مصر، ثم إلى الحجاز؛ فذهب إليه الفقيه المبتدع، وشكى له حاله، وأنه يريد أنْ يرجع إلى المغرب، ويعود في هجرته؛ فأعانه على ذلك، ورجع إلى تطوان، ولم يقتصر على هذا الذنب حتى صار بَيَّاعًا؛ فسخط عليه الشيخ الكتاني، وهجره واستمر على ذلك حتى مات، وقد أشرتُ إلى ذلك في القصيدة حين قلتُ: . . .»، وذكر هذا البيت.

وَكَـانَ اللَّـوَاجِرِيُّ[١] يَقْلِيـكَ كَـالعَمَى ... مَتَـى جِئْتَـهُ يَـا قَـيْنُ تُـصْفَعْ وَتُطْـرَدِ

وَأَسْخَطَ[٢] كُلَّ الصَّالِحِينَ مِنَ الوَرَى ... مِـنَ الـجُرْمِ وَالبَغْـيِ الَّـذِي لَـمْ يُـحَدَّدِ

---

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله» (٦٩): «كان في تطوان فقيه مشهور بالصلاح والعفة والزهد والاستقامة، يقدسه أهل تطوان، وهو الشيخ محمد اللواجري، وكان معتكفًا في بيته لا يشهد جماعة ولا جمعة، وعلل ذلك بأنه يرى المناكر ولا يستطيع أنْ يغيرها، وكنتُ أزوره الفينة بعد الفينة؛ فكان يفرح بزيارتي، ويأنس لها، ولم أرَ منه معارضة في التوحيد، والذي يظهر لي أنه كان بريئًا من الشرك، وكان هذا الفقيه من تلامذته.

ولمَّا أراد الهجرة من تطوان استشاره؛ فاستحسن ذلك، فلمَّا رجع من هجرته غضب عليه اللواجري غضبًا شديدًا، وحذَّر الناس منه، ولا سيما حين صار بَيَّاعًا، وكان هذا الفقيه يجتهد بكل وسيلة أنْ يجد سبيلاً لإرضاء الشيخ اللواجري؛ فكان يضرب في حديد بارد؛ لأن اللواجري أصرَّ على السخط عليه وبغضه لله.

فلمَّا حضرت الوفاة الشيخ اللواجري اغتنم هذا الفقيه الفرصة، وظن أنَّ شيخه -وهو في غمرات الموت- لا يعرفه إذا سلَّم عليه وودَّعه، وبذلك يخرج من سخطه، ولو فيما يظهر للناس؛ فقصده، وحدثني أحدُ أعيان تطوان وأشرافها، وهو الحاج محمد الشرتي؛ أنه كان جالسًا عند الشيخ اللواجري -رحمه الله- وقد حضرته الوفاة، فجاء هذا الفقيه، وقَبَّلَ رأسه، وقال: سامحني أيها الشيخ الصالح! فما كان من الشيخ المحتضر إلَّا أنْ استوى جالسًا كأنْ لم يكن به مرض، ورفع يده، ولطم الفقيه لطمة شديدة! ثم اضطجع؛ فمات في الحال، وإلى ذلك أشرتُ في القصيدة بقولي:

وكـان اللـواجري يقليـك كـالعمى ... متـى جئتـه يـا قَـيْن تـصفع وتطـرد

فإن قيل: لماذا سميته قَيْنًا وهو فقيه؟

فالجواب: إنَّ القَيْنَ في اللغة العربية هو الحداد، وكان أبوه حدادًا، وكان هو يشتغل معه في صباه، ولمَّا تعلم الفقه -أعني: فروع المذهب المالكي، وليس ذلك بفقه، ولكنه اصطلاح وعُرْف؛ كتسمية اللديغ بالسليم- ترك تلك الحرفة، وكان دكان أبيه الذي كان يشتغل معه فيه بهذه الصنعة لا يزال تحت تصرفه يكريه...» إلخ ما قال.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «وأسخطت»! والذي يظهر لي أنها لا تتجاوز أن تكون خطأً =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَإِنَّـكَ وَايْـمُ اللهِ أَحْـمَقُ مَـنْ مَـشَى ... عَـلَى الأَرْضِ طُـرًّا في تُـهُومٍ وَأَنْجُـدِ

فَخُـذْهَا غُـذِيتَ التِّـبْنَ مِنِّـي قَـصِيدَةً ... تَـزِدْكَ جُنُونًـا مِثْلَهَـا لَـمْ يُقَـصَّدِ

فَتَخْـرُجُ فِـي الأَسْـوَاقِ نَـاتِفَ لِـحْيَةٍ ... وَلَاطِـمَ خَـدٍّ عَارِيًـا غَـيْرَ مُرْتَـدِ

وَلَـمْ يَـكُ قَـصْدِي ذِكْـرَ عَيْبِـكَ كُلِّـهِ ... فَـذَلِكَ لَا يُحْـصِيهِ أَلْـفُ مُـجَلَّدِ

انتهت بمدينة مجريط، وقد نظمتُها بتطوان إلا الأبيات الستة الأخيرة[١].

***

مطبعيًا؛ لأنها لا تستقيم معنًى ولا وزنًا، والذي أثبتناه هو الصواب معنًى ووزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) جاء في «الدعوة إلى الله» بدل هذه الجملة: «تمت، وانتشرت هذه القصيدة عند أهل تطوان، وأعجبوا بها أيما إعجاب؛ لأنهم كانوا حاقدين على ذلك الرجل، وكانت هذه القصيدة مقرونة بسوط عذاب من الله -تعالى- صُبَّ على ذلك المُشرك؛ فحدثت له حوادث من الخزي».

وذكر الهلاليُّ أربعة حوادث منها باسترسال وتفصيل، وذكر أن هذا الرجل قد عيّره ورد عليه بنظم ركيك هجاه به، ثم رد عليه الهلالي بنونية تراها في (مقطع ١٦٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[أُعَادِي فرنسا][(١)]

[٤٥] وقلتُ في عداوة فرنسا بمجريط[(٢)] في أواخر شوال سنة ١٣٦٤، وكل ما جاء في هذه القصيدة وفي غيرها من عداوة المستعمرين الفرنسيين والبريطانيين وغيرهم؛ فإنما أذكره لِمَا فيه من الأدب العربي، وحفظًا للتاريخ، وإلا فإني منذ استقلال الجزائر لا أُعادي أيَّ مستعمر، ولا أفكر في الاستعمار أصلاً، **وقد صارت لي في الاستعمار فكرة يطول شرحها، ويعسر فهمها على كثير من الناس، ولذِكْرها موضع آخر [البحر الطويل]:**

أُعَـادِي فَرَنْـسَا مَـا حَيِيـتُ فَـإِنْ أَمُـتْ

سَـأُوصِي أَحِبَّـائِي[(٣)] يُعَادُونَـهَا بَعْـدِي *

---

(١) نشرت في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ٤٠)، وما أمامه علامة (*) منه (ص ١١٨)، ولم يذكر صاحب «السلفية الوهابية» المقدمة التي هنا، ثم ظفرتُ ببعضها في جريدة «السجل الجديد» البغدادية، السنة الأولى، العدد (٢٩)، الأربعاء ٢٥ شعبان، سنة ١٣٧٨هـ، وما خلفه علامة (*) منه.

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن (أصل مرقوم على الآلة الكاتبة) من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفي أوله: «مدريد في أواخر شوال ١٣٦٤»، وفي آخره: «الدكتور تقي الدين الهلالي»، ومع أن فيه بعض الأبيات التي ليست منه، إلَّا أن فيه بيتين زيادة على ما في الأصول الأخرى.

وأفاد الأستاذ عبد الله العقيل في كتابه «من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة» (ص ٤٨٩) أن هذه القصيدة نشرت في مجلة أخرى، قال تحت عنوان «بداية معرفتي به»: «وكانت بداية معرفتي بأستاذنا محمد تقي الدين الهلالي من خلال ما كنت أسمعه عنه من العمِّ محمد السليمان العقيل الذي كان من أعز أصدقائه، ثم قرأتُ له في مجلة «الإخوان المسلمون» عام ١٩٤٦م قصيدة عصماء يندّد فيها بالاستعمار الفرنسي، ولا يحضرني منها الآن سوى مطلعها:

أعـادي فرنـسا مـا حييـتُ وإن أمـت فـأوصي أحبـائي يعادونهـا بعـدي»

(٢) هي بلدة بالأندلس قديمًا، وأما اليوم؛ فهي (مدريد) عاصمة إسبانيا.

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «فأوصي بني قومي».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

عَدَاوَتُـــهَا فَـــرْضٌ عَـــلَى كُـــلِّ مُـــسْلِمِ

وَإِنْ كَـــانَ فِـــي أَرْضِ القَرَاغِـــزِ[١] وَالـــصُّغْدِ[٢]

* عَدَاوَتُـــهَا حَـــتْمٌ عَـــلَى كُـــلِّ فَاضِـــلِ

سِـــوَى ذِي فُـــؤَادٍ صَـــارَ كَالـــحَجَرِ الـــصَّلْدِ[٣]

لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ أَشْـــقَتْ شُـــعُوبًا كَثِـــيرَةً

وَأَلْقَـــتْهُمُ فِـــي هُـــوَّةِ البُـــؤْسِ وَالـــجَهْدِ *

[بِـــهَا الـــنَّحْسُ مَقْـــرُونٌ فَمَـــنْ عَلِقَـــتْ بِـــهِ

مَـــخَالِبُهَا فَهْـــوَ امْـــرِؤٌ عَـــاثِرُ الـــجَدِّ *

فَـــلَا دِينُـــهُ يَبْقَـــى وَلَا العَـــيْشُ نَـــاعِمٌ

وَلَا العِـــرْضُ مَوْفُـــورٌ وَلَا حِلْمُـــهُ يُـــجْدِي *

فَوَيْـــلٌ لَـــهُمْ مِنْهَـــا فَتَـــاةً قَوِيَّـــةً

وَوَيْـــلٌ لَـــهُمْ مِنْهَـــا عَجُـــوزًا عَـــلَى الـــضِّدِّ

---

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، وفي «السلفية الوهابية»، وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «القراغز»، ولم أظفر بها، مع احتمال التحريف أو التصحيف في الكلمة، وتقليب ذلك على عدَّة ألوان وضروب، وظفرتُ بـ(الطقرغز)، وهم أصحاب مدينة (كوشان) التركية، وما والاها، ومذاهبهم مذهب المنانية، ومما لكهم كثيرة، وفيهم كان المُلْك، وفيهم (خآمان الخواقين) يجمع ملكه سائر ملوك الترك، وتنقاد إليه ملوكها، ومن هؤلاء (الخواقين) كان (فراسياب) التركي الغالب على ملك فارس؛ انظر «الروض المعطار» (٥٠٤).

(٢) هي قُرى مُتَّصلة خلال الأشجار والبساتين من (سَمَرْقند) إلى قريب من بخارى؛ انظر «معجم البلدان» (٣/ ٤٠٩)، و«الروض المعطار» (٣٦٢).

(٣) جاء فراغ في «السلفية الوهابية» بدل الشطر الثاني من البيت.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَوَيْـــلٌ لَـــهُمْ مِنْهَـــا بِعَهْـــدِ (بَلَوْمَهَـــا)

وَفِـــي عَهْـــدِ (بَيْتَـــانِ) فَقُـــبِّحَ مِـــنْ عَهْـــدِ

وَفِـــي عَهْـــدِ (دِيكُـــولِ) تَكَاثَـــرَ بُؤْسُـــهُمْ

وَأَضْـــحَتْ رَزَايَـــاهُمْ تَزِيـــدُ عَـــلَى العَـــدِّ[(١)]

فَهُـــمْ مِثْـــلُ أَسْـــنَانِ الـــحِمَارِ فَلَـــمْ يَـــبِنْ

لِوَاحِـــدِهِمْ فَـــضْلٌ عَـــلَى غَـــيْرِهِ، عِنْـــدِي

[عَـــلَى أَنَّ لِـــي فِـــي عَهْـــدِ (دِيكُـــولَ)[(٢)] سَـــلْوَةً

لِأَعْمَالِـــهِ، فِـــي قَوْمِـــهِ، مُرْهَـــفُ الـــحَدِّ

فَـــلَا زَالَ بَـــأْسُ القَـــوْمِ يَعْظُـــمُ بَيْـــنَهُمْ

وَقَـــصَّابُهُمْ يَعْـــدُو عَلَـــيْهِمْ وَيَـــسْتَعِدِ][(٣)]

وَقَـــالُوا فَرَنْـــسَا مَـــنْبَعُ العِلْـــمِ وَالـــسَّنَا

وَحُرِّيَّـــةِ الأَقْـــوَامِ وَالعَـــدْلِ وَالرُّشْـــدِ

وَقَائِـــلُ هَـــذَا القَـــوْلِ يُلْعَـــنُ فِـــي الـــسَّمَا

وَيُلْعَـــنُ فِـــي تَـــهْمِ[(٤)] وَيُلْعَـــنُ في نَجْـــدِ

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠)، وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ويستعدي».

(٤) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «تميم»! وتسكين (الهاء) ضرورة شعرية، وحقُّها الفتح.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَيُلْعَنُ فِي أَرْضِ الْمَغَارِبِ كُلِّهَا
وَيُلْعَنُ فِي شَامٍ[(١)] وَفِي الصِّينِ وَالْهِنْدِ
وَتَلْعَنُهُ الْعُرْبُ الْكِرَامُ جَمِيعُهَا
وَيَلْعَنُهُ كُلُّ الأَعَاجِمِ عَنْ قَصْدِ
فَلَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا
كَمِثْلِ فَرَنْسَا فِي تَوَحُّشِهَا الْمُرْدِي[(٢)] *
عَدُوَّةُ كُلِّ الْحُرِّيَّاتِ جَمِيعِهَا
وَحَامِيَةُ الظُّلْمِ الْمُبِينِ عَلَى عَمْدِ
[وَأَقْسَى قُلُوبًا مِنْ ذِئَابٍ تَجَاوَبَتْ
عَلَى قِمَمِ[(٣)] الآكَامِ تَشْكُو مِنَ الْجَهْدِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَدْرِي حَقَائِقَ جُرْمِهَا
فَقَابِلْهُ بِالْحُكْمِ البِرِيطَانِ تَسْتَهْدِ[(٤)]
يَبِينُ لَكَ الأَمْرُ الَّذِي كَانَ خَافِيًا
وَتَعْرِفُ أَسْرَارًا إِلَى الْحَقِّ قَدْ تَهْدِي

---

(١) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «الشام»!

(٢) في «السجل الجديد»: «ولم يخلق . . . للرَّدِي»! وهو مكسور هكذا بكلمة: (للرَّدِي)، وصوابها: (الرَّدِي). (أبو الفضل).

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «قُنَنِ»، وهي جمع (القُنَّة)، وقُنَّة كل شيء: أعلاه، والقُنَّة: الجبل المنفرد المرتفع في السماء، والله الموفق.

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «تستهدي».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَـدَعْ عَنْـكَ مِـصْرًا وَالعِـرَاقَ وَقَـابِلَنْ
لِـمَغْرِبِنَا يَـا صَـاحِ بِالْـهِنْدِ وَالسِّنْدِ
تَـجِدْ فَـرْقَ مَـا بَـيْنَ الفَـرِيقَيْنِ وَاضِـحًا
كَـمَا بَـيْنَ هَـذِي الأَرْضِ وَالـنَّجْمِ[1] فِـي البُعْـدِ
وَمَغْرِبُنَـا أَحْـرَى بِعِـزٍّ إِذِ انْطَـوَى
عَـلَى سُـؤْدِدٍ فِـي غَـابِرِ الـدَّهْرِ مُـمْتَدِّ[2]
فَقُـلْ لِلَّـذِي يُـزْرِي عَلَيْنَـا تَـحَامُلاً
لَعَمْـرُكَ قَـدْ جُـرْتَ الغَـدَاةَ عَـنِ القَـصْدِ[3]
ثَلَاثُـونَ حَـوْلاً تَـحْتَ حُكْـمِ فَرَنْـسَةٍ[4]
تَـهُدُّ الـجِبَالَ الـشُّمَّ هَـدًّا[5] عَـلَى هَـدِّ
فَلَـوْ كَـانَ فِـي الـحُكْمِ البِرِيطَـانِ حَظُّنَـا
لَكُنَّـا بِالاسْـتِقْلَالِ نَـنْعَمُ وَالسَّعْدِ
وَكُنَّـا قَطَعْنَـا فِـي التَّـقَدُّمِ لِلْعُـلَا
وَفِـي العِلْـمِ أَشْـوَاطًا كَثِـيرًا بِـلَا حَـدِّ

---

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «والشمس».

(٢) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

(٤) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «فرنسا»!

(٥) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «هذًّا»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَـــإِنْ كَـــانَ الاسْـــتِعْبَادُ شَرًّا جَـــمِيعُهُ

فَرُحْـــمَاكَ بَعْـــضُ الـــشَّرِّ أَهْـــوَنُ لِلْعَبْـــدِ[١]

بِجَـــوْرٍ فَرَنْـــسَا قَـــدْ عَرَفْنَـــا فَـــضَائِلاً

لِلَنْـــدُنَ وَالأَشْـــيَاءُ تُعْـــرَفُ بِالـــضِّدِّ

[وَإِنِّي عَـــلَى عِلْمِـــي بِهَـــذَا وَغَـــيْرِهِ

لأَنْقُـــدَ أَهْـــلِيْ[٢] لَنْـــدُنٍ أَيَّـــمَا نَقْـــدِ

[عَـــلَى وَعْـــدِ (بِلْفُـــورٍ) وَمَـــا جَـــرَّ بَعْـــدَهُ

عَـــلَى الْمَـــسْجِدِ الأَقْـــصَى أُنَاضِـــلُهُمْ جَهْـــدِي][٣]

وَأُزْرِي عَلَـــيْهِمْ فِـــي وِفَـــاقِ فَرَنْـــسَةٍ

عَـــلَى ظُلْمِنَـــا مَـــا زَالَ ذَلِـــكَ مِـــنْ قَـــصْدِي

[وَلَـــوْ لَا الَّـــذِي قَـــدَّمْتُ مَـــا قُلْـــتُ كِلْمَـــةً

بَنَقْـــدِ بِرِيطَنْيَـــا إِلَى أَنْ أَرَى لَـــحْدِي][٣]

---

(١) بدل هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون):

وَمَوْطِنُنَـــا أَحْـــرَى بِـــذَاكَ إِذِ انْطَـــوَى

عَـــلَى سُـــؤْدُدٍ فِـــي سَـــالِفِ الـــدَّهْرِ مُـــمْتَدّ

(٢) أصلها: (أهلين)، وحذفت نونه للإضافة، وتنوين (لندن) بالكسر ضرورة شعرية لوزن البيت.

(٣) هذا البيت الذي بين المعقوفتين زيادة من (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مَتَــى أَصْــلَحَتْ ذَا الأَمْــرَ يَوْمًــا فَــإِنَّمَا
تَنَــالُ مِــنَ الإِسْــلَامِ أَخْلَــصَ مَــا ودِّ[(١)]

عَــلَى أَنَّ خَــصْمًا عَــاقِلاً[(٢)] مِــنْ ذَوِي النُّهَــى
يَفُــوقُ صَــدِيقًا أَحْــمَقًا فَاقِــدَ الرُّشْــدِ

فَكَيْــفَ بِخَــصْمٍ سَــاقِطٍ مُتَهَــوِّرٍ[(٣)]
كَمِثْــلِ فَرَنْــسَا رَبَّــةِ اللُّــؤْمِ وَالحِقْــدِ

وَقَــدْ سَــاطَهَا الرَّحْــمَنُ سَــوْطَ عَذَابِــهِ
بِخَمْــسِ سِــنِينٍ تَــشْتَكِي أَلَــمَ القِــدِّ

بِجُــوعٍ وَخَــوْفٍ وَافْتِقَــارٍ وَذِلَّــةٍ
وَقَتْــلٍ وَأَسْرٍ لَا فِــدَاءَ بِــهِ يُــجْدِي

وَذَاكَ بَــلَاءٌ قَــدْ أَتَاهَــا وَمِــحْنَةٌ
لَعَــلَّ عَجُــوزَ الــنَّحْسِ تَرْجِــعُ لِلرُّشْــدِ[(٤)]

فَلَــمَّا أَحَــسَّتْ بِــالتَّخَلُّصِ أَعْرَضَــتْ
وَأَبْــدَتْ مِــنَ الإِجْــرَامِ مَــا لَــمْ تَكُــنْ تُبْــدِي][(٥)]

---

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ودي».

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ماجدًا».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «متهوس».

(٤) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

(٥) ما بين المعقوفتين ليس في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَــلَا رَحِــمَ الرَّحْــمَنُ مَــنْ قَــطَّ ذَيْلَهَــا[١]

وَأَبْقَــى لَــهَا رَأْسًــا لِتَــنْعَشَ مِــنْ بَعْــدِ

فَيَــا هِتْلَــرٌ مَــاذَا صَــنَعْتَ بِتَرْكِهَــا

لَنَــا حَيَّــةً لَا ازْدَانَ[٢] قَــبْرُكَ بِــالوَرْدِ

[مَتَــى يَــا تُــرَى تُجْلَــى كَــذَاكَ مِــنَ ارْضِــنَا[٣]

وَنَفْقِــدُهَا أَهْــوِنْ بِــذَلِكَ مِــنْ فَقْــدِ

وَقَــدْ زُلْزِلَــتْ فِي الــشَّرْقِ أَقْــدَامُ حُكْمِهَــا

وَبَــاءَتْ بِــخَيْبَاتٍ وَبِــالخِزْيِ وَالطَّــرْدِ

وَأَبْــدَى بَنُــو سَكْــسُونَ فِي الــشَّامِ نَجْــدَةً

جَــزَاهُمْ عَلَيْنَــا النَّــاسُ بِالــشُّكْرِ وَالــحَمْدِ

فَيَــا آلَ (رُزْفلْــتٍ) وَ(تَشْرتــشلَ)[٤] أَيْــنَ مَــا

بَــدَا مِــنْكُمَا فَــوْقَ الــسَّفِينَةِ مِــنْ عَهْــدِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»، و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «ذنبها».

قال أبو الفضل: لا يستقيم البيت -وزنًا- إلَّا بتسكين النون! والأصوب أن نستبدل كلمة (ذنبها) بـ(ذيلها)؛ ففيه يستقيم البيت -وزنًا ومعنًى-، وقد وقف (بو خبزة) على هذا الإشكال بأن خطَّ تحت كلمة (ذنبها) خطًّا، ولكنه لم يُعالج الإشكال هذا، على خلاف عادته، والله الموفق.

(٢) في «السلفية الوهابية» (ص ٤٠): «لازادن»! والبيت ليس في (أصل مكتبة أحمد هارون).

(٣) تقرأ بهمزة وصلٍ ليستقيم وزن البيت، وجاء هذا البيت في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون) بعد البيت الذي مطلعه: (وأبدى بنو سكسون. . .).

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «شرشل»!